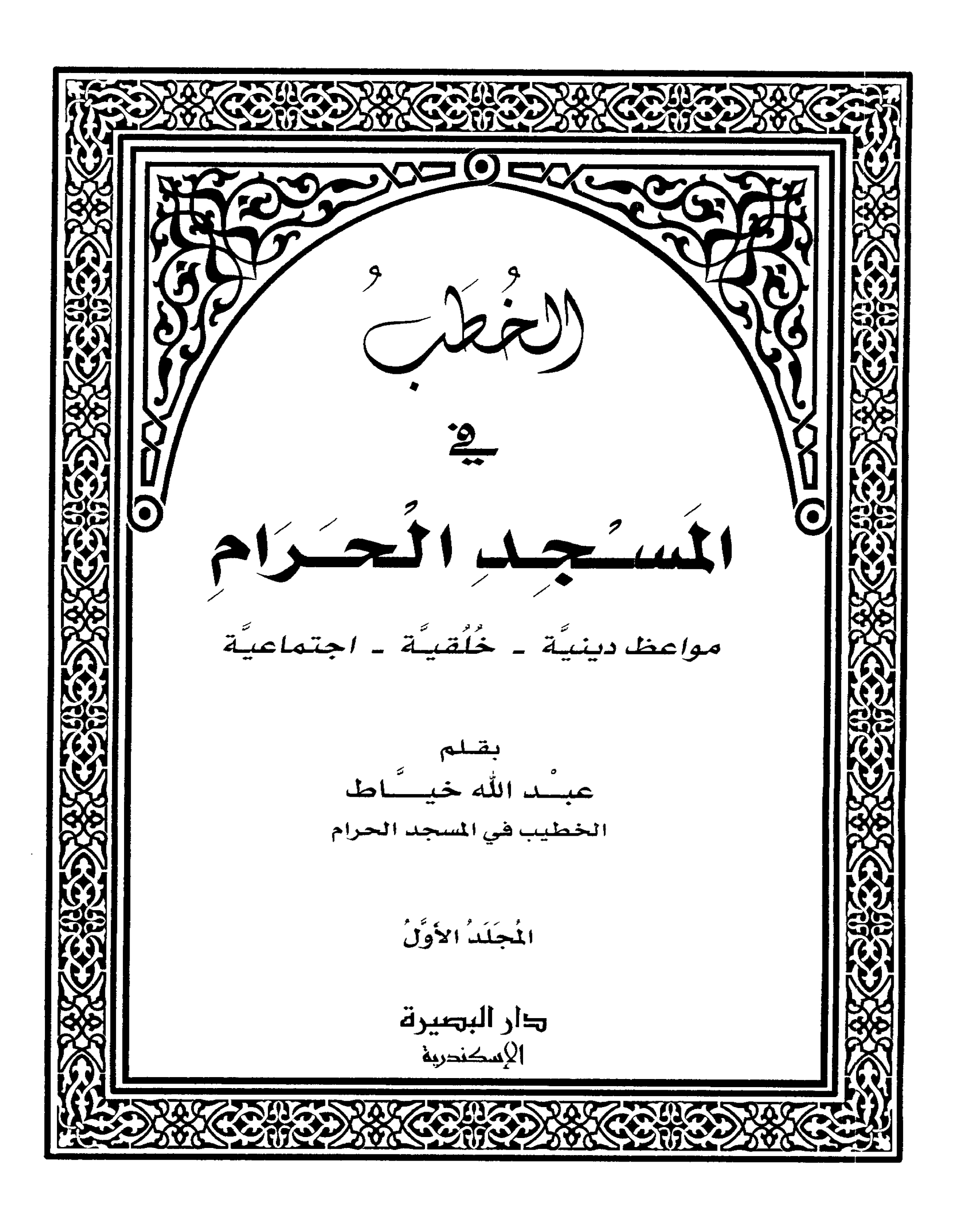


الخُطَب في المَسجِدِ الحَرَام

مواعظ دينيَّة - خُلُقيَّة - اجتماعيَّة

بقلم
عبْد الله خيَّاط
الخطيب في المسجد الحرام

المُجَلَدُ الأوَّلُ

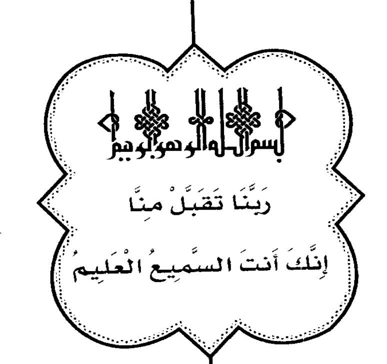
دار البصيرة
الإسكندرية



الخطب

في المسجد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم



رقم الإيداع : ١٨٣٨٢ / ٢٠٠٣

دار البصيرة
جمهورية مصر العربية
الإسكندرية - ٢٤ ش كانوب - كامب شيزار - ت : ٥٩٠١٥٨٠



الحمد لله العالمين، وصلّى الله على النبي محمد الهادي البشير، وعلى آله وصحبه.

وبعدُ، فهذه هي الحلقة الأولى من سلسلة كـتاب: «الخطب في المسجد الحرام»؛ أعددته أو أعددت ما فيه من خطب، في مناسبات مختلفة وفترات متباعدة.

ولم يكن من رأيي: أن أُخرج الخطب في شكل كتاب مسـتقل؛ ذلك لأني أعتقد أن الخطبة قد أدت مهمتها حين إلقائها، وفي المناسبة التي قيلت من أجلها.

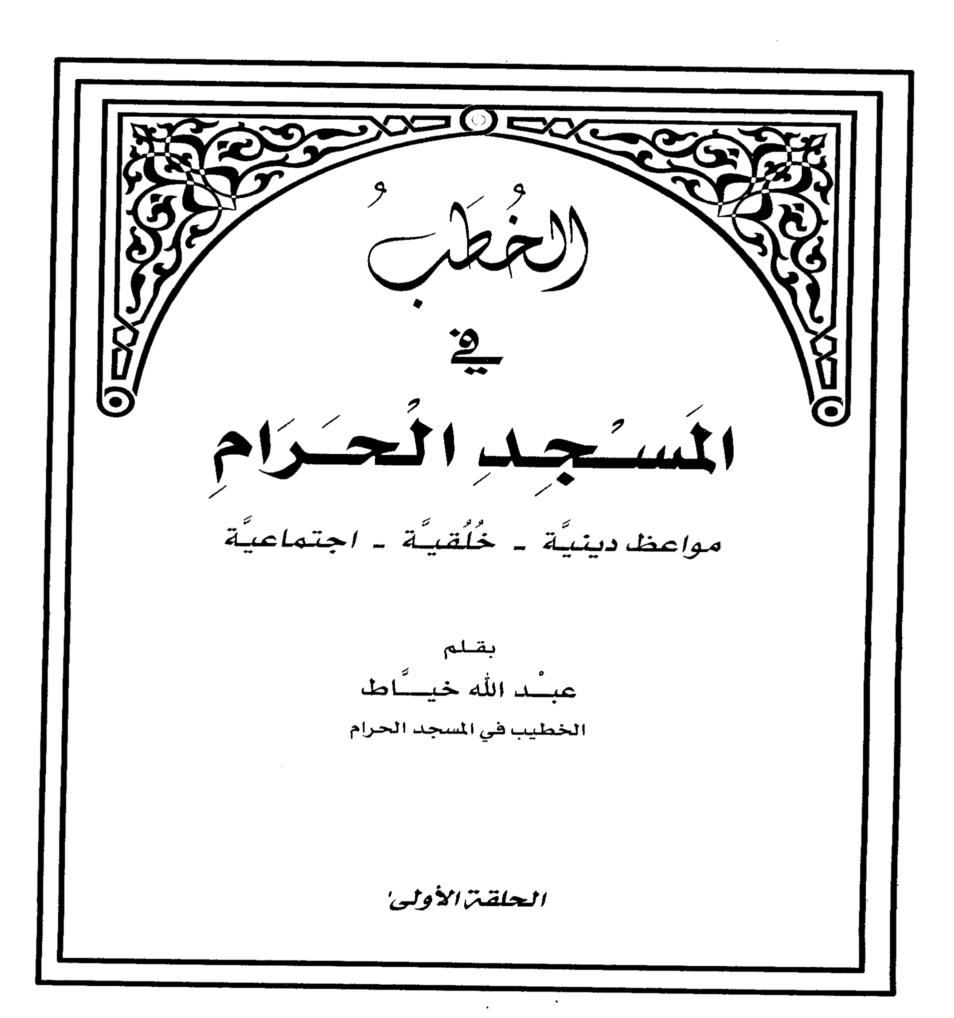
غير أن كثيرًا من الأفاضل رجحوا أن في إخراجها في شكل كتاب نفعًا لمجموعة من الناس لم تكن قد استمعت إليها في حينها.

فرجـحتُ ما ذهبـوا إليه، وجنحت إلى إخـراج الخطب في حلقات متـسلسلة، تفصل بينها فترات تطول وتقصر حسب الظروف، ووفرة الإنتاج من عدمه.

واللهَ أسألُ أن ينفع بها، ويأجرني على ما بذلته فـيها من تحرٍ للحق، وما قصدته من إرادة للنصح وتوجيه إلى أقوم السبل.

وصلى الله على النبي محمد خاتم الرسل أجمعين.

عبد الله خياط



الخُطَب في المَسجِدِ الحَرامِ

مواعظ دينيَّة - خُلُقيَّة - اجتماعيَّة

بقلم

عبْد الله خيَّاط

الخطيب في المسجد الحرام

الحلقة الأولى

١ - في بيان أهداف الإسلام

الحمد لله الحكم العدلِ اللطيف الخبيرِ. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المنعم على عباده، ذو المن والطوْل العظيم. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين. اللهم صلِّ وسلمْ على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عبادَ الله؛ إن دين الإسلام دينُ تكافل وتراحم، دينُ تعاطف وشفقة، دين معاملة وإحسان. عمل على ذلك أولو العزائم، سَلَفُكُم الكرامُ، أصحابُ رسول الله ﷺ؛ فدانت لهم الدنيا، وتحطمت تحت أقدامهم تيجان الجبابرة: من أقاصرة وأكاسرة؛ وملكوا أَزِمَّةَ الأمور، ووصفهم رب العزة في كتابه، بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الفتح: ٢٩). فكانت الشِّدة منهم على الكافرين، وكانت الرحمة والشفقة بينهم، مثلاً للعادلين والمتأسين.

والدين الإسلامي - في مجموعه - وحدة متماسكة الأطراف، محكمة العرى، تؤلف بين جملة من الحقوق، الأخذ بها - في مجموعها - أمر لا مندوحةَ عنه.

فتوحيد الله جل جلاله، بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتأليهه وإفراده بكامل العبودية والتقديس - كل ذلك جزء من عقيدة المسلم، وفي طليعة ما يجب أن يُعني به. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢١-٢٢).

هذا هو الحق الأول بالنسبة لخالق الكون ومدبره، ومربيه بنعمه وإفضاله.

الحق الثاني: ويتعلق بصلاح الجماعة الإسلامية، وتكوين وحدتها، وتنظيم أهدافها، وتكفُّلها للصالح العام، وتضافر جهودها لتحقيق الأخوة الإسلامية، التي نص الله عليها بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٠).

وقد أوضحت السنة النبوية مدلول هذا الإخاء وهذا الحق وأهدافه، ومدى الأخذ به كمبدأ من مبادئ الدين - في جملة الأحاديث، وفي صور مختلفة.

فمرة يكون التوجيه إليه: بالترفُّع عن الظلم، وعدم التجني على الغير، والتحذير من الشُّح، والنهي عن الإضرار، كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ، حيث يقول: **«اتقوا الظلمَ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. واتقوا الشح؛ فإنه أَهْلَكَ من كان قبلكم»**، ويقول: **«لا ضرر، ولا ضرار»**.

وتارة يكون التوجيه إلى هذا الحق: بالتنويه بمدى الترابط الإسلامي والتكافل في الحقوق. كما جاء في الحديث: **«لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا. كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»**. وكما جاء في حديث آخر: **«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا؛ نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسر على معسر؛ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلمًا؛ ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»**. ومن قوله ﷺ: **«الخلق عيال الله؛ فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله»**.

وتارة التوجيه إلى هذا الحق: بتصوير واقع الأخوة الإسلامية، والتعريف بطرف من مسالكها. كما يتضح ذلك من قول الرسول ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»** **«مثل المؤمنين: في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**. ومن قوله ﷺ **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**.

وتارة يكون التوجيه إلى هذا الحق: باستدرار العطف والرحمة، والحث على الرفق والشفقة. كما صح عنه ﷺ، أنه قال: **«الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض؛ يرحمكم من في السماء»**.

فإذا قست القلوب، والتاثت العقول، وتحجرت الضمائر، وتصامت الآذان عن أمثال هذه التوجيهات الرشيدة ـ: يكون العلاج عندئذ، ترهيبًا وتخويفًا، يكبح جماح النفس؛ وتوعدًا وزجرًا: تتحدد به الغاية، ويعلم منه المصير. يُفصح عنه قول الرسول ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله». وقوله ﷺ: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي». وقوله ﷺ: «من ضار مسلمًا: ضاره الله. ومن شاق مسلمًا؛ شاق الله عليه» وناهيكم ـ عباد الله ـ بمُضارة الله ومُشاقته، إنها القصاص العادل يا عباد الله، قصاص رب العالمين جزاء وفاقًا: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف: ٤٩)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (سورة الفجر: ١٤). إنها نقمة الله وشديد أخذه. فاحذروا نقمته وأخذه؛ ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (سورة هو: ١٠٢).

فاتقوا الله عباد الله، واعرفوا لله حقه: فأفردوه به، واعبدوه على هدى وبصيرة. واعرفوا للجماعة حقوقها؛ فارعوها حق رعايتها؛ ليكمل لكم الدين، ولتكونوا من حزب الله وأوليائه المفلحين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (سورة فصلت: ٤٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٢ - في الحث على التقـوى

الحمـد لله، نحمده ونسـتعـينه ونستهـديه، ونعوذ بالله من شـرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهـده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـهد أن محمدًا عبـده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسَلَّم.

أما بعد . . فيا عباد الله اتقوا الله فـإن تقواه جُنَّةٌ من عذابه، وهدف رفيع يسرع إليه الصالحـون من عباد الله وأوليائه؛ يحـدوهم الشوق إلى ما عند الله، ويستـحثهم الأمل في رضـاء الله، أولئك على هـدى من ربهم وأولئك هم الفلحـون. ومـجـال التقوى ـ عباد الله ـ مجال واسع المدى، بعيد الأطراف.

فـتقـوى الله في أنفـسكم وتتحـقق بالارتفـاع بهـا عن مجـالات الإثم، والمتع الرخيصة، وحمأة الرذيلة، وأوضار المادة. قال الله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ (سورة الشمس: ٩-١٠)؛ أي: خسر من دَنَّسَ نفسه بمعاصي الله، وفاز من ارتفع بطاعة الله إلى مصاف الأوابين، والبررة الصالحين.

وتقوى الله في أموالكم وتتحقق في أخذها من حلِّها، وصـرفها فيها شرعت له، دون إسراف أو تقتير. قال تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾ (سورة الإسراء: ٢٩). وصح عن النبي ﷺ أنه قال: **«يُسأل العبد عن ماله: مم اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟»**.

وتقوى الله في أهلكم، وتتحـقق بإحسان العشرة، وكريم الصـحبة. وقد أوصى رسول الله ﷺ خـيرًا، في خطبـة حجة الوداع، إذ قـام يصنع أصول الدين وقـواعد الإسلام، فقال: **«إنما النساء عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئًا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرًا»**.

وتقوى الله في أولادكم، وتتحقق بتنشئتهم تنشئة إسلامية صالحة، وتوجيههم توجيهًا راشدًا حصيفًا. صح عن الصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه - أنه قال: **«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»**. أي: أن توجيهات الوالدين تنطبع في نفسية الطفل، صالحة كانت أو غير ذلك. فانظروا - رحمكم الله - أيَّ توجيه تتقدمون به إلى أولادكم.

وتقوى الله في معاملاتكم، وتتحقق بإقرار العدل والتجافي عن الظلم، وإحلال الشفقة والرحمة، موضعَ الغلظة والشدة. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (سورة المائدة: ٨). صح عن النبي ﷺ، أنه قال: **«المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا: فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»**. وقال ﷺ: **«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض؛ يرحمكم من في السماء»**.

فاتقوا الله - عباد الله - في ذلك كله: في أنفسكم وأولادكم، في أهليكم وأولادكم، في معاملاتكم، وكل مجال من مجالات نشاطكم؛ لتفوزوا برضاء الله ورضوانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

---

٣ - في إصلاح ذات البين

الحمد لله المنعم على عباده - وكل العباد مفتقرون إليه - المتفضل على خلقه وكل الخلق عيال عليه. أحمده سبحانه على نعمه، وأشكره على إفضاله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله المحسنين، ورب الطيبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير من دعا إلي المكارم، وندب إلى المعروف، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، إن في مجموع ما يعنى به الدين الإسلامي من مبادئه تكافل الجماعة: بإصلاح ذات البيت، وتعاون أفرادها بالسعي في جمع ما تفرق من أمرها، وحزم ما تصدع من بنيانها. وإن نتيجة التكافل صلاح المجتمع وبقاء الجماعة متماسكة، متضامنة: أفرادًا فيما يتعلق بحقوق الفرد من رعاية وعطف، وجماعة فيما يختص بحقوق الجماعة من تضحية وإيثار وحفظ ذمار.

وقد جمع الله ذلك في آية من كتابه، حيث ذكر بعض وجوه الخير في حدود معينة: تكفل صلاح الفرد والجماعة؛ فقال عز من قائل: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (سورة النساء: ١١٤). فالأمر بالصدقة على الفقراء والمعوزين والبؤساء والمحرومين، والأمر بالمعروف؛ من طاعة لله، وحث على مرضاته. وحفز الهمم للأخذ بسبل الخير؛ في ذلك صلاح الفرد، وضمان حقوقه.

والإصلاح بين الناس في شتى وجوه الإصلاح في ذلك صلاح الجماعة، وضمان لتماسكها. وقد وعد جل جلاله على ذلك أفضل الجزاء وأعظم الأجر، فقال: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ١١٤). فمن منا لا تستشرف نفسه لهذا الأجر العظيم؟ ومن منا لا يرغب في رضاء الله

ورضوانه؛ فيضـحي براحته وبكل غال ورخيص للسعي فـي الإصلاح، والتقريب بين إخوانه في الله، وحزبه في الإسلام؛ لينال بذلـك أجر المصلحين، وليرفع الله له ذكرًا في العالمين.

ولقـد خص رسول الله ﷺ هذه الناحـية بأرفع توجـيه؛ حـيث جعل درجـة المصلح بين الناس، فوق درجـة الصائمين والمصلين والمتصدقـين، فقال: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**».

أجل؛ إن في بعض الخصـومات ما يحمل على التجني، ويـقضي على الأواصر ويقطع ما أمـر الله به أن يوصل من وشائج الرحم والقربى، ويذهب بريح الجـماعة، ويبـعث على الفسـاد في الأرض. فلو عـولجت المشاكل مـن مبـدئها، وقُـضِيَ على الخصومات في مهدها، وتَبَرَّعَ بعضُ أولي الشـهامة والخير والمكانة بالوساطة وإصلاح ذات البين ـ لَتَغَلَّب جانب الخير، وارتفع الشر، وسَلِمَت الجماعة من التصدع.

صحَّ عن عائشة ﵂، أنها قالت: «**سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتُهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر، ويسترفقه في شئ، وهو يقول: والله لا أفعل. فخرج عليهما رسول الله ﷺ، فقال: «أين المتألي على الله لا يفعل المعروف؟»، فقال: أنا يا رسول الله، فله أيُّ ذلك أحبَّ**». أي: أن صـاحـب الحق ـ عندمـا رأى رسـول الله ﷺ يستنكر صنيعه ـ عدل عن رأيه، واستجاب لفعل الخير، وقد قامت في نفسه دوافعه إرضاءً لله ولرسوله.

فـاتقـوا الله عبـاد الله، وأصلحـوا ذات بينكم، وأطيـعـوا بذلك ربكم، وارأبوا الصدع، واحـفظوا التوازن بين أفـراد مجـتمعكـم؛ لتنالوا ما وعـدكم الله من الأجر وحسن الجزاء.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الحجرات: ٩-١٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قـولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٤ - في صفات المؤمنين

الحمد لله الكريم المنان، أحمده سبحانه! وهو البر الرحيم عظيم الشان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أوضح فضل المؤمنين، وامتدح فعالهم في محكم القرآن. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى، وأظهر دينه على عموم الأديان. اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله؛ مَثَلُ الإيمان في قلب المؤمن كَمَثَلِ الشجرة الطيبة تُنْبِتُ أطيب الثمار. وإن العمل الصالح هو ثمرة الإيمان الذي انغرست جذوره في قلب المؤمن، يبلغ به أقصى درجات الفلاح. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ١). ثم فسر إيمانهم بجليل ما يعملون، وعظيم ما يكسبون، مما تتحقق لهم به الغاية التي إليها يسعون وفيها يؤملون، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ٢-٩).

فذكر سبحانه في طليعة أعمالهم الصالحة، خشوعهم في الصلاة. قال الحسن البصري - رحمه الله -: «كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا لذلك أبصارهم». وقال غيره: «هو أن لا يعبث المرء بشيء من جسده في الصلاة». ومن هذا الوجه، قول النبي ﷺ - وقد رأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة -: «**لو خشع قلب هذا؛ لخشعت جوارحه**». وكان فيهم من لو قطعت أوصاله، وهو في الصلاة، لما وجد منه حراك. كل ذلك من خشوع القلب، والتلذذ بمناجاة الرب جل وعلا، والشعور بعظمته.

ثم ذكر سبحانه؛ من صفـات المؤمنين المفلحين إعراضهم عن اللغو، وهو الباطل في مختلف ألوانه، يصل إلى درجة الشرك بالله، وينخفض إلى إتيان كل قول أو فعل لا فائـدة فيـه، أو على الإنسان منه نقص في دينـه. يدخل في ذلك اللعن والشتـائم القذرة، ويدخل فيه اللهو في كل صوره وأشكاله.

وذكر سبحانه، من صـفات المؤمنين قيامَهم بإخراج زكاة أموالهم، كـيفما كانت الأموال ذهبًا أو فـضة، عروض تجارة أو سائمة من الأنعـام، أو ما يخرج من الأرض من حبوب وثمار. فـالزكاة حق المال، وفريضة لا فضل في إخراجـها لصاحب المال، وهي طهرة ونماء للمال، وخير وبركة لصاحبه، وصلاح وفلاح لمجتمعه.

وذكر سبحان، من صفات المؤمنين عفتَهم عن الحرام، وحفظَ فروجهم عن الوقوع في جريمة الزنا، أخطر مرض اجتماعي منيت به الإنسانية؛ فهو إلى جانب جريمته على الأنسـاب، يفتك بـالبشـرية فـتكًا ذريعًا؛ حـيث يفـشـو فيـهـا الزُّهْري والسيـلان، ومضاعفاتُهما المهلكة. وكفى بالمرء زاجرًا عنه وقول العليم الخبير: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (سورة الإسراء:٣٢). وقوله: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (سورة المؤمنون:٧). أي: من تطلع إلى غـير مـا أحله الله له، من الزوجـات والإماء من ملك اليمين ـ كأن تورط في الزنا ـ فقد اعتدى، وتجاوز الحلال إلى الحرام.

وذكـر سبـحانه وتعـالى، من صـفات المؤمنين، أداءَهـم للأمانات إذا ائتـمنوا، ووفاءهم بالعهد إذا عاهدوا. وأعظم الأمانات فـرائض الله التي افترضها على العباد؛ فهي كالودائع: عليهم أن يؤدها حق الأداء.

وختم سبحانه صفات المؤمنين المـفلحين بمحافظتهم علي الصلاة، كما بدأها بذلك، توجيهًا للأنظار إليها، وإلى ضرورة المحافظة عليها، فهي أعظم وسائل الفلاح والنجاح.

ثم ذكـر أجرهم، وحسـن جزائهم، فـقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة المؤمنون:٩-١١). ذلكم ـ يا عباد الله ـ فـضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فاتقوا الله عباد الله، وترسموا نهج الصالحين، واصرفوا الجهود في طاعة الله؛ تكونوا من المؤمنين المفلحين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة هود: ٢٣).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العزيز الغفار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد البررة الأخيار. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي، يُسمع عند وجهه كدَوِيِّ النحل، فلبثنا ساعة، فاستقبل القبلة - يعني رسول الله ﷺ - وقال: «اللهم زدنا ولا تنْقُصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا». ثم قال: «لقد أنزل عليَّ عشرُ آيات من أقامهن دخل الجنة»، ثم قرأ:** ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ١). **إلى عشرُ آيات.** فيالسعادة من أقامهن؛ فحظي بكرامة الله في دار الكرامة والنعيم! ويالشقاء من أعرض عن هديها فبناء بالخيبة يوم يفوز المفلحون!.

وصلوا - عباد الله - على الهادي البشير، محمد أكرم رسول وخير نذير، فقد أمركم بذلك اللطيف الخبير: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦). اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه المنير. وارض اللهم عن خلفائه الأربعة - أبي بكر وعمر وعثمان

وعلي - وعن الآل والصحب ومن على نهجهم إلى الله يسير، واجعلنا معهم بعفوك وكرمك يا عزيز يا قدير.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر اليهود ومن شايعهم من المستعمرين الغاصبين، وألف بين قلوب المسلمين، وأصلح قادتهم، واجمع كلمتهم على الحق يارب العالمين، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا أرحم الراحمين.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٣).

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

عباد الله، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠). فاذكروا الله على نعمه، واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٥ - في التحذير من طغيان المادة ومن التشاؤم

الحمد لله كاشف البلاء، ومسدي النعماء، الحكيم في صنعه، العليم بمصالح عباده، أحمده سبحانه! قدر الأقدار، وحدد الآجال، فجرت على ما قضى وقدر. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. تكفل برزق العباد، فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد المتوكلين وقدوة البررة الصالحين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، ظاهرتان فاشلتان، ونزعتان ملتويتان، من واجب المسلم أن يترفع عنهما، ويبتعد عن مزالقهما، ويحذر الوقوع في شبكهما، صيانة لإسلامه، وحرصًا على مرضاة ربه. **الظاهرة الأولى:** مادية طاغية، تضعف في النفوس عقيدة التوكل على الله، وتنحرف بالمسلم عن المثل الكريمة، وتحمله على الشح البغيض، والجشع المذموم، تحمله على هذه الرذائل بدعوى تأمين المستقبل، والخوف من الفقر، والاحتياط لليالي السوداء. وإن المستقبل - يا عباد الله - بيد الله - والله وحده هو المتصرف فيه، وكم من مستكثر في جمع حطام الدنيا، يمنع فيه حق الله، ولا يجعل فيه قسطًا لسائل ومحروم، دهمته صروف الليالي، أو ارتحل عن الدنيا، فذهب تقديره هباء، وأضحت أثرًا بعد عين، صارت حسابًا ووبالاً عليه. وكم من مُقِلٍّ تجرع البؤس ألوانا، أبدله الله بعد البؤس رخاءً، وبعد الفقر نعمة وثراءً. ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٠).

الظاهرة الأخرى: تشاؤم ببعض الأيام والشهور: كيوم الأربعاء، وشهر صفر. وتطّير ببعض الطيور: كالغربان والبوم، وبغير ذلك مما لا تحصره الأمثلة. وهو مما يزعزع الثقة بالله، وتنصرف به القلوب عن الله. هو - يا عباد الله - خرافة لا يقرها عقل ولا دين، وهي مما يغضب رب العالمين. وليس التشاؤم بالذي يغير من القدر

المكتوب شيئًا. قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة الأنعام:١٧). وقال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**». وأرشد ﷺ إلى علاج يجتث جذور التشاؤم، ويوجه القلوب إلى الله وهو أن يدعو، من يجد في نفسه شيئًا من ذلك، بقوله: «**اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»، وبقوله: «**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يصرف السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**».

فاتقوا الله عباد الله، وعلقوا القلوب والآمال بالله، وابتعدوا عن مزالق المادة والتفكير بوحيها، وحاربوا الخرافة والتضليل، واعتصموا بالله هو مولاكم، فنعم المولى ونعم النصير. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة يونس:١٠٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي العزة والسلطان، أحمده سبحانه، من توكل عليه كفاه، ومن تعلق بغيره وكله إليه وأقصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أفضل من دعا إلى الاعتصام بربه ومولاه، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد... فيا عباد الله، إن الأمور كلها بيد الله: يرفع ويخفض، ويُعز ويُذل، ويعطي ويمنع، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. فأخلصوا ـ يا عباد الله ـ له القصد والنية، وتوكلوا عليه حق التوكل، يَكْفِكُمْ كُلَّ ما أَهَمَّكم، ويغفر لكم من ذنوبكم.

٦ ـ في الحث على بر الوالدين، ومجانبة العقوق

الحمد لله، أحمده وأشكره، وهو البر الرحيم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كتب على نفسه الرحمة، وتجاوز عن الذنب العظيم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وهاديًا إلى الصراط المستقيم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، وتعلقت القلوب بصاحب الطَّوْل والمتفضل عليها؛ وليس أعظم إحسانًا، ولا أكبر تطولاً ـ بعد الله ـ من الوالدين. من أجل ذلك، قرن الله تعالى حقهم ـ في الإحسان إليهم، وحسن الرعاية بهم ـ بحقه في العبادة والإخلاص. قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ (سورة النساء: ٣٦). فأمر بالعبادة له وحده دون سواه، وخص الوالدين بالوصية في الإحسان إليهما، والعطف عليهما، والبر بهما؛ فقد أحسنا منذ البداية في كل وجوه الإحسان، وكان لإحسانهما الأثر البارز، إلى أن بدأ النضوج، وتفتح الوعي، وبلغ الولد أشده، وبلغا نهاية مرحلة الحياة؛ فتطلعا لرد الجميل: إلى البر والإحسان من ولدهما، إلى الصلة والمعروف، إلى تنفيذ وصية الله تعالى ورسوله فيهما. لكنهما فوجئا من البعض بما لم يكن منتظرًا، فوجئا بالعقوق والتنكر للجميل، ومقابلة الإحسان بالإساءة، فوجئا بالتهكم والاستهزاء والسخرية، تُوجَه إليهما من ولدهما المرتجي، فوجئا بالضرب من حبيبهما، وقد تناسى ماضيه، واعتز بحاضره، وأعجب بشبابه؛ وشمخ بثقافته وتعليمه، أو بماله وجاهه، أو بسلطانه وسعة نفوذه. وما علم المسكين أنه مخدوع، وأن هذا التصرف الطائش سوف يلقى جزاءه عاجلاً في الدنيا: فيعَقُّهُ ولدُه، وتضيق عليه مسالك الرزق، ويقضي حياته خاملاً مكدودًا.

صح عن رسول الله ﷺ ، أنه قال: «كل الذنوب يغفر الله منها ما شاء، إلا عقوق الوالدين: فإنه يعجل لصاحبه في الحياة قبل الممات. أما عقوبته في الآخرة: فالنار وغضب الجبار، ألا وإن نار الآخرة لتزيد عن نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً. ألا وإن غضب الجبار عاقبته: المحق، وخسارة الدنيا والآخرة». وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين». وعنه أيضًا، عن رسول الله ﷺ ، قال: «ثلاث لا ينظر الله إليهم يوم القيامة»، وعد منهم العاق لوالديه. وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «يا معشر المسلمين؛ إياكم وعقوق الوالدين، فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجد ريحها عاقٌّ». يالطول العناء، ويالسوء المصير؛ نَكَدٌ في الدنيا، وعذاب في الآخرة، وسخط من الله تعالى، إنها ثالوث الانتقام العادل، يا عباد الله، جزاء وفاقًا. جاء رجل إلى ابن عمر يحمل أمه، يقول: هل جازيتها؟ قال له ابن عمر: «لا ولا بزفرة واحدة؛ إنها كانت تتمنى لك الحياة، وأنت تتمنى لها الموت».

فاتقوا الله عباد الله، واعملوا جاهدين لرد بعض الجميل، واستجيبوا لأمر الله ورسوله ﷺ في الوصية بالوالدين؛ فهما - كما صح في الحديث - جنة العبد وناره؛ فمن أحسن فعليه بمتابعة الإحسان، ومن فرط فعليه بالتكفير والتماس الغفران. جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، وقال: هل بقي من بر أبوي شئ أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال رسول الله ﷺ : «نعم، الصلاة عليهما - أي: الدعاء والاستغفار لهما - وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (سورة الإسراء: ٢٣-٢٤).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٧ - في الحث على التوجه إلى الله، والتماس رضاه

الحمد لله الولي الحميد، الفعال لما يريد، أحمده سبحانه. من التمس رضاه نجا ومن تعلق بغيره خاب، ولم يغن عنه من الله شيئًا. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له؛ الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قدوة أصحاب اليقين، وسيد العارفين بربه. فيالسعادة من سار على نهجه واقتفى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن خير ما ألقي في القلب، يقين بالله يرسخ في القلوب، رسوخ الرواسي، وإيمان صادق بكفاية الله لعبده، يدفعه إلى إيثار مرضاة ربه على رضاء خلقه، وتقديم طاعته علي طاعة عبيده. وتلك هي مرتبة العارفين بالله، الذين امتلأت قلوبهم بنور الله؛ فعرفوا الله حق معرفته، والتمسوا رضوانه، وتخلصوا من مجالب سخطه. أولئكم - يا عباد الله - هم خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا، رضي الله عنهم ورضوا عنه. وعلى النقيض منهم، من اتصف بعكس صفاتهم؛ فضعف فيهم اليقين بالله. فأرضوا الناس بسخط الله، وجاملوهم في معاصي الله، وتعلقوا بهم واشتغلوا عن الله؛ رغبة في نوال حطام الدنيا، أو خوفًا من سخطهم؛ فوكلهم الله إلى من تعلقوا بهم ورجوهم، أو خافوا سخطهم، فلم يغنوا عنهم من الله شيئًا. أولئكم - يا عباد الله - ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا. فحذارِ من مثل صنيعهم حذارِ.

روت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: **«من أرضى الله بسخط الناس؛ كفاه الله مؤْنَةَ الناس. ومن أرضى الناس بسخط الله؛ لم يغنوا عنه من الله شيئًا»**، وفي رواية أخرى: **«من التمس رضا الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله؛ سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس»**. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مرفوعًا إلى النبي ﷺ، قال: **«إن من ضعف اليقين أن ترضىَ

الناس بسخط الله؛ وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره». وإنها - يا عباد الله - لإرشاداتٌ نبوية كريمة، من شأنها أن توجه النفوس للفعال الحقيقي فالمنعم في الحقية هو الله، والمتفرد هو رب الأرباب، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وما الناسُ إلا أسبابٌ ووسائل لإيصال الخير والنعمة، أو الشر والنقمة.

فاتقوا الله عباد الله، واملئوا قلوبكم باليقين الصادق والإيمان بالله، وعلقوا القلوب والآمال به وحده دون سواه، واذكروا على الدوام قول رسول الله ﷺ: **«من التمس رضا الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه وأرضى عنه الناس. ومن التمس رضا الناس بسخط الله؛ سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس».**

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٣-١٧٤).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يعلم السر والنجوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى والصفات العلا. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، النبي المجتبى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد... فيا عباد الله، إن مما أُثر عن صاحب رسول الله ﷺ، عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قوله: **«إن الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه؛ فيلقى الرجل وله إليه حاجة، فيقول له: أنت كيت وكيت - يثني عليه - لعله أن يقضي من حاجته شيئًا؛ فيسخط الله عليه، فيرجع وما معه من دينه شيء».** وفي ذلك - يا عباد الله - ما يحمل على الاعتدال، والكف عن التغالي في مدح المرء بما ليس فيه؛ مما لعله أن يكون في ذلك سخط الجبار، وفيه توجيه لتعلق القلوب بالخالق دون المخلوق، في قضاء الحوائج والمهمات؛ فهو سبحانه المهيئ للأسباب، وبيده وحده تفريج الكربات.

٨ - في بوادر الخير، ومصائر الشر

الحمد لله رب المنن الضافية والإحسان، أحمده سبحانه، وهو الواحد الديان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرب الكريم قديم الإحسان. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صاحب الهدى الراشد الصالح لكل زمان ومكان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، إن للخير بوادر، وإن للشر مصائر، فبوادر الخير توصل إلى الغاية الحميدة، ومصائر الشر تورث الحسرة، وتبعث على الندم. وإن من بوادر الخير، مسلك السلف في الصدر الأول - رضوان الله عليهم - حيث كانوا يتجهون إلى الرسول ﷺ - وهو بين أظهرهم - يسألونه عن سبل الهدى، ويبحثون عن طريق النجاة والسلامة، ويسترشدون عن أوجه الخير، فوصلوا بذلك إلى الغاية المحمودة، وكانوا هداة مهديين.

يقول حذيفة رضي الله عنه: **«كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه»**. ويقول أحد الأنصار رضي الله عنه: **يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال له: «قل: آمنت بالله، ثم استقم»**.

ويقول صحابي آخر: **يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملتُه: أحبني الله وأحبني الناس. قال: «ازهد في الدنيا؛ يُحبك الله، وازهد فيما عند الناس؛ يُحبك الناس»**.

ويقول معاذ بن جبل رضي الله عنه: **يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلُني الجنة، ويباعدُني عن النار. قال: «لقد سألت عن عظيم؛ وإنه ليسير على من يسره الله عليه. تعبدُ اللهَ لا تشركُ به شيئًا، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصومُ رمضان، وتحجُّ البيت»**.

أرشده في الطليعة إلى عبادة الله وحده، ونفي الشرك عنه؛ لأن العبادة توحيد وإخلاص، ولأن الشرك منقصة للرب وإسفاف، توحيد يرتفع به العبد إلى أعلى درجات القرب والرضوان. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٨٢). أي: الذين أخلصوا توحيدهم لله، هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة. والشرك يهوي به المرء إلى الحضيض ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (سورة الحج: ٣١).

ثم أرشده إلى بقية أركان الإسلام، وهي جزء لا يتجزأ؛ من فرط في جزء منها؛ فقد فرط في الجميع.

ثم أرشده إلى الإزلاف إلى الله بالنوافل، بعد أداء الفرائض، فقال: **«ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة»** - أي: ستر ووقاية للعبد من النار. يقول رسول الله ﷺ: **«ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله، إلا باعد الله بذلك الصوم وجهه عن النار سبعين خريفًا»** - **«والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل»**، ثم تلا قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة السجدة: ١٦-١٧)، ثم قال: **«ألا أخبرك برأس الأمر وعموده، وذروة سنامه»؛ قلت بلى يا رسول الله. قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟»، فقلت: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه، وقال: «أمسك عليك هذا»، قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! قال: «ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»**، أي: ما تجنيه من الذنوب، كالغيبة والنميمة، والوقوع في أعراض الناس، والاستهزاء بآيات الله كل ذلك إذا اجتنبه العبد، ملك زمام نفسه، وبلغ نهاية قصده.

أما مصائر الشر، فلن تُحدَّ بحدث، ولن تنحصر في شئ معين، فكل معصية لله، وكل تفريط في جانب الله فإنه يجر أسوأ العواقب، ويكون له أسوأ المصائر. وحسبنا أن نستعرض في كتاب الله أخبار الأمم الهالكة بسبب تفريطها، وما تحدث الله به عن إهلاكها، حيث يقول: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (سورة القصص:٥٨)، قال: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ (سورة غافر:٢١).

تلكم - يا عباد الله - هي مصائر الشر، وعواقب المعاصي. فاتقوا الله، وأسألوه النجاة منها، إنها تورث الحسرة والندامة، وتجلب الغمّ والأحزان، وتبعد المرء عن درجات القرب والرضوان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة النمل:٨٩-٩٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاسغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٩ ـ في الحث على التأدب بآداب الدين

الحمد لله، فتح لأرباب البصائر أنوار الهدى، ووعد المحسنين خير الجزاء، أحمده سبحانه. تنزه عن كل النقائص وعلى العرش استوى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فالقُ الحب والنوى. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أدبه ربه فأحسن تأديبه، وانتهت إليه الفضائل، فَأَعْظِمْ بشمائل المصطفى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، إن أعظم وسيلة تحفظ التوازن بين الجماعة الإسلامية، هي آداب الدين، إنها تصقل النفوس، وترتفع بها إلى درجات الصالحين، وإنها لتجمع للمتأدب بها بين سعادتي الدنيا والدين. وإن من أدب الدين كفَّ اللسان عن الإثم والأذى، وعن الانطلاق في أعراض الناس، وعن السخرية بهم، أو لمزهم وتنقص أحوالهم، أو رميهم بما هم منه بريئون. إذ إن ذلك ـ يا عباد الله ـ مما يقطع الألفة بين المسلمين، ويهدم الأخوة في الدين، وسيؤاخذ العبادَ عليه أحكمُ الحاكمين، ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ (سورة ق:١٨). ولقد عجب معاذ بن جبل، ـ صاحب رسول الله ﷺ ـ عجب من أن يؤاخذ العبد بما يتكلم به، وقد أوصاه رسول الله ﷺ بأن يكف لسانه، فقال معاذ رضي الله عنه: **وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! قال له رسول الله ﷺ: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»**: ما يكسبونه من الإثم عن طريق اللسان. وإن في الناس من لا يردعه دينه أو ورعه عن أن يطلق للسانه العنان، فيسرف في التجني على عباد الله بالسخرية واللمز، فهذا طويل، وذاك قصير، وهذا أحمق، وذاك أرعن، وهذا سخيف، وذاك فظيع. وكأنه وكل إليهم تشريح عباد الله وتجريحُهم، وتسقطهُم، وتتبع عوراتهم، وأكل لحومهم! ولكل الناس

عورات ومعائب، وزلات ومثالب. فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، أو - كما جاء في الحديث -: **«طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته»**. ومن وصية رسول الله ﷺ الطويلة، لأبي ذر: **«وليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك»**. وقُتل رجل يوم أحد فبكت عليه باكية قائلة: واشهيداه! فقال النبي ﷺ: **«ما يدريك أنه شهيد؟ لعله كان يتكلم فيما لا يُعنيه، أو يبخل بما لا ينقصه»**.

أما رمي المسلم بما هو منه بريء فهو أفظع وسائل النيل والوقيعة، وهو البهت. لأنه يجمع بين الكذب والغيبة، وكلاهما رذيلة وكبيرة من كبائر الذنوب. يقول رسول الله ﷺ - في حديث طويل -: **«وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار»**. ويقول في الغيبة: **«هي ذكرك أخاك بما يكره»، وقيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟. قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»**. وقال أيضًا: **«أيما رجل أشاع على مسلم بكلمة هو منها بريء - ليشينه بها في الدنيا - كان حقًا على الله أن يدنيه يوم القيامة في النار، حتى يأتي بإنفاذ ما قال»**، ومن أين له أن يأتي بهذا الإنفاذ؟.

فاتقوا الله عباد الله، وتأدبوا بآداب الإسلام، وكفوا ألسنتكم عن كل قول يغضب الله. واذكروا على الدوام قول رسول الله ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحجرات: ١١-١٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاسغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

١٠ ـ في ذكرى مولد المصطفى ﷺ

الحمد لله الولي العظيم، أحمده سبحانه. ذو الطَوْلِ والخير العميم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أكرم الأمة الإسلامية بإشراق نور نبيها الكريم. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الهادي ـ بهداية الله ـ إلى الصراط المستقيم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، إن من أعظم الحوادث في تاريخ البشرية، ولادة النبي المصطفى محمد ﷺ، في مثل هذا الشهر، قبل جمع من القرون. وكانت تلك الولادة خيرًا وبركة ويمنًا على الإسلام وأهله، ووبالاً ونقمة على الكفر والكافرين. ثم كانت المنة العظمى، ببعثته للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، بعثه الله برسالة الحق حينما فسدت العقول والضمائر، واستخذت النفوس للشيطان، ورضيت بعبادته بدلاً من عبادة الرحمن، فضلت سواء السبيل، وكان المنقذ لها من هذا الضلال، هو رسول الهدى محمد ﷺ فأخرجها من ظلمات الشرك والوثنية، ومن عبادة الأشجار والأحجار والقبور إلى نور التوحيد الخالص، ومن فوضى الأخلاق والانحلال والتدهور، إلى معالم الهدى، ومشارق الفضيلة. ولكن الطغاة من قومه قابلوا هذا الإشراق والهدى، بالصد والعدوان والأذى. فاحتسب رسول الله ﷺ وصبر، حتى بلغ الطغيان أقصى الحدود، وحتى صمم الظلمة على قتله ـ وهو يدعوهم إلى الله، يدعوهم إلى عز الدنيا وسلامة الدين ـ **فأنقذه الله منهم بالهجرة** إلى المدينة. وكانت الهجرة حدًا فاصلاً بين الحق والباطل، وسدًا منيعًا بين الكفر والإيمان: ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ (سورة التوبة: ٤٠). وكانت حياته في المدينة حافلة بالجهاد والكفاح، الجهاد لخصوم دينه: ممن ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ (سورة التوبة: ٣٢). والكفاح للمنافقين واليهود الذين كانوا

يتربصون به وبدينه الدوائر، وكانت الغلبة والنصر له على الجميع، وعاد إلى مهبط الوحي، يمحو ما بقي من آثار الشرك، ويضع آلهة الوثنية تحت قدميه ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (سورة الإسراء: ٨١).

وكانت نهايته بعد أن وطد دعائم الدين، بعد أن عاد إلى دار الهجرة ـ كانت نهايته هي النهاية المحتومة لكل حي: الموت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (سورة الرحمن: ٢٦)، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (سورة الزمر: ٣٠). فانتقل إلى الرفيق الأعلى، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحبه البررة المفلحين.

وإن هذه الحياة الحافلة بالجهاد والكفاح، وهذه العظمة الخالدة التي لا تضارعها عظمة أي عظيم، لجديرة بالتمجيد والتعظيم. وإن ذكرى ولادته المباركة لحرية بالحفاوة، ولكن ليس بالقشور والبهرج، ولا المظاهر والشكليات، وإقامة الحفلات، وتقديم الموائد للآكلين. فتلك بدع مستحدثة أحدثت في أوائل القرن السابع الهجري، بعد القرون المفضلة بعهد بعيد،. وهي أيضًا لا تصور العظمة الخالدة لصاحب المولد، ولا تعبر عن مبلغ حبه المتغلغل في النفوس. وإنما يكون الاحتفال الحقيقي بالمولد الشريف، ويكون تخليد الذكرى لحياته ﷺ، بقدر ما يحمله كل فرد. من المحبة للرسول الأعظم ﷺ. ومن أبرز الأدلة على حب الحبيب، التعطش لمتابعته، وبَلّ الصدى بالارتواء من معين سنته، وتقديم قوله على قول كل أحد كائنًا من كان، والإكثار من الصلاة والسلام عليه.

فاتقوا الله عباد الله، وابتغوا من العمل ما يرضي الله، واحذروا البدع المحدثات في كل ما له صلة بالدين. فلن يصلُح آخرُ هذه الأمة إلا بما صلُح به أولها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ١٢٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

١١ - في التحذير من الكبر واتباع الشهوات

الحمد لله العظيم، أحمده سبحانه. له الكبرياء في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم، وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الهادي إلى صراط الله المستقيم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، إن من شر ما غلب على النفوس: كبرًا طاغيًا، يدافع الحق ويبعد عن الرشد؛ وشهوةً محرمة آثمة: تبعد العبد عن الله، وتسبب له المتاعب. ومادية باغية: تفسد العقول والضمائر.

فالكبر: منازعة لله في كبريائه. ومن نازع الله في كبريائه هلك، كما جاء في الحديث القدسي: **«الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحدًا منهما: قذفته في النار»**. وما أقبح الكبر ممن خُلِقَ من التراب وإلى التراب يعود! وحَسْبُ المتكبر أن يكون قدوته إبليس: حيث أمر بالسجود لآدم، فامتنع تعاظمًا وكبرًا، فحقت عليه لعنة الله. فبئست القدوة، وبئس المقتدون. ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (سورة ص: ٧٥-٧٨).

أما الشهوة المحرمة، فهي تفريط في جانب الله، وانحلال يفسد على المرء دنياه وآخرته. ففساد الدنيا: بزوال النعم، وحلول النقم والمصائب المتنوعة؛ فَمِنْ فقرٍ ومرضٍ إلى موت للأولاد، وجدب للديار، وغلاء في الأسعار؛ إلى غير ذلك من المصائب، التي لا تقع تحت الحصر. قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (سورة الشورى: ٣٠). فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب اجترحه، ولا جدت به نقمة إلا بذنب تمادى فيه. وفساد الآخرة: بالحساب العسير، وبسوء المنقلب والمصير.

أما المادية الباغية، فهي: التطرف في جمع الحطام، والجشع في الاستغلال؛ يدخل في ذلك جمع المال من الربا، ومن الغش في المعاملات، ومن البخس في الكيل والموزونات، ومن التدليس والرشوة، وما إلي ذلك من الطرق الملتوية للكسب الحرام. صح عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ: أمن الحلال أم من الحرام؟»**، وصح أيضًا أنه قال ﷺ: **«لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت»**.

ويعظم الجرم، وتعظم معه العقوبة، إذا ارتكبت هذه الآثام مع انعدام الدافع إليها؛ كما جاء في الحديث: **«ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان** - أي: شيخ علاه المشيب - **وعائل مستكبر** - أي - فقير معدم متكبر - **ورجل جعل الله بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»**؛ أي: يكثر الحلف في البيع والشراء؛ ليخدع به الناس. فجريمة الزنا قبيحة مع وجود الدافع إليها، وهي من الشيخ الذي علاه المشيب أشد قبحًا: لعدم وجود الدافع إليها عنده. والكِبْرُ بشع وشنيع من كل أحد، وهو من الفقير أعظم بشاعة وشناعة. والرغبة الملحة في جمع المال من غير الطريق المشروع، رغبة آثمة؛ فإذا أضيف إليها الحلف الكاذب، كانت أشد إثمًا وفظاعة. من أجل ذلك. كان الوعيد في حق هؤلاء الثلاثة شديدًا، وكانت عقوبتهم أشدُّ أعظم من غيرهم.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا كبائر الإثم والمعاصي في كل صورها واتجاهاتها؛ فهي مما يبعد عن الله، ويجلب سخط الله ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ (سورة البقرة: ٢٨١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا** ﴾ (سورة النساء: ٣١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: تصلح لجميع الخطب

الحمد لله المحمود في علاه، المعز لمن تولاه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الإله الحق المعبود، غافرُ الذنب لمن تاب إليه ممن عصاه. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين وأكرم مثواه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، صح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة»، أي: قطع حجة من بلغ من العمر الستين، فليس له أن يعتذر عن بقائه على المعصية، بعد هذ العمر المديد؛ ولقد كانت لديه الفرصة للتوبة، فهلا تاب وأناب: وقد عمر طويلاً!

فالبدارَ البدارَ عباد الله، لتدارك ما بقي من الأعمار، قبل أن يندم العبد علي ما فرط: يوم يرى المحسنين في غرف الجِنان، والظالمين ما لهم من حميم ولا شفيع يطاع. وصلوا على النبي سيد الأنام، محمد أكرم رسول وخير إمام؛ فقد أمركم بذلك الملك العلام ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦).

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله الطيبين. وارضَ اللهم عن خلفائه الأربعة أئمة الهدى والدين - أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين؛ اللهم أعـز الإسلام والمسلمين: اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر الكفرة أجـمعين، ووحد بين صفوف المسلمين، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك، يارب العلمين. ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحشر: ١٠). وقال: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

عباد الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠). فاشكروا الله على نعمه، واذكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصفون.

١٣ - في الوصية بالنساء

الحمد لله الكريم المنان، أحمده سبحانه، خلق الخلق من ذكر وأنثى، فكان بذلك عمارة الأكوان؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بإحسان عشرة النساء: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (سورة البقرة:٢٢٩). وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خيرَ المسلمين عِشرةً لنسائه. فيالسعادة من سار على هديه في كل عصر وزمان! اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، لقد عُنِيَ الإسلام - في جملة ما عُنِيَ به من تشريعات ومبادئ - عني بتنظيم العلاقة بين الزوجين، فأوجب للزوج على الزوجة حقوقًا في ظلالها تطيب العيشة، ويسود الوئام، وتنشأ الأسرة الصالحة. وأوجب للزوجة على الزوج حقوقًا، هي العطف والرعاية بكل ما في ذلك من معنى. ذلك: لأن المرأة - كما وصفها رسول الهدى - خلقت من ضِلَع، أي: خلقت خلقًا فيه اعوجاج؛ ولن يستقيم هذا الاعوجاج: لأنه من أصل الخلقة. فلا بد إذًا من مسايرته، والصبر عليه. وذلك ما يستدعي العطف والرعاية، وإحسان العشرة. وقد رسم رسول الله ﷺ، الأسس الصالحة لذلك، فقال: **«إنما النساء عندكم عَوَانٌ** - أي: أسيرات - **أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرًا»**. وقال أيضًا: **«أكمل المؤمنين إيمانًا: أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»**. وقال مغلبًا جانب التسامح، ناهيًا عن الجفوة: **«لا يَفْرَك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا: رضيَ منها آخر»**. وقال في مجال التأديب والمؤاخذة: - لو دعت الحاجة إلى ذلك -: **«لا تضرب الوجه، ولا تقبح»** - أي: لا تقل: قبحك الله - **ولا تهجر إلا في البيت»**. ففي انتهاج هذا المنهج النبوي السديد، وبالسير على هذه السياسة الحكيمة في

إدارة المرأة، تُصلح البيوت، وتستقيم الأسر، ويسود الوئام والتفاهم، ويتحقق معنى الآية الكريمة: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (سورة الروم: ٢١).

وإن مما يبعث على الأسف، أن تصبح بين الناس بين هذه التعاليم الإسلامية فجوة عظيمة، وأن ينقسموا في شأن المرأة إلى قسمين: قسم ارتفع بها لدرجة أن قدمها على الرجل، وترك لها الحبل على الغارب، تفعل ما تشاء، وتتحكم فيه بما تريد؛ فأضحت صاحبة السلطان عليه، وقادته بغير زمام. وقسم غلا في التجني عليها وإذلالها، وهضم حقوقها، وغدت في بيته: وكأنها من العجماوات الذليلة المعتقلة، لا تستطيع أن تغير من وضعها، أو تبوح بسوء التصرف فيها. وكلا الوضعين - يا عباد الله - خاطئ وذميم. فالارتفاع بالمرأة عن المكانة التي وضعها الله فيها، خروج عن المبدأ الذي رسمه الإسلام، حيث جعل الرجل قوامًا على المرأة. وحسب المرء خطيئة: أن تخرج على تعاليم الإسلام. وتحطيم المرأة، وغمط حقوقها، جاهلية عمياء، وضع الإسلام من شأنها. فلا يصح لمسلم أن يرفع ما وضعه الإسلام، وأن يعود إلى جفوة الجاهلية وحماقتها، وأن يظلم الحليلة ربة الدار.

ألا، فاتقوا الله عباد الله، واحفظوا في النساء وصية رسول الله ﷺ، واحذروا الحيف بهن، فبئس الرجل يظلم أهله. واذكروا على الدوام قول رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

١٣ - في التحذير من ظلم الزوجة أو إفسادها على زوجها

الحمد لله، كتب على نفسه الرحمة، ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه، أحمده سبحانه، هو المعز لمن أطاعه، واتبع أمره، المذل لمن سلك سبيل الغواية وتمادى فيه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، النبي المجتبى، الصادق المصدوق في كل ما يبلغه عن الله ويرويه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، أرأيتم الشجرة المثمرة، الوارفة الظلال، يستظل بظلها، وتجنى ثمارها في هدوء وأمن وطمأنينة؟! إنها - يا عباد الله - مثل للزوجة الطيبة الصالحة؛ فالثمرة هم أولادها، والظلال الوارفة هي ظلال المودة والرحمة، تغمر بهما البيت الذي تأوي إليه. إنها - عباد الله - من خير متاع الدنيا، كما ورد في الحديث: «الدنيا متاع، وخير متاعها الزوجة الصالحة».

ومن المؤلم حقًا، أن يمتد إلى هذه الشجرة الطيبة أعاصير البغي والعدوان؛ البغي من قبل بعض الأولياء، فيغلبون المرأة على أمرها، ويقهرونها على عصيان زوجها لمجرد الهوى، أو للانتقام الشخصي، أو لأمور لا تبرر هذا التصرف الطائش، ثم تكون النهاية المؤسفة، يكون الطلاقُ، وهو أبغض الحلال إلى الله أو يكون الفراق بعد طول تردد على المحاكم، وبعد جلسات وجلسات، يسجل بعدها على الزوجة النشوز. فيا لمرارة الحرمان! ذلكم - يا عباد الله - هو الظلم العاني؛ فاحذروا الجرأة عليه. فقد صح عن رسول الله ﷺ - فيما يرويه عن ربه - أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا». إنه ظلم يقضي على

الأواصـر، ويقطع الرحم التي أمـر الله أن توصل ويكون به خـراب البيـوت. والظلم ظلمات يوم القيامـة، كما صح بذلك الحـديث. وويل للظالمين من يوم لا ينفع فـيه الفداء، بل يكون فيه القصاص العادل؛ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (سورة فصلت: ٤٦).

وقد يبلغ البغي نهايته، إذا أوغر الولي صدر المرأة، وأفسدها على زوجها بالوعود البراقة، أو بأي لون من ألوان الإغراء؛ فغير قلبـها، واندفعت تكيد لزوجها، وتختلق له السيئات، وتحصي عليه الهفوات، لتتـخذ من ذلك سُلمًا للمطالبة بحقوق وهمية، أو لتفصم عروة الزواج، متنكرة للجميل، كافرة بحق العشير، معرضة عن أمر ربها، فيما يوجـبه عليها للزوج من الطاعة. ولقد ورد من الوعيـد في حق من أفسد زوجة على زوجـها ـ مـا يردع أصحـاب العقـول، عن أن يقعـوا في الإثم، أو يكونوا من المفسديـن. يقول رسول الله ﷺ: «**ليس منا من خبب ـ أي خدع ـ وأفسد زوجة على زوجها، أو عبداً على سيده**». وقال عن الزوجة تسخط زوجها: «**ثلاثة لا تقبل لهم صلاة، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع، والسكران حتى يصحو، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى ترجع**».

فاتقوا الله عباد الله، واقضوا على النزاع في مـهده، قبل أن يستفحل أمره، وقبل أن تثور أعاصيره، فيقـضي على وشائج الرحم والقربى، ولا يجدي بعد ذلك حكمة أو علاج.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (سورة النساء: ٣٤).

نفعني الله وإياكم بهدي كـتابه. أقول قولي هذا، وأستـغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

١٤ - في الحث على التوكل على الله

الحمد لله، أوضح طريق الرشاد والهدى، أحمده سبحانه. من توكل عليه كفاه، فـأَعْظِمْ بكفاية المرتجي، وأشـهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، عالم السـر والنجوى، وأشهد أن محمدًا عـبده ورسوله، النبي العربي المُجْتَبَى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيـا عبـاد الله، إن صميم عـقيـدة المسلم مبدأ التـوكل على الله، وتفويض الأمور إلى الله، والاعـتماد عليه وحـده دون سواه، في جلب النفع، ودفع الكرب، واللجوء إليـه، والاستعانة به في كـشف الشدائد. تلك هي شريعة الـسماء أبلغتها رسل الله إلى الأمم جميعًا. فمن سار على نهجها، واتبع سبيلها، نال السعادة والمنى. ومن غَيّـر وبدل، وسلك المسالك على غيـر هدى من الله، أو قبس من هدي رسول الله - فـقد أُبْتُـلِيَ بالنكسة المُرْدِيَة، النكـسة في العـقيـدة، فتـتقاذفـه الأهواء، وتستولي عليه الفتن، فمِنْ فتنة بالتمائم والحروز، يعلقها عليه أو على عياله، بدعوى أنها تدفع الشـر، وتذهب بالعين، وتجلب الخيـر. ومن فتنة بالمشعـوذين والدجاجلة، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، بدعوى أنهم يكاشفونهم بأمور الغيب - ولا يعلم الغيب إلا الله - وبدعوي أنهم يخبرونهم عن السعـادة والشقاء، وازدهار المستقبل، أو ظلمته وعبوسه. إلى فتنة بالتشاؤم بالأيام: كـيوم الأربعاء، وبالشهور: كشهور صفر، وبالطيور: كالغربان والبوم، وبصاحب العاهة، وباختلاج العين اليسرى، وبغير ذلك: مما لا يقع تحت حصر. وكل ذلك - يا عـباد الله - نكسة في العقيـدة، وضلال مبين، ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٥١).

ولقد خلق الله العبد، وكتب رزقه وأجله. وشقاءه وسعادته، وكل ما يعترضه في حياته: من خير وشر. كتب ذلك وهو في بطن أمه، فهو جارٍ على ما قضاه الله وقدره، لا يغيره أو يبدل فيه تعليق تميمة أو حرز، ولا يبطله رجل مشعوذ، ولا يؤثر فيه تشاؤم متشائم، ولا هوس تخريف. يقول رسول الله ﷺ: **«إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك. ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، يكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيد»**. وفي رواية: **«قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له»**. ويقول الله جل وعلا: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ (سورة التغابن: ١١). أي: إلا بمشيئته وإرادته وحكمته، ﴿**وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ (سورة التغابن: ١١). قال إمام من التابعين في تفسيرها: **«هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسَلِّم»**. وقال تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ (سورة الزمر: ٣٨).

والقرآن الكريم وسنة رسول الهدى ﷺ قد أوضحا طريق الفلاح لكل من ألقى السمع إليهما، واهتدى بنورهما. فأوصيكم - عباد الله - بتقوى الله، وصدق التوكل والاعتماد على الله، واللجوء إليه في جلب النفع، ودفع الشدائد والمكروه. ذلك الدين القيم، وتلك هي العقيدة الصحيحة السليمة للمسلم الرشيد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ (سورة الأنعام: ١٧-١٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

١٥ - في الوعظ

الحمد لله الحليم التواب، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب، أحمده سبحانه. هو الكريم الوهاب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أكرم رسول، أنزل الله عليه خير كتاب. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: **«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل»**. وإنه - يا عباد الله - لتصوير بليغ لواقع الناس في هذه الحياة، فهم فيها أبدًا مسافرون، يقطعون في كل يوم مرحلة من مراحل حياتهم، والسفر يستدعي الكد والإجهاد، كما يكون مقرونًا بالمخاوف وركوب الأخطار، من أجل ذلك، يعمد المرء فيه إلى الإدلاج - أي: إلى قطع المسافة ليلاً - ليصل إلى المنزل، وليأمن من مخاوف الطريق. والمنزل المنشود هو الجنة، يهون في سبيلها كل صعب، ويسهل لنيل درجتها كل كد وجهد. كيف وهي دار السلام، ومقر أولياء الله ، ودار كرامته، تنافس في طلبها أولو الهمم العالية من صالح العباد بما قدموا من عمل صالح مبرور - فامتدح الله سعيهم، ونوه عن بلوغهم الغاية، فقال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُوْلَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ (سورة المؤمنون: ٥٧-٦١). وقال أيضًا: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (سورة السجدة: ١٦-١٧). لقد كان الإحسان مع الخوف طابع أعمالهم، فبلغوا الغاية، ورسموا بذلك الطريق للسالكين.

وإن أبرز ما يحدثنا عن اتجاهات أولئك البررة المفلحين، سلف الأمة ـ رضوان الله عليهم ـ فلقد كان الصديق أبو بكر ﷺ حين يقوم إلى الصلاة يغدو وكأنه الريشة في مهب الريح، يرتجف من خشية الله، وكان يمسك بلسانه ويقول: «**هذا الذي أوردني موارد الهلاك**». مع أنه ﷺ خير الأمة بعد نبيها، كما صح بذلك النقل. فأين في الناس من يسلك مثل هذا المسلك السديد؟! أين في الناس من يعقل لسانه عن الكذب وقول الزور، والغيبة والنميمة، والشتائم القذرة التي تصل درجة القذف، وتستوجب لصاحبها الحد؟! ولقد قرأ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سورة الطور، حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ (سورة الطور: ٧)؛ فبكى واشتد بكاؤه حتي مرض وعاده الناس. مع أن له ـ من فضله وجهاده، وصلابته في الحق ـ ما يجعله في مأمن من المخاوف. وإن في الناس من يقرأ القرآن كله، ويردده مرارًا، ثم لا يكون له من وراء وعيده واعظ، ولا في وعده تهذيب ولا ترغيب، فضلاً عن الخشية والتأثر،

وهذا الخليفة عثمان ﷺ كان إذا مر بقبر بكى حتى تبتل لحيته؛ لاستشعاره رهبة الموت، وموقف السؤال والجواب، وما يكون وراء ذلك من الحساب والجزاء. ولكن عينيه لم تذرفا الدمع، وقلبه لم يستشعر هذا المصير المحتوم. وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ـ مع سابقته في الإسلام، ومصاهرته لرسول الله ﷺ، وزهده في الدنيا ـ كان يتململ في محرابه تململ السليم؛ خوفًا من الله عز وجل، وكان يشتد خوفه من اثنين: طول الأمل، واتباع الهوى. وكان يقول: «**أما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق**».

ولقد صدق أمير المؤمنين، فَلَكَمْ أنسى طول الأمل يوم الجزاء والحساب، فاشتغل الناس عنه بآمال خادعة في دار الغرور، كما أعمى اتباع الهوي عن سلوك سبيل الحق، فضلَّ البعض عن سواء السبيل. فالفرق ـ يا عباد الله ـ بين السلف والخلف، واضح وجدٌّ كبير. أولئكم أتقنوا العمل وأخلصوا فيه، وقدموه مع الكثير من الخوف

في عدم قبوله. والخلف - في أعقاب الزمن - جمعوا إلى التفريط والتقصير، الأمن من عذاب الله، وقصر النظر في العاقبة.

فاتقوا الله عباد الله، والتزموا في سيركم إلى الله طريق الراشدين، وأدلجوا في السير بالعمل الصالح؛ لتأمنوا من مخاوف الطريق، ولتصلوا إلى الغاية.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (سورة الحشر: ١٨: ٢٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المتحبب إلى عباده بجزيل الفضل والإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي المجتبى رفيع القدر عظيم الشان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، نُقل عن بعض العارفين بالله، أنه قال: «طوبى لمن أقر لله بالجهل والتفريط في حقه، والظلم في معاملته، فإن آخذه بذنوبه رأى عدله، وإن لم يؤاخذه رأى فضلة». وجملة القول: أنه لا يرى ربه إلا محسنًا، ولا يرى نفسه إلا مسيئًا، أو مفرطًا مقصرًا. ذلكم - يا عباد الله - هو نهج العارفين بالله. فانتهجوا نهجهم؛ تكونوا من المفلحين.

١٦ - في الحث على محاسبة النفس

الحمد لله الولي، فلا ولي دونه، أحمده سبحانه. أيد أولياءه وأعز حزبه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الحي القيوم المتصرف في العباد وحده. وأشهد أن محمدًا عبده وسوله، سيد المرسلين، وخاتم النبيين، فلا نبي بعده. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، كلمة راشدة من خليفة راشد ترسم طريق الفلاح وتهدي إلى سواء السبيل، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله**»، ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ (سورة الحاقة: ١٨).

أجل! إن في محاسبة النفس على هفواتها، وفي وزن أعمالها بميزان العدل، بحيث لا يخرج عنه في كل تصرفاتها، وفي أخذ الأهبة للحساب يوم الحساب، وتقدير موقف العرض على رب العزة - في كل ذلك نهج سديد، وفي كل ذلك طريق للسعادة، وسبيل إلى دار السلام. ولكن: أين من يستجيب لذلك؟ أين من يأخذ بزمام نفسه، ويخلو بها في هجعته، ويقوم بمحاسبتها على ما قدمته طوال نهارها: من عمل صالح أو قبيح، فيحمد الله علي الخير إذا وفق إليه، ويستغفره من الشر إن أُجري على يده، ثم ينام قرير العين ناعم البال، فإن وافاه الأجل في هجعته، مات على خير ما يرجو، وإن بعث من رقدته؛ عاود نشاطه وقد أصلح من نفسه، واعتبر بزلاته، واشتغل بعيوبه ونقائصه، فكان في عداد من عناهم رسول الله ﷺ بقوله: «**طوبى لمن أمسك الفضل من قوله، وملك عليه لسانه، وشغله عيبه عن عيوب الناس!**».

أين في الناس ذلك المثل الرائع، الذي ضربه لمحاسبة النفس أبو الدرداء صاحب رسول الله ﷺ، حيث جلس يبكي، وقد رأي دولة الأكاسرة تهوي على أقدام

المسلمين، فخشي من مثل مصيرها، وأجاب من قال له: «ما بالك يا أبا الدرداء، تبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟»، أجابه بقوله: «ويحك! ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره! بينما هي أمة قاهرة ظاهرة - لهم الملك - تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى؟».

وأين في الناس من يذهب بعيدًا في أمثال المحاسبة وأخذ العبرة؟ فيستمع إلى القرآن: وهو يتحدث عن الماضين، ويستعرض قصص الظالمين، فيأخذ العبرة من مصيرهم، ويحاسب النفس على تفريطها؛ خشية أن يصيبه ما أصابهم.

ألا يا عباد الله، كونوا آذانًا صاغية، وقلوبًا واعية، حين تمرون بقول الله تعالى في كتابه ومحكم آياته، إذ يقول: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت:٣٨-٤٠)، ثم خذوا العبرة من مصير الظالمين، واتقوا الله في أنفسكم، واربئوا بها من أن توردوها موارد التلف، وتسلكوا بها مسالك الهالكين. وانتهجوا من قول الخليفة الراشد خير نهج للسالكين: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله**»: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (سورة الحاقة:١٨).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء:١١-١٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله شديد العقاب، سريع الحساب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العظيم الوهاب، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير مرشد أواب. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن من خير ما وهبه الله للعبد ضميرًا يقظًا يوجه إلى الخير، ونفسًا لوامة لا تبرح حتى تلومَ صاحبها، وتحاسبه على تصرفاته واتجاهاته، كلما جانب الرشد، وضل السبيل. والضمير اليقظ، والنفس اللوامة ـ يتكونان في المرء، إذا ارتفعت نفسه إلى الغاية القصوى، في مراقبة الله، والإحسان في معاملته. فاحرصوا ـ يا عباد الله ـ على استكمال الغاية في الإحسان والمراقبة؛ كي تظفروا بالمرغوب. ففي ذلك الصلاح والفلاح، وسعادة الدنيا والآخرة.

١٧ - في عرض ما قصه الله في كتابه عن اليهود
لمناسبة اشتراكهم في الاعتداء على مصر

الحمد لله كاشف الغم، مزيل الشدائد عن المكروبين، أحمده سبحانه، كتب النصر لعباده المؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، من اعتمد عليه كفاه وتولاه، فأَعَظْمِ بكفاية رب العالمين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نشر لواء العدل والسلام، وقضى على الظلم والطغيان، وكان خير المرسلين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما -: «**تَعرَّف إلى الله في الرخاء، يعرفْك في الشدة، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**». فالتعرف إلى الله في الرخاء، يكون باتباع أمره، واجتناب نهيه، وبذل الجهد في العمل الصالح الذي يرضيه. ويظهر أثر ذلك بارزًا، وتأتي النتيجة المطلوبة منه في أيام الشدة والبؤس، عندما تَدْلَهِمُّ الخُطُوب، وتكشر الحوادث عن أنيابها، وتستحكم حلقات الكروب. عندئذ يأتي الله سبحانه بالفرج، فيحمد العبد عاقبة الطاعة والإحسان، وتسكن نفسه لفرج الله ومدده، وتهدأ ثائرته.

وإن المسلمين - يا عباد الله - قد أضحوا أمام فتنة عمياء، وشدائد مظلمة، ليس لها من دون الله دافع أو مجير. إنها فتنة أوقد نارها الفئة الطاغية الباغية - فئة اليهود - تريد بذلك أن تخضد شوكة الإسلام، وهي العدو اللدود للإسلام كما ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (سورة المائدة: ٨٢). ولقد كان ديدنها - منذ القدم - نقضُ العهود والمواثيق، وتحريفُ الكلم عن مواضعه، وقتلُ الأنبياء، وأكلُ الرشوة، وغيرُ ذلك من الفظائع . فغضب الله عليهم ولعنهم،

وأعد لهم عذابًا أليمًا. قال تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٦١).

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (سورة المائدة: ٦٠).

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٦٢).

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة المائدة: ٤١).

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (سورة المائدة: ١٣).

هذه الفئة الطاغية الباغية، الموصومة بأفظع الجرائم، تريد أن تغزو الإسلام وتنتصر عليه، وهيهات! وأني لباغ أن ينتصر! تريد أن تكون لها الغلبة على أهل الإسلام، ولن يكون ذلك ـ إن شاء الله ـ فقد قطع الله تعالى الوعد بالنصر لأهل الإسلام: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الروم: ٤٧). وقال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (سورة غافر: ٥١). وقال: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٠).

إنها ـ يا عباد الله ـ شدائد سوف ينتج عنها خير للمسلمين. إنه كرب عظيم وسوف يأتي الله من بعده بالفرج العاجل. إنها مصائب يبتلي الله بها العباد: ليرفع بها درجات المؤمنين، وليمحص ذنوبهم، ويمحق الكافرين، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ (سورة محمد: ٣١).

فحققوا - يا عباد الله - ما أراده الله منكم: من طاعته والعمل بما يرضيه، يحقق لكم ما وعدكم به: من النصر والتأييد. واتقوا الله حق تقاته، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وتوجهوا إلى الله بقلوبكم، واستغيثوا به في كشف الضر عنكم ودفع المكروه. فما خاب عبد لجأ إلى الله، ولاذ بجنابه، واعتمد عليه. وضعوا أمام أعينكم وصية رسول الله ﷺ : **«واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (سورة آل عمران: ٢٠٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

١٨ - في الحث على الجهاد
بمناسبة الاعتداء الإنجليزي الفرنسي على مصر

الحمد لله الغني الحميد، أحمده سبحانه، وهو الفعال لما يريد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المبدئ المعيد، أشهد أن محمدًا عبده ورسوله، جاهد في الله حق جهاده، وبدد الكفر شر تبديد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، إن في كتاب الله تعالى سورة تدعى بسورة القتال، بدأها الله بقوله: ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ① وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ② ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ** ﴾ (سورة محمد:١-٣). وهذه الآيات الكريمة تنعقد فيها المقارنة بين المؤمنين والكافرين، ويظهر فيها الفارق العظيم بين أولياء الرحمن وحزبه، وبين أولياء الشيطان وجنده. فالكفار - أيًا كان لون كفرهم - هم أتباع الباطل، ديدنهم: الصد عن سبيل الله بشتى الطرق والوسائل، انتصاراً لباطلهم، وتدعيمًا لمسلكهم. من ذلك ما قصه الله تعالى في كتابه: من إنفاقهم الأموال للمحادة لدينه، ومحاولة الغلبة على عباده بالسلاح والعتاد، بالعدد والعدة. فخيب الله أملهم، وأبطل كيدهم ومكرهم، وجعل الدائرة عليهم، ولهم في الآخرة عذاب أليم، يحشرون إليه في جهنم. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ (سورة الأنفال:٣٦). فالفشل والخذلان وسوء المنقلب - هو نصيب الكافرين جميعًا، في كل زمان ومكان، مهما أجلبوا على المسلمين وتوعدوا، ومهما أبرقوا وأرعدوا. وعلى العكس منهم أولياء الرحمن وجنده، أولئك آمنوا بالله ورسوله،

وتنافسوا في الأعمال الصالحة، وفي طليعتها جهاد أعداء الله، بذلوا فيه النفس والمال، لتكون كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا. إنهم أتباع الحق، وأنصار دين الله. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات:١٥). صدقوا في إيمانهم وجهادهم، فكان أحدهم يستعذب الموت في سبيل نيل الشهادة، كان فيهم من استبطأ بضع ثوان يأكل فيها تمرات يسد بها رَمَقَه، فرمى بها، واندفع يضرب في العدو حتى استشهد. وكان فيهم من نزع عنه درعه، واستهدف لضربات العدو، حتى أذاقوا اليهود - أعداء الله - مرارة الخزي والعار، حاربوهم فهزموهم، وأجلوهم عن مدينة رسول الله ﷺ وحاصروهم، فاستسلموا ونزلوا على حكم الله، فقتلوا فيهم، وسَبَوا كما أمرهم الله. وكان جزاء هذه التضحيات العظيمة أن كَفَّر الله عنهم السيئات، وأصلح لهم الأعمال، ورفع لهم الدرجات. أولئكم - يا عباد الله - هم المؤمنون حقًا. فهلا كان فيهم بعض الأسوة! هلا افتدينا الدين بنفوسنا واشترينا الجنة بالموت في سبيل الله؛ فربحنا الصفقة! وليس شيء أحب إلى الله من قطرة دم تهراق في سبيل الله، كما ورد بذلك الحديث. ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (سورة التوبة:١١١). فَنِعْمَتِ الجنةُ من دار! هلا تبرع كل منا بحسب إمكانياته لتجهيز المجاهدين! فالقرش الواحد ينفق في سبيل الله، يضاعفه الله إلى سبعمائة ضعف.

ألا يا عباد الله، اتقوا الله، فإن الأمر جد. فخذوا للأمر أهبته، الحياة كلها متاعب، ونهايتها الموت، غير أن خير المتاعب ما جلب عزًا، وخلد ذكرًا، وكتب أجرًا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٢٠-٢٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

١٩ - في بيان فضل الجهاد والمجاهدين
بمناسبة الاعتداء الإنجليزي الفرنسي على مصر

الحمد لله المعز لجنده، وهازم الأحزاب وحده، أحمده سبحانه. وعد المؤمنين بالنصر، فَأَكْرِمْ بالوعد الصادق من العظيم الوهاب؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يغفر الذنب لمن تاب وأناب؛ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بدد بسيف الحق ظلمة الباطل، وتحطم تحت قدميه كبرياء كل باغٍ مرتاب. اللهم صل وسلم علي عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، كلمة جامعة، رسم بها رسول الهدى ﷺ، مدى التعاون الإنساني، والترابط الإسلامي؛ وفي أجْلَى صوره ومعاينه. يقول رسول الله ﷺ: **«المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضًا»**، شبّه الإخاء الإسلامي، والتضامن فيه - شبهه بالبنيان المتراص، الذي لا يمكن أن يتطرق إليه الخلل؛ فإذا اختل منه موضع لبنة: تصدع البنيان وأخذ في طريق الانهيار. وكذلك أخوة الإسلام، فهي محكمة الربط، مشدودة الأواصر، مرفوعة البناء.

ولقدشرع الله سبحانه الجهاد في سبيله - وهو من أبرز مظاهر التعاون العملي - لتدعيم الإخاء الإسلامي؛ إذ تتساند فيه القوة الإسلامية، وتتحد فيه سواعد المسلمين، لصيانة الإسلام من عبث العابثين، وبغي المعتدين. ولم يكن المسلمون في زمن أحرج فيه للتساند، وشد أزر بعضهم البعض، والقيام بفريضة الجهاد - من هذا الزمن، الذي تعاقدت فيه قوى الباطل على إزهاق الحق، وشن الغارة على المسلمين الآمنين، ونقض عهودهم، وغزو ديار الإسلام عنوة؛ الواحدة تلو الأخرى، يريد بذلك دعاة الباطل أن يقيموا للكفر منارًا وأن يعيدوها صليبية غاشمة، تصد عن سبيل الله: ؛

حتى لا يعبد الله، وحتى لا يقال في الأرض: (الله)، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة الصف: ٨).

ولقد أذن الله للمظلوم أن ينتصر، أذن له أن يقاتل، أذن له أن يبتر الأيدي الأثيمة المجرمة، الملطخة بالدماء البريئة، وأن يقطع دابر الكافرين، ووعده بالنصر، فقال: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (سورة الحج: ٣٩)، ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٧٤). ذلك - يا عباد الله - هو البيان الواضح، والإذن الصريح من الله، في الجهاد ورد العدوان. فأين من يستجيب؟ أين الشباب؟ شباب الإسلام، أولو القوة والبطش، والحمية الإسلامية، ينصر دين الله، ويجاهد تحت راية الإسلام، لا للقومية والعصبية، ولا للعنصرية والحزبية، بل يجاهد؛ لتكون كلمة الله هي العليا، ولتكون العزة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، فإن كتب له البقاء، عاش عزيزًا وقد وهبه الله أجر المجاهدين، وإن كانت الأخرى، نال أجر الشهادة، نال الجنة دار الكرامة والرضوان، والنعيم الدائم صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«انتدب الله لمن خرج في سبيله - لا يخرجه إلا إيمان بي، وتصديق برسلي -: أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة، أو أدخله الجنة»**، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٩-١٧٠). وصح عنه ﷺ أنه قال: **«لغدوة في سبيل الله، أو روحة خير من الدنيا وما فيها»**. وقال أيضًا: **«لا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله، ودخان في جهنم»**. ذلكم - يا عباد الله - هو الفضل من الله. فأين من يبتغي الفضل؟ أين أين المجاهدون؟.

فاتقوا الله عباد الله. وهبوا لنصرة دين الله، وإعلاء كلمة الله، وأعلنوها مدوية في الآفاق: الجهاد في سبيل الله، جهاد الكافرين، والظلمة الطغاة الباغين، أعداء دين الله. فإن لليوم ما بعده، وإن الموت في حومة الوغى، خير من الموت تحت الذل والاستعباد، وامتهان العقيدة والدين، فالجنة - كما ورد في الحديث: **«تحت ظلال السيوف»**. وهي أيضًا: تحت قذف القنابل، وبين قصف المدافع.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة: ١١١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاسغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم الحليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب العرش العظيم؛ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خاتم النبيين، وسيد المرسلين؛ اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، إن سلاح المقاومة المادي للأعداء ـ الذي يتمثل في الحديد والنار ـ يجب أن يُدْعَمَ بسلاح رُوحي، هو الدعاء والابتهال إلى الله، والتذلل بين يديه، فقد أخذ رسول الله ﷺ عندما التحمت جيوش الباطل مع جيوش الحق، في بدر ـ أخذ يناشد ربه ما وعده به: من النصر؛ ورفع يديه إلى السماء حتى سقط رداؤه، وحتى أشفق عليه الصديق أبو بكر، أخذ يهدئ عليه، ويقول: **«كفاك مناشدتُك ربك، إنه سينجز لك ما وعدك»**.

وإذا كان هذا فعل رسول الله ﷺ، فجدير بنا أن نلح في المسألة، وأن نكثر الدعاء بقلوب صادقة، وإيمان ثابت: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله، رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش الكريم، حسبنا الله ونعم الوكيل، يا قديم الإحسان، يا من إحسانه فوق كل إحسان، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا من لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه: انصرنا على أعدائنا، انصرنا على اليهود وحلفائهم من المستعمرين الغاصبين، وأَظْهِرْنا عليهم في

عـافـية وسـلامـة عـامة عـاجـلاً، اللهم عليك بهم، الـلهم عليك بهم، فـإنهم لا يعجـزونك، اللهم شتت شملهم، اللهم فـرق كلمتهم، اللهم اجـعل بأسهم بينهم، اللهم إنا نجعلك في نحـورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم استـر عوراتنا، وآمن روعاتنا، ونجنا ممن نخاف. اللهم رحمتك نرجو، اللهم رحمتك نرجو، فلا تكلنا إلى أنفسنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخـافك ولا يرحمنا، اللهم انصر دينك، اللهم انصـر دينك، اللهم انصر ديـنك وكتـابك، ونبيك وعـبـادك المؤمنين، اللهم آمنا في أوطاننا، وأمن بلاد المسلمين إخواننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خـافك واتقاك، واتبع رضـاك، يا أرحم الراحـمين، اللهم أعز الإسـلام والمسلمين، اللهم أعـز الإسلام والمسلمين، اللهم أعـز الإسلام والمسلمين، واحم حـوزة الدين، ودمر اليـهود ومن شايعـهم من المستعـمرين، ووحد بين صـفوف المسلمين، وأصلح قادتهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦). اللهم صل وسلم على عبـدك ورسولك محمـد، وعلى آله الطيبين. وارض اللهم عن خلفـائه الأربعة ـ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ـ وعن سائر الصحابة أجمعين، وعنا معهم بعفوك وكرمك، يا جواد يا كريم. ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٣) ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

عباد الله... ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل: ٩٠). فاذكروا الله على نعمه.

٢٠ - في الحث على الصبر

الحمد لله معين الصابرين، أحمده سبحانه، يكشف الهم، ويزيل الغم عن المكروبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد الصابرين، وإمام المتقين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، إن لكل أمر عتادًا، وإن عتاد الشدائد الصبر، إنه عتاد يبعث على الطمأنينة، وترقب به النفس بلوغ الأماني. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«وجدنا خير عيشنا بالصبر»**. وقال الإمام علي رضي الله عنه: **«إن الصبر من الإيمان، بمنزلة الرأس من الجسد»**، وأردف ذلك بقوله: **«ألا، إنه لا إيمان لمن لا صبر له»**.

ولقد ذكر الله سبحانه الصبر في تسعين موضعًا من كتابه، يرغب فيه، ويقرنه بأعمال صالحة تقرب العبد إليه، ويأمر به كوسيلة من وسائل الخير، وسبيل إلى الفلاح والفوز. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾(سورة البقرة: ١٥٣)، وقال تعالى: ﴿**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ (سورة الشورى: ٤٣). ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما أُعْطِي أحدٌ عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»**. وإن أعظم مواقف الصبر، صبر المرء على البلاء، وتجلده أمام الخطوب والكوارث. إنه موقف أولي العزم من الرسل صلوات الله عليهم. وإن أشد الناس بلاء الأنبياء، فلقد أوذوا في الله فكانوا أئمة للصابرين، أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، بما لا يُحْتَمَلُ من الأذى فصبر، وكانت له العاقبة على القوم الظالمين.

ولقد كان الجزاء على الصبر عظيمًا، بقدر عظم البلاء، كما ورد في الحديث: **«إن عظم الجزاء، مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم»**.

وقد ابتلي المسلمــون بأعظم أنواع المصائب: في أنفســهم وأموالهم، في ديارهم ومصالحهم، ابتــلوا باليهود أخبث خلق الله: يَنْقَضُّون علــيهم، ينقصون من أطراف بلادهم، يريدون أن يقيــموا لهم في العالمين منارًا، وهيهــات أن يعلو قوم وضع الله من شأنهم، وضرب عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بلعنــة الله وغضبه. وابتلوا بغشم المستعمرين وظلمهم واستبدادهم، ولهم في كل يوم معهم مأساة جديدة. فالمسلمون في حاجــة ماسة إلى التدرع بالصــبر مع النضال المســتمر، إنه سلاح يدعــمه الإيمان واليقــين، إنه الضياء المــشرق؛ كمــا ورد في الحديث، يَشُقُّ بــه العبد ظلــمة المحن، وحوالك الخطوب، إنه الدعــامة التي يتركز فــيها النصر، فــجهاد من غيــر صبر، لا يتحقق فيه النصر.

فاتقوا الله عباد الله، وتدرعوا بالصبر، والتمسوا به الأجر، فنعم أجر الصابرين.

أعوذ بالله من الشــيطان الرجيم: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (سورة محمد: ٣١).

نفعني الله وإياكم بهدي كــتابه. أقول قولي هذا، وأستــغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٢١ - في مناسبة كف العدوان الإنجليزي الفرنسي على مصر

الحمد لله المعز لمن أطاعه واتقاه، أحمده سبحانه، هو المتفرد في علاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يعز من عاداه، ولا يذل من تولاه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نبي الهدى، فَـأَكْرِمْ بمن سار على نهجه واقتفاه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ : **«عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له»**. أَجَلٌّ ذلك هو الخلق الكريم، خلق الصالحين والبررة المتقين، شكر على السراء، وصبر على الضراء، ليستكمل بذلك العبد السعادة بحذافيرها. ففي الشكر تقدير للنعمة، وبعد عن جحودها. وفي الصبر ترفع عن قنوط القانطين، وجزع المتضجرين.

ولقد جرت سنة الله تعالى. أن يبتلي عباده بالخير والشر، ويمتحن إيمانهم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى، يمتحنهم بالشدة بعد الرخاء وبالعكس؛ يمتحنهم بالصحة بعد المرض، وبالغنى بعد الفقر والبؤس، يمتحنهم بما يحبون وما يكرهون؛ لينظر مبلغ شكر الشاكرين، ومدى صبر الصابرين والمحتسبين، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٥).

وإن ما ابتلي به المسلمون قريبًا من تألب المعتدين عليهم، وتكتل المجرمين لسفك دمائهم البريئة، وغزوهم في ديارهم، هو - بلا شك - بلاء ومحنة، شر مستطير. ولكنهم - حين قابلوا ذلك بالصبر الجميل، والتضحية في أرفع مجالاتها - أعقبهم الله

بالخير بعد الشر، أعقبهم باندحار قوى الشر والعدوان وردها على أعقابها، وفشلها في سياستها وكيدها، وإحباط خططها الأثيمة، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً﴾ (سورة الأحزاب: ٢٥). وتلك هي المنة العظمى، المنة التي يجب أن تقدر، وأن تقيد بالشكر للمنعم العظيم، وهي المعجزة الخارقة: لأن هذا الاندحار وفشل الكفار، لم يكن لتفوق في العدّ والعدة، وإنما كان بفضل الله ورحمته، وكرمه علي عباده، ثم ببركة التوجه إلى الله وحده، في تفريج الكرب وكشف الشدة، واللجوء والتضرع إليه، والاستعانة به والتوكل عليه.

فيجب أن نعترف بهذه الحقيقة، كما يجب أن نعترف بأخطائنا، وأن نتوب من ذنوبنا، لأن الذنوب من أعظم وسائل النقم والبلاء. أجل! يجب أن نرجع إلى الله، ونسأله المغفرة من ذنوبنا، فلقد فرَّطنا كثيراً في جانبه، حتى أصبح في الناس من يتشكك في وجود الباري جل وعلا، وأصبح في الناس من ترك الصلاة ـ التي هي صلة بين العبد وربِّه ـ وقال: إنها رجعية من بقايا العهد القديم، وما هي في الواقع إلا عمود الدين، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة. وأصبح في الناس من يحتسي الخمر التي سماها رسول الهدى: «ام الخبائث». وأصبح في الناس كاسيات عاريات، يغرين بالإثم والرزيلة، ويحفزن على التحلل من الفضيلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، كما جاء في الحديث. وأصبح في الناس ألوان من الذنوب والمعاصي، لا يحدها الحصر، وإنما تكفي فيها الإشارة، وكلها أسباب للنقم، وعوامل لسخط الرب جل وعلا، ولحلول المصائب والكوارث، فإن الله سبحانه قد رتَّب الجزاء على العمل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (سورة الشورى: ٣٠).

فطريق السلامة إذن ـ إلى جانب شكر النعم ـ الرجوع إلى الله، والفرار إليه من الذنوب، والتوجه إليه في تكفير ماضي الآثام، والعودة إلى ما يجب من طاعته. ليعود إلى ما نحب من الفرج بعد الكرب، والرخاء بعد الشدة، والنصر والتمكين

والاستخلاف في الأرض؛ كما وعد بذلك المؤمنين من عباده. وإن خير ما أوصيكم به: تقوى الله؛ فما خاب عبد اتقى الله، فأحسن له ربه العاقبة وتولاه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة النور: ٥٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله القدير البصير؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أكرم رسول وخير بشير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله؛ صح عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة». فهلموا عباد الله إلى التوبة، والندم على الماضي، وعقد النية على صالح الأعمال. لعل الله أن يرفع عنا كل بلاء، ويدفع عنا كل سوء ومكروه، وصلوا على الهادي البشير، محمد السراج المنير؛ فقد أمر بذلك الله اللطيف الخبير: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦). اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد أكرم نذير؛ وارض اللهم عن خلفائه الأربعة - أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - وعن الآل والصحب، ومن على نهجهم إلى الله يسير، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا جواد يا قدير.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعـز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر اليهود ومن شايعهم من المستعمرين، وألف بين قلوب المسلمين، ووحد صفوفهم، وأصلح قادتهم، واكـفهم الفرقة، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين. اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا؛ واجعل ولايتنا فيـمن خافك واتقاك، واتبع رضـاك، يا أرحم الراحمين. ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة الممتحنة: ٥). ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

عباد الله؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل: ٩٠). فاذكروا الله على نعمه، واشكروه على آلائه؛ ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٢٢ - في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله لم يخلق الخلق عبثًا، ولم يتركهم سدى، بل لقد شرفهم بالأمر والنهي، وهداهم به إلى الصراط المستقيم، أحمده سبحانه، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، من على العرش استوى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أفضل من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، حتى استقام الدين، فَأَكْرِمْ به من نبي الهدى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، ألم تروا إلى المثل يضربه رسول الله ﷺ للقائم على حدود الله، والواقع فيها، فيقول: **«مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها - كمثل قوم استهموا (أي: اقترعوا) على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم في أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقو من الماء: مروا على من فوقهم؛ فتأذوا بهم؛ فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذ من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا؛ هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم؛ نجوا ونجوا جميعًا»**.

وإنه - يا عباد الله - لمثل محسوس، يهدف إلى مجتمع اسلامي متماسك، تتركز فيه دعائم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويتعاون أفراده على إقامة حدود الله وشرعه، فيسود فيه الأمن والطمأنينة: الأمنِ من الرذيلة في كل صورها وأشكالها، والطمأنينة على سلامة الدين من الاضمحلال، وعلى الأخلاق من التدهور والسقوط، وينفر من المجتمع الوضيع، الذي ترك لأفراده الحبل على الغارب: يعيشون كما يشتهون، ويتجاوزون حدود الله، ويعبثون بالأخلاق كما يريدون، دون راعٍ أو زاجر، ﴿ **إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ (سورة الفرقان: ٤٤).

وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ يا عباد الله ـ هو حصن الإسلام المنيع، الذي يحجز عن الفتن وشرور المعاصي. وهو سبحانه القوي، الذي يحمي أهل الإسلام من نزوات الشيطان، وفلتات الهوى والباطل، وهو البناء المتين الذي تتماسك به عرى الدين، وتنصقل فيه الأخلاق. فإذا اندك هذا الحصن، وإذا استبيح هذا السياج، وإذا انهار هذا البناء فعلى المسلمين السلام، وويل يومئذ للفضيلة من الرذيلة، ويل للحق من صولة الباطل، ويل للصالحين من سفه الجاهلين، ومكر الفاسقين.

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر شعيرة من شعائر الدين، شرعها رب العالمين: لمصلحة عباده، ولعمارة أرضه. فإذا تعطلت هذه الشعيرة: تعطل أكبر عامل للإصلاح، وأعظم أداة للتهذيب والتقويم، وتعامى الناس عن المنكر: وهو على مرأى ومسمع منهم، فلا الوالد يزجر ولده، ينكر عليه قبيح فعاله، ولا الجار ينصح لجاره، بأمره ونهيه، ولا القريب أو الصديق يُعْنَى بأمر قريبه وصديقه، فيرده إلى الطريق، ويأخذ بيده عن أن يتردى في الهاوية. وإذا تعطل الأمر والنهي بين أفراد المجتمع: فسد المجتمع، وعندئذ يأخذ الله العامة بجريرة الخاصة، ويعذبهم جميعًا، كما جاء في الحديث: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم. وهم قادرون على أن ينكروا. فلم ينكروا. فإذا فعلوا ذلك: عذب الله العامة والخاصة». وجاء في الحديث أيضًا: «أوحى الله إلى جبريل: أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها. فقال: إن فيهم عبدك فلانًا لم يعصك طرفة عين، فقال: اقلبها عليه، فإن وجهه لم يتمعر فيَّ ساعةً قط (أي: لم يغضب لله في تغيير المنكر)، فبدأ بإهلاكه». وجاء في الحديث أيضًا: «إن أول ما دخل النقصُ على بني إسرائيل، أنه كان الرجل يلقى الرجل، فيقول له: يا هذا، اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك. ثم يلقاه في الغد. وهو على حاله. فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده. فلما فعلوا ذلك؛ ضرب الله قلوب بعضهم ببعض»، ثم قال: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٧٨-٧٩)، ثم

قال رسول الله ﷺ : «كلا، والله لتأمُرُن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخُذُن على يد الظالم، ولتَأطُرنُه على الحق أطرًا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنَنَّكم كما لعنهم».

فاتقوا الله عباد الله، وائتمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر بقدر المستطاع، يأجركم الله، وتكونوا من حزبه، الذين استجابوا لأمره، فمدحهم في محكم كتابه بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاسغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، لقد قام الخليفة الراشد أبو بكر رضي الله عنه خطيبًا، وقال يا أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (سورة المائدة: ١٠٥)، وإنكم تضعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: «إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه، يوشك أن يعمهم الله بعقابه».. ويهدف الخليفة إلى ضرورة إنكار المنكر؛ خشية تفاقم الشر، ولئلا ينتشر الإثم، فيصعب التغلب عليه، ويحَقَّ على الأمة العذاب. فأجهدوا النفوس - رحمكم الله - في التعاون على الخير، والقضاء على الشر في مهده مُبدأ أمره.

٢٣ - في الوصية بالجار

الحمد لله مالك الملك عظيم الشان، أحمده سبحانه، أمَرَ بالإحسان، ونهى عن الطغيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الهادي إلى سبيل الملك الديان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، تعتز الأمم بعظمائها، وتفخر بمننهم وأياديهم عليها، وتستجيب لتنفيذ وصاياهم، وتذعن لتوجيهاتهم، قيامًا بحقوق مننهم وأياديهم عليها. وأي عظيم - يا عباد الله - أرفع مِنَّةً، وأوسع فضلاً، وأكرم يدًا من رسول الله ﷺ، الذي أخرج العباد من الظلمات إلى النور بإذن الله، وهداهم - بهداية الله - إلى ما فيه صلاح الدين والدنيا، وفلاح الآخرة والأولى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ١٢٨).

ولقد كان في جملة وصاياه - التي يجب على كل فرد من الأمة تنفيذها، والقيام برعايتها - الإحسان إلى الجار، ورعاية حقوقه، واحترام جانبه. يقول رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره»**، وفي رواية: **«فليكرم جاره»**. ويقول أيضًا: **«خير الجيران عند الله خيرهم لجاره»**. ويقول أيضًا: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»**.

وإن مجال الإحسان إلى الجار - يا عباد الله - واسع شامل. غير أن في طليعة الإحسان إليه كفَّ الأذى عنه في مختلف الوجوه، فالاشتباك مع الجار في خصومة دائمة، ووضع الأذى في طريقه، واقتطاع جزء من أرضه، والنظر إلى أهله، وتحريض

الأبناء على أبنائه للإضـرار بهم - كل ذلك وأمـثاله، إيذاء يجـب الكف عنه بالنسبـة للعباد جميعًا، وهو بالنسبة للجار اعتداء سافر على حقوق الجوار، يجب الترفع عنه، وخروج على وصيـة الحبيب رسول الله الإحسـان إلى الجار. وإن من الأذى أيضًا أن يرفع البعـض صوت المذياع في سكون الليل عندمـا يستسلم الناسُ لـلراحة، فيـتأذى بذلك البعيد، فضلا عن الجار القريب، إنه يَأْرَقُ، ويتألمُ من أرقه، وقد يكون مريضًا أو لديه مـريض، أو هو ممن يكدح طوال اليـوم في عمل مُـضْنٍ، أو يكون مـتعلمًـا يستذكر دروسـه أو معلمًا يجهز أبحاثه، أو غيـر ذلك: ممن يطلبون الراحة في سكون الليل. وفي رفع المذيـاع بالشيء النافع ضـرر بهم، ومـضـارة لهم، فكيف إذا كـان بالأغاني الرقيقة أو التـمثيليات المرعبة، التي تتعالى فـيها أصوات الضاحكين، ويرتفع صخب الممثلين والمهرجين؟! وقد توعـد رسول الله ﷺ على مضارة المسلم في كل ألوان المضارة، فـقال: «من ضار مسلمًا ضاره الله». ونفى كمـال الإيمان عن كل جار يعرض لجاره بالسوء والأذى، فقال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: من يا رسـول الله؟ قـال: «من لا يأمن جاره بوائقـه». أي: غـوائله وشروره. وإن من الشـر إزعاجه بأي وسيلة من وسائل الإزعاج، وتسهيده حتى لا يأخذ قسطه من الراحة.

وإن في الناس من يزعم أن في هذا الحـد تضييـقًا للحرية الشـخصيـة. وللحرية الشخصية - يا عباد الله - حدود لا يصلح أن نتـجاوزها أو نخرج عليها، فما شرعت الحدود إلا للحد من طيش الحـرية الشخصية، وما فـرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا لقمع نزوات الحرية الشخصية.

فاتقـوا الله عباد الله، واحرصـوا على تنفيذ وصـية الحبـيب رسول الله ﷺ، وارعوا حق الجوار، وترفعوا عن كل أذى وإضرار، فرحم الله عبدًا أنصف من نفسه، وطلب ما عند الله بالإحسان إلى جاره.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (سورة النساء: ٣٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المتفرد في علاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، من اختاره الله لرسالته واصطفاه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، **وقال: يا رسول الله، إن فلانة تُذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في النار». قال: يا رسول الله، إن فلانة تذكر بقلة صيامها وصدقتها وصلاتها، ولا تؤذي جيرانها**. قال: **«هي في الجنة»**. وهذا الحديث مثل واضح يصور الوعيد الشديد في حق كل جار يؤذي جاره، أو يعرض له بسوء.

٢٤ - في التحذير من قراءة المجلات الخليعة والصحف المنحرفة

الحمد لله مقلب القلوب والأبصار، يهدي من شاء برحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، أحمده سبحانه! لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العزيز المنتقم من أسرف على نفسه من عباده، والرحيم الغفور لمن تاب وأناب إليه من خليقته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نبي الهدى والمصطفى لرسالة ربه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، أرأيتم لو أن لأحدنا زرعًا بهيجًا ناضرًا، هو أعجب ما وقعت عليه العيون، هل من العقل وسديد الرأي، أن يهمله ويتركه تعبث فيه الأنعام، ويتطرق إليه الفساد؟ أم يحوطه بسور منيع يرد عنه الماشية من أن تصل إليه وترعاه، فيحرم ثمرته أحوج ما يكون إليه؟! والجواب بالبداهة: لابد أن يحوطه بأسوار منيعة - لا بسور واحد - ليصونه ويرد عنه العوادي.

وإن أفضل ثمارنا، وخير زروعنا، وأعظم ما نبتهج به - هم أولادنا، إنهم الرياحين الناضرة في حياتنا، إنهم فلذات أكبادنا، وزينة دنيانا، كما أخبر بذلك أصدق القائلين: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (سورة الكهف: ٤٦).

وإن هذه الزروع، وهذه الثمرة الجميلة - يوشك أن نحرم منها، ويوشك أن تعصف بها الريح بعد أن طابت ورجونا خيرها وبرها.

أتدرون - يا عباد الله - أيَّ ريح هذه؟ إنها ريح الإثم والجريمة المنتنة، ريح التحلل والفساد، تنقلها إليهم بعض الصحف والمجلات والروايات الرخيصة، التي تنشر الإثم عاريًا، وتتحدث عن الرزيلة في أسلوب قذر مكشوف. إنها - يا عباد الله - دروس

منظمة يتلقونها في الانحلال والتفسخ من الدين، ومن كريم الأخلاق والفضائل. إنها حملة شعواء يشنهـا على الفضيلة بعض المخدوعين، ويوجهونها نحـو الشباب ـ نحو أبنائنا، وفلذات أكبادنا ـ: ليستلبوهم منا بأساليبهم المغرية الخداعة، وأقلامهم المسخرة المأجورة.

أيرضيكم ـ يا أبناء الفطرة، ويا أتباع دين محمد ـ أن ينصرف أبناؤنا وإخواننا عن الدين؟ ونحن أهـل الدين وحُـمـاتُه، أو هل يروق لكـم ـ يا شـبـاب الإسـلام ـ أن يستدرجكم المبطلون إلى باطلهم؟ وأنتم عماد الحق، وأنصار الفضيلة.

إنها ـ يا عباد الله ـ طعنات مسددة إلى قلوبنا. فليتق كل منا هذ الطعنات، بأشد أنواع المقاومة، وأعنف وسائل الكفاح. فالكل منا له أولاد، هم قلوبنا النابضة، وهم وديعة في أيدينا، وسـوف نسأل عن هذه الوديعة أمام الجـبار، كما جـاء في الحديث الشريف: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته». فيـا لهول من فـرط في هذه الوديعة! يا لهول من قـصر في هذه المسئولية العظيمـة! يا لهول من ترك لأبنائه الحبل على الغارب، ولم يوجههم التوجيه الصحيح الراشد!

فاتقوا الله عباد الله، والتمسوا النجاة لأولادكم وإخوانكم من كل ما يغضب الله، ووجهوهم الـتوجيه الصالـح الذي يرضي الله، وخذوا على يد السفيـه منهم يأجركم الله، وبذلك تكونون قد قمتم بواجب المسؤولية العظيمة التي فرضها عليكم الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة التحريم: ٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كـتابه. أقول قولي هذا، وأستـغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا لا مزيد عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مصير الخلائق راجع إليه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، جاهد في الله حق جهاده، حتى استقام الدين، ووضح الطريق إليه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**»، أي: يجعلانه يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا. والمراد بذلك هو التوجيه والإرشاد. فمن وجه من المولودين توجيهًا إسلاميًا صالحًا: فقد بقي على فطرته التي فطر الله عليها الخلق أجمعين، ومن وجه توجيهًا خاطئًا: فإنما تجتاله الشياطين - أي: تحوله الشياطين عن الهدي القويم. - كما جاء في الحديث القدسي، يقول رسول الله ﷺ - فيما يرويه عن ربه: «**خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين**».

فحذارِ - يا عباد الله - أن تجتال أبناءكم شياطين الإنس والجن، فيذهبوا في مهب الريح، ذات اليمين وذات الشمال، حيارى لا يهتدون الطريق.

٢٥ ـ في الحث على الشعور بحرمة الشهر الحرام

الحمد لله فالق الحب والنوى، أحمده سبحانه! على العرش استوى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد البررة المتقين أولي البصائر والنهى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، لقد آن لنا ونحن في شهر حرام ـ وللشهر الحرام مهابة وروعة في النفوس ـ آن لنا أن نتحسس في أنفسنا مبلغ الشعور بهذه الحرمة، ومدى ما تتطلبه من استقامة ومسلك صالح، يتناسب مع عظمة العظيم، وحرمة الشهر الكريم. أجل، آن لنا أن نتعرف هذا الشعور في أنفسنا، ونتبين الفارق بين ماضينا وحاضرنا، بين الماضي الذي نرجو من الله أن يغفر لنا، فلقد كان منا الكثير من التفريط في جانب الله، والتقصيرِ في أوامره، والاندفاعِ وراء الشهوات، والجري وراء تحقيق رغبات النفوس الأمارة بالسوء. وبين الحاضر الذي نحن فيه: حيث قد نزل بساحتنا شهر حرام، هل حدث لنا فيه تبدل؟ فسرنا على نهج الهدى، وقمنا بما افترض الله علينا، وترفعنا عن دواعي الهوى، وآخذ الكل منا نفسه على شطحاتها، وحد من نزواتها، فكنا بذلك أحسن حالاً من ماضينا، وأفضل مسلكًا، وأقرب إلى الخير، وأبعد عن مسالك الشر.

ذلك هو المفروض علينا إزاء تعظيم هذا الشهر الحرام ـ ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ (سورة التوبة: ٣٦). أي: بالذنوب كيفما كان لونها، فالذنب في سائر الأيام فظيع؛ لأنه جرأة على العظيم المنتقم الجبار، الذي يمهل ولا يهمل، والمحسن ذي النعم السابغة والفضل العظيم، وهو في الشهر الحرام أشد فظاعة: لأنه يجمع إلى الجرأة والاستهتار، امتهان حرمة ما شَرَّفَهَ الله وعَظَّمَه واصطفاه من أيامه.

وإذا كانت الجاهلية بآثامها وأوضاعها وخبائثها، كانت تحترم الشهر الحرام، فلا تسفك فيه دمًا، ولا تأخذ فيه بثأر أفلا يجدر بأبناء دين الفطرة، وأتباع رسول الهدى محمد ﷺ، أفلا يجدر بهم أن يرتدعوا في الشهر الحرام، عن الذنوب والآثام، وأن يقبلوا فيه على الطاعة والتوبة إلى الملك العلام، وأن يستطلحوا فيه من أنفسهم: ليبدلهم الله من سيئاتهم حسنات، ويمحو عنهم ما فرطوا ففي الماضي، وما افترقوا من السيئات.

ألا، وإن الحياة أدوار ومراحل تفنى فيها الآجال، وتنقطع الآمال، فاغتنموا - رحمكم الله - فرصها، واعملوا جاهدين لكسب الوقت فيها. فمن يدري متى يكون الفراق لها؟ وكم من الأدوار يقطع منها؟ وإلى أي مرحلة يقف به المسير فيها؟ وهل يعود هذا الشهر ثانية؟ أم يغدو في جيوش الموتى رهن القبور، لا أنيس له إلا ما قدم من عمل صالح مبرور. كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: **«إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء؛ وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»**.

فاتقوا الله عباد الله، والتزموا النهج السديد، والهدى الراشد في هذا الشهر الحرام، بل وفي كل شهور الله؛ يأجُرْكم الله، وتفوزوا بالعفو والمغفرة ورضوان الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ**﴾ (سورة التوبة: ٣٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب الوجه المنير، والحوض الروي السلسبيل. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، يقول إمام في التابعين: «إن الله اصطفى صفايا من خلقه: اصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم؛ واصطفى من الأيام يوم الجمعة؛ واصطفى من الليالي ليلة القدر». فعظموا ما عظم الله؛ فإنما تعظيم الأمور، عند أهل الفهم وأهل العقل، لشيء عظمها الله به.

فعظموا - يا عباد الله - شهركم هذا، بالطاعة في حدود المشروع، فَنِعْمَت الطاعة في الشهر الحرام. وصلوا على النبي محمد سيد الأنام، فقد أمركم بذلك الملك العلام: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب:٥٦). اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه. وارض اللهم عن خلفائه الأئمة الأعلام - أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - وعن الآل والصحب الكرام، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان من سائر الأنام، وعنا معهم بعفوك وكرمك؛ يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر اليهود وأعوانهم من المستعمرين الغاصبين، وألف بين قلوب المسلمين، وأصلح قادتهم، ووحد صفوفهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا؛ واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا أرحم الراحمين ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحشر: ١٠). ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

عباد الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠). فاذكروا الله على نعمه. واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٢٦ ـ في الإسـراء والمعـراج

الحمد لله العلي الأعلى، أحمده سبحانه، يعلم السر والنجوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسـماء الحسني والصفات العلى، وأشهـد أن محمدًا عبده ورسوله، نبي الـهدي، وخير الورى، والشفيع يوم القيـامة في كل من وحد الله واهتدى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيـا عباد الله، خارقـة عجيبـة في تاريخ الإسلام، ومعجـزة خالدة لرسول الهـدى والسلام، حيـرت عقول أعـداء الإسلام، وقرت بـها أعين المؤمنين، وازدادوا بها إيمانًا وتصديقًـا للرسول خير الأنام، تلك المعجـزة هي: الإسراء والمعراج بأكرم الخلق على الله محمد رسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، قطع الحبيب هذه المسـافة الشاسعة ليـلاً، ورأي من عظيم آيات الله الدالة على عظمة ملكوته جل جلاله، ثم عاد في نفس الليلة. إنها لعـبرة الدهر، يُغص بها الملحدون، كما غُص بهـا من قبل الجاحدون المعـاندون، فباءوا بالخيبـة والخسران ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ (سورة الإسراء: ١)!.

ولقد اخـتلفت أقوال العلماء ـ رحمـهم الله ـ في تحديد الإسراء والمعراج بـشهر معين، بحسب النقول الواردة في ذلك. فمنهم من رجح وقوعه في شهر ربيع الأول. ومنهم من قرر حدوثه في ربيع الثاني. وآخرون ذهبوا إلى أنه كان في رجب. وفريق قال به في رمضان وشوال. فاتضح أن ليس ثَمـة جزم على التحديد بشهر معين. وإذا لم يكن ثمة جزم بتحديد الشهر، فكيف يصح الجزم بتحديد ليلة الإسراء والمعراج؟ أو يجـوز القطع بأنه حدث ليلة سـبع وعشـرين في شهـر رجب؟ كمـا يجنح إلى ذلك

البعض من الناس: حيث يحتفون بهذه الليلة، على اعتبـار أنها عيد لها صبغة الأعياد المشروعـة. وعلى فرض الترجـيح بوقوع الإسراء والمـعراج في ليلة سبع وعـشرين، فليس من السداد أن تأخذ هذه الليلةُ شكل الأعياد المشروعة. لأنه لو سلم بصحة هذا المبدأ ـ مبدأ تشريع أعياد جديدة، وإحـياء ذكرى المناسبات العظيمة في تاريخ الإسلام ـ، للزم أن يتخذ من ليلة القدر المفضلة عيدًا، ومن يوم الهجرة الذي غير وجه التاريخ عيدًا، ومن غزوة بدر ـ الفاصلة بين الكفر والإيمان ـ عـيدًا ومن كل المناسبات العظيمة أعيادًا يحـتفى بها، تضاف إلى الأعـياد الإسلامية. ولكن الـشرع وضع حدًا لذلك: حيث نص على الأعـياد المشروعة، ولم يرخص في مـزاحمتها بأخـرى. قضى على فوضى الأعيـاد، واستقر الوضع علـى عيد رمضان والأضـحى. روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**قـدم رسـول الله ﷺ المدينة. ولهم يومـان يلعـبون فـيـهـمـا. فـقـال: «مـا هذان اليومان؟»، قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر»**.

قال العلماء ـ رحمهم الله ـ: ففي ذلك دليل على النهي عنهـما، احتياطًا بيومي الإسلام. ووقـفت القرون المفـضلة عند هذا الحد، فلم تكن تعـمد إلى إحيـاء ذكرى الحوادث الإسلامية على كثرتها، ولم تتخذ من الأيام المفضلة أعيادًا تحتفل بها. والخير فيما ذهبوا إليه، والصواب فيما وقفوا عند حده، والقدوة بهم فيها سلامة الدين.

وحسب المرء أن يسلم له دينه، في زمن أخوف مـا يخاف الناس فيه على الدين. يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة**»، أولئك أصحاب مـحمد ﷺ: كانوا أفـضل هذه الأمة وأبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصـحبة نبيه ﷺ ولإقامة دينه. فاعرِفوا لهم فضلهم، واتبـعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استـطعتم من أخلاقهم وسـيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

فاتقوا الله عباد الله، واحرصوا كل الحرص على الاتباع، وحذارِ ثم حذارِ من الابتداع، فإن الأول لم يترك للآخر مقالاً، ولم يدع له مجالاً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ٣١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العظيم الباقي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نبي الرحمة، والحبيب الهادي. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: **«تركتكم على البيضاء** - يعني: شريعته وسنته. - **ليلها كنهارها** - أي: في الوضوح وعدم اللبس - **لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش فسيرى اختلافًا كبيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواخذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**.

وصلوا عباد الله، على أكرم خلق الله: الرسول محمد بن عبد الله، فقد أمركم الله بذلك وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب:٥٦). اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه. وارض اللهم عن خلفائه الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الآل والصحب الكرام، وعن التابعين لهم بإحسان، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعـز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الـدين، ودمر اليهـود وأعوانهم من المستـعمرين الغـاصبين، وألف بين قلوب المسلمين، ووحد صـفوفهم، وأصلح قادتهم، واجمع كـلمتهم على الحق يا رب العـالمين. اللهم آمِنَّا في أوطاننـا، وأصلح أئمتنـا وولاة أمورنا، واجـعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك، يا أرحم الراحمين، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحشر: ١٠).

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

عباد الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠). فاذكروا الله على نعمه. واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٢٧ ـ في الحث على الصلاة والترهيب من المعاصي

الحمد لله المحمود بفعاله، ونعوت جلاله، أحمده سبحانه! له في كل شيء آية تدل على وحدانيته وكماله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المثل الكامل في خُلقه وخصاله وفعاله. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، يقترن بمعجزة الإسراء والمعراج أمران عظيمان، لهما أثرهما وخطورتهما. الأمر الأول: فريضة الصلاة وشرعيتها، حيث قد فرضت ليلة الإسراء والمعراج. الأمر الثاني: عرض المعذبين من أصحاب المعاصي. وقد شاهده رسول الله ﷺ في هذه الليلة أيضًا.

أما الصلاة: فإن لها شأنًا، فيا له من شأن! كيف: وهي الصلة بين العبد وربه، هي النور الذي يستضيء به، وهي البرهان على صحة إيمانه، والوسيلة لنجاته! كما جاء في الحديث: «من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة». هي ركن الدين، وعمود الإسلام. وهل يستقيم البنيان بلا عمد وأركان؟! . هي آخر ما يفقده الناس من دينهم، فليس بعد ذهابها إسلام، هي أول ما يسأل عنه العبد ـ من عمله ـ يوم القيامة، فإن تقبلت : تقبل منه سائر عمله، وإن ردت: رد عليه سائر عمله؛ كما صح بذلك الحديث. ولقد بلغ من أهميتها: أن رسول الله ﷺ ـ وهو يلفظ النفس الأخير ـ كان يوصي بها، ويقول: «الصلاةَ الصلاةَ»، ولم يرخص في تركها، في أحرج المواقف، وفي حالات الفزع والخوف، ومنازلة العدو في المعركة، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ

كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (سورة النساء: ١٠٣). وأفضل صلاة الفريضة: ما كانت في جماعة، فصلاة الرجل في جماعة، تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، كما جاء بذلك الحديث. وجاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ، أنه قال: «من سنة نبيكم هذه الصلوات الخمس في جماعة، ولو صليتم في بيوتكم لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم».

أما عرض المعذبين - الذي شاهده رسول الهدى ﷺ ليلة أسرى به -: فإنه يترك في النفوس أثرًا ملحوظًا، حيث يردعها عن غيها، ويُقَوِّمُ ما اعوج من مسالكها. يقول رسول الله ﷺ - في حديث الإسراء الطويل -: «فمضيت هنيهة، فإذا بأخونة — أي: بمائدة — عليها لحم مشرح، ليس يقربها أحد، وإذا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتن، وعندها أناس يأكلون منها. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟، قال: هؤلاء من أمتك، الذين يأتون الحرام، ويتركون الحلال. قال: ثم مضيت هنيهة، فإذا أنا بأقوام: مشافرهم كمشافر الإبل، تفتح أفواههم فيلقمون من ذلك الجمر، ثم يخرج من أسافلهم. فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟، قال: هؤلاء من أمتك (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا، إنما يأكلون في بطونهم نارًا، وسيصلون سعيرًا). قال: ثم مضيت هنية، فإذا أنا بنساء تعلقن بثُديِّهن. قلت: من هؤلاء النساء يا جبريل؟، قال: هؤلاء الزناة من أمتك، قال: ثم مضيت هنية، فإذا بأقوام: بطونهم أمثال البيوت، كلما نهض أحدهم خرَّ فيقول: اللهم لا تُقِم الساعة. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟، قال: هؤلاء من أمتك، الذين يأكلون الربا. قال: ثم مضيت هنية، فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم، فيلقمونه ويقال له: كل كما كنت تأكل من لحم أخيك. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟، قال هؤلاء الهمازون اللمازون من أمتك»؛ وفي رواية: «ثم آتى على قوم ترضخ رءوسهم بالضجر. كلما رضخت عادت كما كانت. ولا يفتر عنهم من ذلك شيء. قال: ما هؤلاء يا جبريل؟، قال: هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة».

تلكم - يا عباد الله - عاقبة المعاصي، اقترن الحديث عنها بمعجزة الإسراء، كما اقترن بمشروعية الصلاة. ففي الحديث عن عاقبة الذنوب ترهيب من الوقوع فيها؛ والانزلاق في أوحالها. وفي الحديث عن مشروعية الصلاة: حض عليها، وترغيب في أدائها.

فاتقوا الله عباد الله، ولتكن معجزة الإسراء خير حافز للقيام بشرائع الدين - وفي طليعتها الصلاة - وخير زاجر عن المعاصي كيفما كان لونها، وفي أي مجال يكون اتجاهها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (سورة العصر: ١-٤).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العظيم في سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ - في حديث طويل -: «**الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه: فمعتقها أو موبقها**». فمن باع نفسه للرحمن - بطاعته واتباع شرعه، والتمسك بدينه -؛ فقد أعتقها من عذاب الله. ومن باع نفسه للشيطان - متبعاً خطواته، مستجيباً لإغرائه، متبعاً لهواه؛ فقد أورد نفسه موارد الهلاك.

ثم اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الله أمركم بالصلاة على خير الورى، محمد النبي المجتبى، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب:٥٦). اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد. وارض اللهم عن خلفائه الأربعة أئمة الهدى، وعن الآل والأصحاب الكرام النجبا، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان، وعنا معهم بعفوك وكرمك إلَهنا المرتجى، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر اليهود وأعوانهم من المستعمرين الغاصبين، وألف بين قلوب المسلمين، ووحد صفوفهم، وأصلح قادتهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك، يا أرحم الراحمين، ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف:٢٣). ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة:٢٠١).

عباد الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل:٩٠). فاذكروا الله على نعمه. واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٢٨ - في زيارة القبور الشرعية والتحذير من الزيارة الرجبية

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، أحمده سبحانه، ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة الزخرف: ٨٥). وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وسبحان الله رب العرش عما يصفون، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الصادق المأمون. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، خير هدي ينتهجه المفلحون، وخير طريق يسلكه الصالحون، هو هَدْيُ رسول الله ﷺ، والطريق الذي رسمه للأمة في كل اتجاه. فلا هديُ أحسن من هديه، ولا طريق أقوم من طريقه.

ولقد كان من هديه ﷺ، في زيارة القبور، الاستغفار لأهلها، والدعاء لهم، والترحم عليهم، وأخذ العبرة من مصيرهم، لأنه المصير المحتوم لكل من سار على الغبراء، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ (سورة الرحمن: ٢٦-٢٧). يقول رسول الله ﷺ: «زوروا القبور، فإنها تذكر الموت»، وفي رواية: «فإنها تذكركم الآخرة». وكان يخرج إلى البقيع: لزيارة القبور، والاستغفار لأهلها.

وإن أفضل القبور على وجه الأرض، قبر رسول الله ﷺ، لأنه يضم جسد أشرف الخلق: وأكرمهم على الله، الذي أخرج العباد من الظلمات إلى النور، ولا يصح إسلام عبد حتى يؤمن برسالته، صاحب الشفاعة العظمى، والحوض المورود، والمقام المحمود، ﷺ. هذا القبر الذي يضم أكرم الخلق، لم يكن من هديه ﷺ أن يكون له مسمى آخر يخرجه عن سائر القبور، فسماه قبرًا على الوضع المعلوم من معنى القبر، ورخص في زيارته كما رخص في زيارة القبور، وبالغ في التحذير من الغلو فيه، كما بالغ في التحذير من الغلو في سائر القبور.

يقول رسول الله ﷺ : **«لا تجعلوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي: فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**، ومعنى: **«جعل قبره عيداً»**: أن يقصد بالزيارة في موسم ووقت معين مخصوص، كما تقصد المشاعر لأداء النسك، يعود بعود الأيام. أي: أنه ﷺ ترك أمر زيارة قبره للزائر: لم يقيده بعام، أو شهر أو يوم، أو ساعة. بل كيفما تيسر له. كما أنه لم يشرع لزيارته شد رحل، ولا قطع مراحل. وإنما شرع شد الرحل لزيارة مسجده ﷺ : طلبًا لمضاعفة أجر الصلاة فيه، فإن الصلاة في المسجد النبوي تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد، كما صح بذلك الحديث.

أما شد الرحل، فيقول عنه ﷺ : **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»**.

أما الصلاة والسلام عليه، فيستوي فيها البعيد والقريب: يستوي فيها من كان في المدينة، ومن كان في مكة أو في أقاصي الدنيا. بدليل قوله ﷺ : **«وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**.

تلكم ـ يا عباد الله ـ هي الزيارة الشرعية المسنونة التي رخص فيها رسول الهدى، للقبر الشريف، بعيدة عن كل غلوّ وتفريط. وذلكم هو الوضع السليم لها، والذي درج عليه السلف في القرون المفضلة. والسلف أعلم الأمة بالهدي النبوي، وأحرص الناس على التمسك بالسنة. ولقد تفرقوا في الآفاق، واستوطنوا الأمصار؛ ولم ينقل عن أحد منهم: أنه كان يشد الرحل للزيارة في وقت معين، كما يفعل البعض من الناس: حيث يعمد إلى الزيارة في شهر رجب. وإنما كانت زيارتهم للمسجد النبوي كيفما تيسر، وكانت صلاتهم وسلامهم على خير الورى. في كل وقت وفي كل حين، أينما حلوا، وحيثما ارتحلوا، وهيهات أن يأتي الخلف في أعقاب الزمن، بخير مما كان عليه السلف في عصور النور. والحق ـ يا عباد الله ـ واحد لا يتعدد، ولا تختلف فيه الصور باختلاف الزمن؛ وهو ما كان عليه إشعاع

الدليل. وما كان في القديم وفي العصور المفضلة مشروعًا؛ فسوف يبقى على شرعيته، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وما لم يكن في عصور الهداية مشروعًا، فهو أمر محدث. ومن غربة الدين: أن تلتصق به المحدثات، ولن يصلح آخر هذه الأمة، إلا ما أصلح أولها.

فاتقوا الله عباد الله، واقتدوا بهدي الراشدين سلف الأمة، في كل ما له صلة بالدين، وتدبروا بقلوب واعية قول الصادق الأمين: **«لا تجعلوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الحشر: ٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

---

٢٩ ـ في النهي عن حفلات الزار والذبح لغير الله وعن السحر والكهانة

الحمد لله هادي العباد إلى سواء السبيل، أحمده سبحانه! قسم الخلق بعدله: بين سعيد سار على نهج الهدى، وشقي أفنى العمر في الترهات والتضليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرب العظيم الجليل، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قامع كل مبطل ضليل، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، شر البلية ضلال بعد الهدى، وعمى بعد البصيرة، وغي بعد الرشاد. ولقد خلق الله الخلق يميلون بفطرهم إلى التوحيد دين الفطرة، فانحاز الشياطين بفريق منهم، وحولوهم عن الهدى، وانحرفوا بهم عن مسلك الرشاد. يقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ عزَّ وجلَّ ـ: «**خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين**»، أي: حولتهم عن الحنفية دين الله المستقيم، إلى مسالك الغي والضلال. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ ﴾ (سورة الأنعام:١٢٨). أي: أضللتم كثيرًا منهم، بتزيين الباطل والضلال لهم.

وإن من الباطل الذي زينه الشياطين، وأوقعوا فيه ذوي العقول الضعيفة من الإنس ـ حفلات الزار، يأمرونهم فيها بالكفر الصريح، يأمرونهم بالقرب إلى الجن، بذبيحة: يصفون لونها، ويحددون عمرها، ويعينون موقع ذبحها، فإذا تم ذلك: كشف الجنُّ عن المريضة الموهومة ضُرَّها ـ على زعمهم ـ ولم يعرضوا لَمسِّهَا والتسلط عليها. وإن الشافي والنافع والضار في الحقيقة، هو الله. كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ﴾ (سورة الأنعام:١٧). وحكى عن الخليل إبراهيم، قوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (سورة الشعراء: ٨٠).

وإن المسلم الحنيف ليوقن في قرار نفسه: أن هذا الذبح للجن ـ تقربًا إليهم واستجابة لشياطينهم ـ هو ردة عن الإسلام، وأن هذه الذبيحة لا تباح بحال: لأنها مما أهل به لغير الله. فهو يترفع عن ذلك بدافع إيمانه بالله، واستجابة لأمره، إذ يقول: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٢). ـ أي: ذبيحتي التي أذبحها متقربًا بها ـ ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣). ويبتعد عن هذا الشرك الصريح، خروجًا عن الوعيد في حق من ذبح لغير الله. قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «**حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات**»، وذكر في طليعتها قوله! «**لعن الله من ذبح لغير الله**».

وإن من الباطل الذي زينه الشياطين واستدرجوا الإنس إليه، تعاطي السحر في مختلف صوره وألوانه، سواء ما كان منه بالأوراد والعزائم المحتوية على الاستعانة بالجن فيما يريدونه من الإضرار بالناس، أو كان بعقد الخيوط والنقث عليها، أو بدفن السحر في الأرض، أو بتدخين البخور والسقي، أو بأى عمل تحصل به المضرة بالنسبة للفرد أو المجموع. كل ذلك ـ يا عباد الله ـ حرام في جميع أديان الرسل. قال تعالى: ﴿ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ (سورة طه: ٦٩). وقال: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ (سورة البقرة: ١٠٢)؛ أي: أن الذي يتعاطى السحر ليس له في الآخرة من نصيب. وأمر سبحانه بالاستعاذة من شر السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن، وينفثن في عقدهن؛ وقال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ (سورة العلق: ٤). وقال رسول الله ﷺ: «**من عقد عقدة ثم نفث فيها: فقد سحر، ومن سحر: أشرك**». وقال أيضًا: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»؛ أي: المهلكات، وعد في طليعتها السحر.

وإن من الباطل الذي زينه الشياطين واستدرجوا الإنس إليه، تصديق المتكهنين، والاعتماد على كذب المنجمين والرمالين، والدجاجلة المشعوذين، الذين يزعمون الاطلاع على الغيب، والكشف عن المخبأ. قال تعالى ـ مخاطبًا رسوله وأكرم الخلق

عليه ـ: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (سورة الأعراف: ١٨٨)؛ وقال أيضًا: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾ (سورة الأحقاف: ٩). وقال رسول الله ﷺ: **«ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن اتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ»**. والكاهن يشمل المنجم والرمال، ويشمل النساء اللاتي يرمين بالودع في الأرض أو البن، ويخبرن بأشياء تكون في المستقبل. وكل ذلك ـ يا عباد الله ـ من تحويل الشياطين لبني الإنسان، عن طريق الهدى. وهو مما يوضح معنى الحديث القدسي: **«خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين»**.

فاتقوا الله عباد الله، والتزموا صراط الله الذي لا اعوجاج فيه. وحذار من الضلال بعد الهدى، ومن الغي بعد الرشاد.

أعوذ بالله من الشيطان الرحيم: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأنعام: ١٦١-١٦٣).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

---

٣٠ - في النهي عن تبرج النساء

الحمد لله العلي العظيم، أحمده سبحانه! لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وهو الحكيم العليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير من دعا إلى الفضيلة وحارب الرذيلة، وهدى إلى النهج القويم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، أرأيتم الزهرة الناضرة البهيجة. تلبث محافظة على نضارتها وبهجتها، ما لم تتناولها الأيدي، أو تعصف بها الرياح؟!. إنها - يا عباد الله - مثل للمرأة تستمر محافظة على عفافها، وصيانة عرضها، وتلبث زهرة البيت، ونوراً يشع بالبهجة فيه - ما لم تتبذل - أي: تكشف عن مفاتنها،

وتخرج عن الحجاب المشروع لها، والمفروض عليها، فتمتد إليها النظرات المحرمة، وتعصف بها رياح الفتنة.

ولقد كان من الأدب الذي أدب الله به أمهات المؤمنين، زوجات رسول ﷺ ونساء الأمة تبع لهن - أمره إياهن بالاستقرار في البيوت وعدم الخروج منها - إلا للحاجة الملحة، أو للصلاة؛ شريطة أن يخرجن ملتفات غير متبرجات، أي: في ثياب الحشمة الساترة، لا متعطرات يتبخترن في الثياب القصيرة، أو البراقة والشفافة التي تبدون من ورائها مفاتن المرأة، وتكشف عما لا يحل من جسدها وزينتها. قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (سورة الأحزاب:٣٣). وأورد العلماء في تفسير الجاهلية الأولى: أنها الجاهلية قبل الإسلام؛ يقابلها الجاهلية الأخرى، وهي: عمل فريق من النساء في آخر الزمان، كفعل الجاهلية الأولى. ومصداق ذلك ما ورد في الحديث الشريف، عن رسول الله

ﷺ قال: «صنفان من الناس لم أرهما»، أي: يكون وجودهما في آخر الزمان. وذكر أن أحد الصنفين: «نساء كاسيات عاريات» - أي: يلبسن ثيابًا شفافة أو قصيرة، وكأنهن غير لابسات - «لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها».

وإن مما يحز في نفس كل مسلم غيور على دينه ومحارمه، أن يكون لهذا الصنف من النساء وجود في عهدنا: يتبخترن في الأسواق، يذرعن الطريق، ويخرجن إلى مجامع الرجال في المساجد والمتنزهات، يكشفن عن أجسامهن، ويبدين زينتهن، يغرين بالإثم والرذيلة، ويجنين على الأخلاق.

وإن المسؤولية في ذلك لا تقع على النساء وحدهن، بل تقع على الرجال أيضًا: تقع على الزوج الذي يطلق العنان لزوجته تعمل ما تشاء، وتلبس وتفعل ما تريد. تقع على الوالد الذي يدلل ابنته، ويسمح لها بالخروج من البيت في ثياب التبرج والزينة. تقع على الأخ الذي لا يغار على أخته: ترتفع إليها النظرات المحرمة، من أولي النفوس المريضة، وهي الجانية على نفسها، بتبرجها ومخالفتها لأمور ربها. تقع على المجتمع الذي لا يحارب أفراده أمثال هذه الرذائل - وقد فرض الله عليه الأمر بالمعروف، والنهي المنكر - بل يتركها تستفحل ويعظم خطرها.

ألا يا عباد الله كلكم راع، وكل راع مسؤول عن رعيته، كما قال رسول الهدى. أما النساء، فقد وصمهن رسول الله: بالنقص في العقل والدين. ومن كان كذلك، فيجب فرض الرقابة عليه في كل تصرفاته. لأنه - بحكم هذا النقص - لابد أن يتنكب السبيل. ومن أجل ذلك، جعل الله الرجال قوامين على النساء، وجعل لهما الحق الصريح في تأديبهن وتقويمهن وإصلاح ما اعوج من أخلاقهن. قال تعالى: ﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ (سورة النساء: ٣٤). فأين في الناس من يستجيب لأمر ربه، ويأخذ بالحزم في أمر نسائه، ليسلم له دينه وشرفه وعرضه، وليكون يدًا عاملة في إصلاح مجتمعه؟!.

فاتقوا الله يا عباد الله، فخير مناهج السعادة تقوى الله، وخذوا على أيدي النساء، واحملوهن على الاحتشام والتأدب بأدب الدين، فشر الخطيئة الاسترسال والتمادي في معصية الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة التحريم: ٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٣١ - في خطر احتكار الأرزاق وخاصة في مكة

الحمد لله السلام المؤمن المهيمن، أحمده سبحانه! أَمَّنَ العباد من الظلم، كما أمن البلد الحرام من المخاوف والفتن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سابغ الفضل، عظيم المنن، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد الشفعاء في يوم البلايا والمحن. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إذا كان من حق النعم أن تقدر، وأن تقيد ببذل الشكر للمنعم؛ فإن من واجب الأمة الإسلامية، أن تقدر أجل نعمة أسبغها الله عليها، وجعلها خالدة لا تزول، ألا وهي: نعمة الأمن ووفرة العيش في هذا البلد الأمين، الذي يضم قبلة المسلمين ومقدساتهم. فالمسلمون - إذ يفدون إليه - لا يخشون به بأسًا. ولا ينقصون فيه رزقًا، مهما كثر عددهم، وأينما حلوا في ربوعه. وتلك هي المنة العظمى، التي لم يقدرها الجاهليون من مشركي مكة حق قدرها: حيث عبدوا غير الله، ولم يهتدوا بهدي رسوله، ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ (سورة القصص:٥٧). أي: قاتلنا الناس وقصدونا بالأذى. فرد الله عليهم هذا الزعم، قائلاً: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ (سورة القصص:٥٧). أي: كيف يقصدهم الناس بالأذى، وقد جعلهم الله في حرم آمن، وسخر لهم في الأرزاق تجبى إليه من كل فج، لا يعرض لها أحد بسوء؟! أفيكون آمنا لهم في حال كفرهم، لا يكون آمنًا لهم إذا أسلموا واتبعوا الحق؟! ذلك هو المنطق المعكوس. وإذن فالأمن ووفرة العيش في هذا البلد، أمر قد تكفل الله به، ولن تستطيع أية قوة أن تمنع فضل الله ورزقه عن بلده، أو تخيف من أمنه الله بأمان من عنده.

وإن قومًا استغلوا ظروف الأحداث الطارئة في العالم، فاحتكروا أرزاق عباده؛ طلبًا للربح المضاعف فيها إلى أضعاف كثيرة. إنهم لظالمون ومغبونون؛ ظالمون: لأنهم تنكبوا طريق الحق، وعملوا على اصطناع أزمة وهمية في الأقوات، بدعوى قلة الوارد أو انقطاع المواصلات، وتنكروا لأخوة الإسلام، التي هي دين في عنق كل مسلم بالنسبة لأخيه، واجب عليه أن يؤديه؛ كما جاء في الحديث: **«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله»**.

وأي ظلم أفظع من استغلال ضرورة المسلمين، والتجبر عليهم، ومضايقتهم في أقواتهم - التي بها قوام حياتهم -: باحتكارها عنهم. أو برفع أسعارها عليهم، فتتبلبل أفكارهم وتضطرب أحوالهم المالية، وإن فيهم العامل الذي لا يملك غير أجره اليومي، وفيهم الأرامل والأيتام، وفيهم أصحاب ضرورات، هم في ذمة المسلمين جميعًا، فإن مسهم ضر وقعت تبعة ذلك على الجميع، وبنوع أخص على الموسرين، وفي طليعتهم التجار المحتكرون، يقول رسول الله ﷺ: **«من احتكر طعامًا أربعين يومًا: برئ من الله وبرئ الله منه. وأيما أهل عَرْصَة - ساحة دار -، أصبح فيهم امرؤ جائعٌ فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى»**!!.

وهم - أي المحتكرون - مغبونون: لأن الله تعالى يعاملهم بنقيض ما يرجون ويؤملون، فهم إنما يحتكرون ويغلون الأسعار: طمعًا في جمع الحطام، وأملاً في ازدهار المستقبل. فخيب الله آمالهم، وأنذرهم علي لسان رسوله بأسوأ العواقب. يقول رسول الله ﷺ: **«من احتكر على المسلمين طعامهم: ضربه الله بالجذام والافلاس»**. ألا بئس هذا المصير في الدنيا، وبئس المصير لهم في الآخرة، حيث يقذفهم الله في عذاب جهنم، كما جاء في الحديث: **«من دخل في شئ من أسعار المسلمين؛ يُغْلِيه عليهم كان حقًا على الله ان يقذفه في معظم النار، وإن نار الآخرة لتزيد عن نار الدنيا بتسعة وستين جزءًا»**، عياذًا بالله من ذلك.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله سبحانه يمهل ولا يهمل، وإن بلدًا كتب الله له الأمن، ويسر له الأرزاق تجبى إليه - وقد كان أهله في جاهلية وشرك قبيح - لن يتخلى عنه بعد أن رفعت فيه أعلام الهدى، واتجه الناس فيه إلى عبادة الرب العظيم الأعلى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ (سورة قريش: ١-٤).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٣٢ - في الحث على حضور الجمعة

الحمد لله الحكم العدل اللطيف الخبير، أحمده سبحانه، وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الخلق والأمر والتدبير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أكرم رسول وخير بشير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى اله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، لقد اختص الله سبحانه بعض الأيام، بمزيد من الشرف والتفضيل، فكان لها في النفوس شرف العظيم، ورفعة الكريم.

من تلك الأيام يوم الجمعة، حتى لقد قال عنه رسول الهدى ﷺ: **«خير يوم طلعت فيه الشمس: يوم الجمعة»**. وقال أيضًا: **«سيد الأيام: يوم الجمعة، وأعظمها عند الله تعالى، وأعظم عنها الله من يوم الفطر ويوم الأضحى. فيه خلق آدم - عليه السلام -، وفيه أدخل الجنة. فيه أهبط إلى الأرض، وفيه توفي، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئًا إلا آتاه الله إياه، ما لم يسأل حرامًا»**. أما هذه الساعة المباركة، فقيل: إنها بعد العصر، وقيل: هي ما بين أن يجلس الإمام على المنبر حتى تقضى الصلاة، وقيل غير ذلك، مما يستحث العبد على استدامة الذكر، وسؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، في كل ساعات هذا اليوم المبارك.

وقد شُرع التجمع في هذا اليوم لسماع الوعظ، والتوجيه في شتى اتجاهاته؛ فمن حث على الفضيلة، ونهي عن الرذيلة، إلى تذكير الله وأيامه، وجزائه وحسابه، إلى استنهاض للهمم في البذل والتضحية، والجهاد في مختلف طرقه وأساليبه، إلى غير ذلك: مما يكون به صلاح المجموع في عاجلته وآجلته.

وشُرع أيضًا التبكير إلى الجمعة: لقضاء أكبر وقت ممكن في العبادة، وللقرب من الإمام، حرصًا على استجماع الفكر، وتدبر الذكر، واكتناز النفوس لأكبر قدر من التضحية. وبذلك يعظم الأجر. صح عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر بما استطاع من طهر، أو يمس من طيب بيته، ثم يروح إلى المسجد: لا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت للإمام إذا تكلم. إلا غفر له من الجمعة إلى الجمعة الأخرى»**.

كما حظر التشاغل عن الإمام بمس الحصى أو الكلام، أو بأي صارف يصرف عن الاستماع للخطبة. يقول رسول الله ﷺ: **«من قال يوم الجمعة لصاحبه: انصت، فقد لغا. ومن لغا فليس له في جمعته تلك شئ»**، وفي رواية: **«ومن مس الحصى فقد لغا»**.

كما حظر أيضًا إشغال المصلين وإيذاءهم بتخطي الرقاب، لما في ذلك: من الاستهانة بحرمة الغير، إلى جانب التأخير عن السعي للجمعة. جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة - والنبي ﷺ يخطب - فقال له: **«اجلس، فقد آذيت وآنيت»**، أي: أخرت المجئ إلى الجمعة، وآذيت الناس بتخطيك لرقابهم. وإذا كان التأخير عن السعي للجمعة موضع نقد ومؤاخذة في نظر الشرع، فكيف بمن تركها تهاونًا أو تشاغلاً عنها، مخادعًا نفسه بأعذار تافهة ينتحلها، أو يتركها لرحلات ينشئها خاصة في يومها، دعوى الكشف أو اكتساب معلومات جديدة؟! لا جرم أن يكون الوعيد على ذلك شديدًا، وأن تكون العاقبة بالنسبة له مؤلمة مؤسفة. يقول رسول الله ﷺ: **«لينتهين أقوام عن تركهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين»**. وقال أيضًا: **«من ترك ثلاث جمع، تهاونصا بها، طبع الله على قلبه»**، وفي رواية: **«من ترك ثلاث جمعات من غير عذر، كتب من المنافقين»**. والمراد بالعذر ما رخص فيه الشرع: من مرض، أو سفر مشروع، وغير ذلك مما هو منصوص عليه.

فاتقوا الله عباد الله .. واشهدوا الجمع، فهي فريضة فرضها الله عليكم، ولا خير فيمن ترك فريضة الله. وحذار من التهاون بها، أو التشاغل عنها، وقد سمعتم الوعيد الشديد في ذلك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الجمعة: ٩-١٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

---

٣٣ - في التحذير من الدنيا والتذكير بالآخرة

الحمد لله، شرح صدور المؤمنين لطاعته، ونور قلوبهم بمعرفته، أحمده سبحانه، له في كل شئ آية تدل على ربوبيته وألوهيته. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده مقاليد الأمور، وله الحكمة في تصريف أمر عباده. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نبي الرحمة، وخير المرشدين إلى صراط الله ربه، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، تمر الأيام تتبعها الأيام، وتمضى الشهور يعقبها الشهور، وتقضى السنون في إثر السنين، ونحن لا نشعر بتبدل في نفسياتنا، أو تحول في مسالكنا واتجاهتنا، أو تغير في أعمالنا وسيرنا، فالنفوس هي النفوس: لا تحاول أن ترتفع عن حضيضها أو تبتعد عن إسفافها، أو تستصلح الفاسد من أمرها، أو تعدل المسلك الموج في مسالكها، فتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، في كل اتجاهاتها.

بالأمس كنا في شهر حرام، ودعناه بدموعنا؛ إذ كان شاهدًا لنا بما أودعناه من صالح أعمالنا، أو شاهدًا علينًا بما حملناه من سئ أفعالنا. وكذلك نودع شعبان وغير شعبان، وكأنا أمام عجلة تدور، فلا يحدث لنا دورانها أي عظة، ولا نرى في سرعتها، سرعة انقضاء آجالنا، وسرعة تصرم أعمارنا.

أترى ذلك - يا عبد الله - من غرور الحياة والفتنة بزخرفها؟ أم هو من تزيين الشيطان وخداعه وطول أمانيه؟! أم ما وعدنا الله وعده الحق، وحذرنا من غرور الحياة، ومن الشيطان وتسويلاته، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (سورة فاطر: ٥-٦)؟! أم هو الأمن من مكر الله: ﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٩٩)؟! أم هو الظلم والجحود لنعم الله وكفرانها، ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (سورة إبراهيم: ٣٤) أم هو الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها، والغفلة عن الآخرة والتشاغل عنها، وقد سمعتم ما توعد الله به هذا الفريق من الناس: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة يونس: ٧-٨)؟! .

أو لم يكن من الرشد والهدى - يا أرباب البصائر والنهى - أن نعتبر بمن قد مضى؟! أين آباؤنا وإخواننا وأبناؤنا، والأكرمون علينا: من الأحبة والأصدقاء، الذين كانوا بيننا بالأمس القريب، وفي الشهور الماضية؟ إنهم تحت أطباق الثرى، وبين طيات اللحود، مضوا وخلفوا لنا الحزن بفراقهم، والأسى بطول غيابهم، الغياب الذي لا رجعة فيه. وكان هذا الفراق درسًا عملياً، ماثلاً أمام أعيننا، يذكرنا على الدوام بنهايتنا، ويحدثنا عن مصيرنا، إذ هو مصير كل حي مهما طال به الزمن، وابتسمت له الأيام. ولكن: أين أين المتعظون؟ وأين أين المعتبرون؟ تالله إنا لفي غفلة ساهون، وعن مناقشة الحساب بين يدي الجبار لاهون ومتشاغلون، ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (سورة النحل: ١١١).

فاتقوا الله عباد الله، واغتنموا الفرص قبل فواتها بالتوبة إلى الله، واعتبروا بمضي الشهور والأيام، وتذكروا بانقضائها انقضاء العمر وتصرم الآجال. فالسعيد من قام له من نفسه واعظ، ومن مرور الزمن رادع وزاجر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التحريم: ٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الغفور الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قابل التوب العزيز الحكيم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خاتم النبيين، وأفضل المرسلين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، جاء في آخر خطبة خطبها الخليفة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - جاء فيها قوله: «إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولن تتركوا سدى، وإن لكم معادًا ينزل الله فيه للفصل بين عباده. فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شئ، وحرم جنة عرضها السموات والأرض. فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقيته. وإني لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحد من الذنوب، أكثر مما عندي. ولكن أستغفر الله وأتوب إليه، ثم رفع رداءه وبكى حتى شهق، فما عاد إلى المنبر بعدها حتى مات رحمه الله ورضي عنه.

ذلكم - يا عباد الله - هم العارفون بالله: الذين يتهمون أنفسهم بالقصور والذنوب، وهم الصالحون الراشدون، والبررة المتقون. فعلى نهجهم فليعمل العاملون، وفي طريقهم فليتنافس المتنافسون.

٣٤ - في فضل شهر رمضان

الحمد لله مصرف الأحوال والأمور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل لبعض الشهور ميزة في الفضل على مر العصور، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رسول الهدى، وشفيع العباد يوم النشور. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، إن من عوامل سرور النفوس وبهجتها، ومن بواعث فرحها وغبطتها، عودة أيام السرور عليها، وبزوغ شمس الهناء على ربوعها. وإن الله قد امتن على العباد بشهر كله الخير والإفضال، وكله الهناء والسعادة، يتجدد بعودته - على مرور الأيام - سرور المسلمين، ويتكرر به نعيمهم، وتقوم فيه سوق التجارة الرابحة، التجارة في الأعمال الصالحة، والخير الذى لا يبور.

وقد كان رسول الله ﷺ يبشر به أصحابه، ويقول: **«أتاكم رمضان سيد الشهور. فمرحبًا به وأهلاً»**.

وروي عن سلمان رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ، في آخر يوم من شعبان، فقال: **«يا أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعًا، وهو شهر الصبر. والصبر جزاؤه الجنة - وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه. من فَطّر فيه صائمًا؛ كان مغفرة له وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجره شيء»، قالوا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم. فقال رسول الله ﷺ: «يعطي هذا الثواب من فطر صائمًا على تمرة، أو شربة ماء، أو مذقة لبن** (أي: جرعة لبن مخلوط بالماء). **وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف فيه عن مملوكه؛ غفر الله له وأعتقه من النار،**

فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء لكم عنهما. فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه. وأما الخصلتان اللتان لا غناء لكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى صائماً؛ سقاه الله من حوض لا شربة يظمأ حتى يدخل الجنة».

وإنها ـ يا عباد الله ـ خطبة من جوامع كلمه ﷺ، وجهت العباد إلى فضيلة هذا الشهر المبارك، وندبتهم فيه إلى العمل الصالح المبرور، الذي وعد الله عليه أعظم الجزاء وأفضل الأجور.

فاتقوا الله عباد الله، وبادروا إلى التسابق في الخيرات، والتعرض لنفحات الرب جل وعلا. فإن لربكم في شهر الصوم نفحات. واشكروه سبحانه، لعودة هذا الشهر المبارك عليكم؛ فكم ممن مؤمل عودته؟ سبق أجله أمله، فصار إلى ظلمة القبور.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المتفضل على عباده بالنعم والخيرات؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله؛ روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «أتاكم رمضان شهر بركة: يغشاكم الله فيه برحمته، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه

الدعاء؛ ينظر الله تعالى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته. فأروا الله من أنفسكم خيرًا، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل». وليس أعظم من هذا التوجيه حافزًا إلى الطاعة والأخذ بسبل الخير، والتنافس في عمل البر.

فرحم الله عبدًا سارع إلى طاعة مولاه، واطرح شهوته وهواه؛ فكان له من الأجر العظيم والنعيم المقيم ما تقر به عيناه. واستمعوا - يا عباد الله - لأمر الله، في الصلاة والسلام على النبي صفيَّ الله؛ حيث يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب:٥٦). اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد. وارض اللهم عن خلفائه الأربعة - أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - وعن بقية الصحب الكرام أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا كريم يا منان. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنًا، وسائر بلدان المسلمين عامة يا رب العالمين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك، يا أرحم الراحمين. ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة الأعراف:٢٣). ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة:٢٠١).

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل:٩٠). فاذكروا الله على نعمه، واشكروه على آلائه؛ ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٣٥ - في فضل الصَوم

الحمد لله مالك الملك، له الحمد كله؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى دار السلام، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم؛ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نبي آثر ما عند الله فأكرم الله مثواه، ورفع له المنازل في دار الكرامات وأعلى علاه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله؛ إن الحياة صراع دائم مع النفس، وتنازع مع شهواتها لا يكف أو تخمد ناره. غير أن طبيب القلوب والأرواح - رسول الله ﷺ - أرشد الأمة إلى وسيلة من شأنها أن تحد من هذا الصراع والتنازع، وهي في المتناول، تلك الوسيلة هي: الصوم. أخبر رسول الله ﷺ: أنه جُنة أحدنا كجنته من القتال؛ أي: وقاية يتقي بها العبد شهوات النفس ونزغات الشيطان؛ فيبطل بذلك أكبر دافع للشهوة، وأخطر حافز على الوقوع في الزلل. وهو أيضًا وقاية من عذاب الله: لأنه يرتفع بالصائمين إلى درجات عالية من الروحانية يستوجبون عليها وابل النفحات الربانية؛ وتهاطل الرحمات وفيض الخير والبركات، وغفران الحوب وعظيم السيئات.

والصوم عبادة شرفها الله بنسبتها إليه دون سائر العبادات، كما جاء في الحديث القدسي: «**كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها، إلا الصوم: فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي**». فمن منا - يا عباد الله - لا تستشرف نفسه لهذا الجزاء؟ وأين من وقف نفسه لطاعة الله في شهر الطاعة، فنال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت؛ ولا خطر على قلب بشر في جنان الخلد، ودار كرامة الرب العظيم المتفضل؟.

ألا يا عباد الله، هبوا من الغفلات، وتقربوا إلى الله تعالى، في شهركم هذا، بضروب الطاعات، وأنواع القربات، وأكثروا فيه من البر والإحسان والصدقات. فقد

صح عن رسول رسول الله ﷺ، أنه قال: **«من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه. ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه»**. وفي حديث آخر: **«وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة»**. وإنه ـ يا عباد الله ـ موسم للعبادة عظيم، فاغتنموا فرصه، واهتبلوا أيامه ولياليه للعبادة، وأكثروا فيه من ذكر الله وقراءة القرآن، فهو شهر القرآن. وقوموا من ليله ما تيسر، فقد صح عن سيد الأنام، أنه قال: **«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»**.

ألا واتقوا الله في الصوم، وابتعدوا به عن كل ما يقدح فيه، أو يقلل من أجره، كالكذب وقول الزور والغيبة والنميمة والسب والشتم واللعائن، وكل ما يدخل في مسمى الإثم. فقد صح عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«إذا كان يوم صوم أحدكم: فلا يرفث ولا يفسق، فإن سابه أحد أو شاتمه، فليقل: إني صائم»**. والرفث والفسوق المعني في الحديث، هو: الإثم على مختلف صوره وأشكاله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٨٣-١٨٤).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٣٦ - في ذكرى غزوة بدر

الحمد لله معز أوليائه بنصره، ومكرم المؤمنين بتحقيق وعده، أحمده سبحانه، جعل لكل شئ أجلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحاط بكل شئ علمًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، شرفه الله برسالته، وكان رءوفًا رحيمًا. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، إن دنيا الذكريات دنيا سعيدة،، يعيش فيها المرء يحدوه الأمل في استرجاعها، ويستحثه الشوق إلى تجديد ماضي عهدها.

وإن أجمل ذكريات الأمة الإسلامية، نصر الله لنبيها، وتأييده لدينها، فالأمة الإسلامية - في مجموعها - ما برحت تشرئب لمثل ذلك النصر على أعدائها، وما فتئت تعيش سعيدة في دنيا ذكرياتها: يحدوها الأمل بعز الإسلام، وإشراق نوره، وتبديد الظلام، وإن طال زمانه.

في مثل هذا الشهر المبارك، وبعد منتصفه - قبل ألف وثلاثمائة وسبعين وخمس من السنين - خرج رسول السلام في قلة من صحبه، وضآلة في عدده وعدته، يقابل جموع قريش في صولتها، وكثرة عددها، ووفرة عدتها، وهو موقن أن له الغلبة عليها، مؤمن أن الله وحده هو الحسب ونعم الوكيل. نازلها في بدر، وقد شق عليه ما رأى من طغيانها وإعلانها للعداء لله ورسوله، فتوجه إلى الله بدعائه، قائلاً: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك»، ولم يرجع يديه إلا والملائكة تنزل مددًا، تقاتل في صفوف المسلمين. ويمتن الله على عبده، وعلى المسلمين بهذا النصر، قائلاً: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٢٣)، إلى أن قال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (سورة آل عمران: ١٢٦).

فالمسلمون - في مشارق الأرض ومغاربها - يذكرون بهذه الأيام من هذا الشهر - يذكرون هذه الذكرى الجميلة، ويرفعون أيديهم إلى السماء، كما فعل رسول الله ﷺ، ضارعين إلى المولى أن ينصرهم على أعدائهم، قائلين في حرقة وألم مما يصيبهم من أعداء الإسلام: اللهم ننشدك عهدك ووعدك الذي وعدتنا. فهم بهذه الذكرى فرحون ومغتبطون، وهم في هذه الذكرى أيضًا راجون وخائفون: راجون رحمة الله ونصره، كما رحم ونصر أسلافهم وخائفون من بوادر بدرت، وفتن كقطع الليل المظلم عليهم أقبلت. فالصلوات المكتوبة أضحت غريبة بين الكثيرين في أوساطهم، وشعائر الدين غدت ضحكة للضاحكين، وسخرية للساخرين، والأخلاق الرفيعة انخرطت إلى الحضيض: فمن فتنة بالكاسيات العاريات، اللائي لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، إلى شغل بالرذيلة في كل صورها: في الصحف والمجلات الخليعة، في الكتب والروايات الرخيصة، في الإذاعات والأغاني الرقيعة، في ميوعة الشباب وتأنثه وانحلاله، في كل ما هو في نظر الدين إثم وجريمة، وفي نظر الإنسانية رذيلة وإسفاف. فهم من أجل ذلك خائفون، وهم من كل ذلك تائبون ونادمون، في شهر أبرز مظاهره التوبة والندم والاستغفار: إذ تقال فيه العثرات، ويعفو الله فيه عن الإثم الكبير، ويتجاوز عن الهفوات والسقطات والزلات.

ألا فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله، وبتجديد ذكرى عز الإسلام، بنصر تعاليم الإسلام، وبتجريد الحملة الصادقة على كل ما يبرأ منه الإسلام. وبذلك وحده يحقق الله للمسلمين النصر والتمكين، كما نصر من قبل عباده المتقين، ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ (سورة محمد: ٧)، ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ (سورة الصافات: ١٧١-١٧٣).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٣٧ ـ في مبلغ إحسان الصائمين

الحمـد لله الحكيم الكريم، أحمده سبـحانه، يعطي الجزيل ويتـجاوز عن الذنب العظيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعـد الصائمين بالفضل السابغ والخير العـميم، وأشهد أن محمـدًا عبده ورسوله، أفضل من قام لعـبادة ربه، وسار على النهج القويم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، في نعيم الصوم متعة الصائمين، وفي جنات الخلد نُزل المحسنين، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ (سورة الكهف: ١٠٧-١٠٨).

وقد بلغ من إحـسان الصائمين، أنـهم اتجهوا بصـومهم نحو مـثل أعلى: حيث جانبوا فيه كل مأخذ، وترفعوا به عن كل إسـفاف، فكان لهم في نعيمه متعة، وكانوا بذلك محسنين. ترفعـوا به عن الكذب والبهتان والبذاءة وفحش القـول، وعن الغيبة والنميمة، وعن الباطل في كل صوره وأشكاله، مـستجيبين لداعي الهدى، إذ يقول: **«ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث»**، ولقوله ـ إذ يرسم نهج الصيام الزاكي ـ : **«إذا كان أحدكم صائمًا؛ فلا يرفث ولا يجهل؛ فإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل: إني صائم، إني صائم»**.

غلبوا في صـومهم جـانب التسامح والصـفح الجميل، والـعفو والمغـفرة لزلات الجاهلين، امتثالاً لأمر الرب العظيم، وطمعًـا في الحصول على أجر المحسنين. فبلغوا مراقي السـالكين، وارتفعوا إلى درجات المتـقين، الذين عناهم الله بقوله: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة آل عـمران: ١٣٣-١٣٤).

خافوا من الحرمان وضياع الأجر، وأن يكون حظهم من صيامهم الجوع والعطش، كما جاء بذلك الحديث، فاستقاموا على نهج الهدى، فوعدهم الله على صومهم خير الجزاء، **«الصوم لي وأنا أجزي به»**، وأكرمهم بمزايا لم تكن لغيرهم من الأمم، منها: أن خلوف الصائمين أطيب عند الله من ريح المسك، لأنه أثر الطاعة، والطاعة سبيل الرضوان؛ وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا؛ ويغفر لهم في آخر ليلة؛ صح بذلك الحديث عن سيد الأنام، فهنيئًا للصائمين بالمغفرة والرضوان.

أما النهاية ومسك الختام: فالفرحة عند لقاء الملك العلام، والأمن يوم الفزع الأكبر، كما جاء في الحديث: **«للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه»**. وتوضع لهم مائدة تحت العرش، يأكلون منها: والناس ما برحوا في الحساب. ثم يدعون إلى دخول الجنة دار السلام من باب يقال له: الريان، جاء في الحديث: **«فإذا دخلوا أغلق، من دخل فيه شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا»**. وهنالك في روضات الجنات - المستقر والمأوى - يسبغ الله عليهم فيها من عظيم الرحمة والرضوان، ويغدق عليهم من سابغ الفضل والإكرام، ويقال لهم: ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ** ﴾ (سورة الحاقة: ٢٤). فيا لعظيم الفضل! يا لسعادة الصائمين!.

فاتقوا الله عباد الله، وترفعوا بصومكم عن كل ما يغضب الله تفوزوا بالمغفرة ورضوان الله. واذكروا على الدوام قول رسول الله ﷺ: **«إذا كان أحدكم صائمًا: فلا يرفث ولا يجهل. فإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل: إني صائم، إني صائم»**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾ (سورة الشورى: ٢٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٣٨ - في الترغيب لصيام الست من شوال

الحمد لله واهب العطاء والجود، أحمده سبحانه، وهو الإله الحق المعبود؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العظيم المقصود، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، ما أجمل الطاعة تعقبها الطاعات! وما أجمل الحسنة تجمع إليها الحسنات! وأكْرِم بأعمال البر في ترادف الحلقات! إنها الباقيات الصالحات التي ندب الله إليها، ورغب فيها في محكم الآيات، فقال تعالى ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (سورة الكهف: ٤٦).

لقد كان بالأمس شهر الرضا والغفران مجالاً للقرب واستباق الفضائل، ارتفعت فيه نفوس الصالحين إلى أعالي درجات القرب والرضوان، ونالت به وفيه الكثير من نفحات الرب وكرم العظيم المنان. فكان من حق هذه النعم السابغة، القيام بشكر المنعم. وإن شكر المنعم متابعة الإحسان، والقيام بإرداف الحسنة بمثلها، فثواب الحسنة الحسنةُ بعدها.

ومن أفضل الإحسان استحباب إتباع صيام رمضان بصيام الست من شوال. ففي ذلك شكر المنعم، والحصول على مضاعفة الأجر من واهب الإحسان. صح عن سيد الأنام، أنه قال: **«من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر»**. ذلك: لأن الله تعالى يجزي على الحسنة بعشر أمثالها، فيكون صيام رمضان بعشر أشهر، وصيام الست من شوال يعدل صيام شهرين؛ فتلك سنة كاملة، يقع أجر صيامها لمن قام بصيام الست مضافة إلى رمضان، وبذلك يحصل العبد على أجر صيام الدهر، عن طريق السنة، لا البدعة.

ثم في معاودة الصوم بعد رمضان ـ إلى جانب شكر المنعم ـ دليل على شعور المسلم: بأن وسائل القرب والطاعة للمولى جل وعلا لا تتحدد بزمان، بل هي متصلة في رمضان وفي غير رمضان. ولهذا صح عن النبي ﷺ، أنه قال: **«أحب العمل إلى الله أدومه»**. وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: **«إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت»** ثم قرأ: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ (سورة الحجر: ٩٩).

وسواء أكان صوم هذه الأيام الستة متتابعًا من أول الشهر، أو مفرقًا في خلاله، فهو بر وعمل صالح، والجواز على كلا الأمرين، منصوص عليه من قبل الأئمة الأعلام.

فيا أرباب الهمم العالية، ويا من قد تفضل الله عليهم بإتمام صوم رمضان، وأسبغ عليهم العفو والغفران، وكتب لهم العتق من جحيم النيران، ألا هبوا لشكر الملك الديان، وصلوا الإحسان بالإحسان. واتقوا الله ربكم: فإن من تقواه المداومة على عمل البر والإحسان، وعقد النية على التزام المسلك الراشد الذي التزمتموه في شهر رمضان، في مجانبة الذنوب، والترفع عن الآثام. وبذلك تزكو النفوس، وينصقل جوهرها، وتصل إلى درجة البررة من عباد الرحمن.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (سورة هود: ٢٣).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الرافع الخافض، يرفع المتقين بطاعته، ويخفض العصاة بخذلانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الهادي البشير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، نقل عن بعض السلف قوله: «من صام رمضان ـ وهو يحدث نفسه: أنه إذا أفطر بعد رمضان لا يعصي الله دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب. ومن صام رمضان ـ وهو يحدث نفسه: أنه إذا أفطر بعد رمضان عصى ربه. فصيامه عليه مردود» فاحذروا ـ يا عباد الله ـ من البعد بعد الوصال. ومن القطيعة بعد فيض النوال.

٣٩ - في وصف عباد الرحمن

الحمد لله بيده الملك، وهو على كل شئ قدير، أحمده سبحانه، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الهادي البشير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، في اقتفاء آثار الصالحين صلاح، وفي السير على نهج الراشدين رشد وفلاح. ولقد كان مما وجه الله سبحانه إليه الأنظار في كتابه - من نهج المؤمنين، ومسلك البررة الصالحين، ليكون مثالاً يحتذى، ونهجًا سديدًا يقتفى، قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ (سورة الفرقان: ٦٣). مشوا وعليهم السكينة والوقار، وتجاوزوا عن زلات الجاهلين وطيش الأغرار، فهم - كما قال الحسن البصري - رحمه الله -: «قوم ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والجوارح، يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم من مرض، ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة».

ذلك - يا عباد الله - وصف نهارهم وصحبتهم للناس.

أما وصف ليلهم: ففي عبادة ما يهجعون إلا القليل، ﴿ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (سورة الفرقان: ٦٤). يرجون رحمة الله، ويدعونه في ضراعة قائلين ﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (سورة الفرقان: ٦٥).

أما وصف معيشتهم وإنفاقهم على أنفسهم وأهليهم، فلم يكونوا بالمبذرين أو المقترين، لم يكونوا بالمبذرين: يظهرون بمظاهر البذخ في مأكلهم ومشربهم، وفي

مركبهم وتأثيث منازلهم، وفي موائدهم وأفراحهم، لم يكونوا كشأن بعض الناس اليوم: لهم في كل باب الإنفاق تجاوز للحد وتبذير، ولم يكونوا مقترين: يبخلون بالواجب، ويشحون بالمعروف. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (سورة الفرقان: ٦٧).

وفي اتجاه آخر للمؤمنين، وجه الله الأنظار إلى إخلاصهم في الدين، وارتفاعهم عن أوحال الشرك وإسفاف المبطلين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (سورة الفرقان: ٦٨). وخص الدعاء بالذكر: لأنه مخ العبادة وخالصها فلا يدعون في الشدائد غير الله، ولا يسألون العون والغوث والمدد إلا من الله، ولا يرجون أو يعتمدون في كل شأن من شئونهم إلا على الله. ذلك هو التوحيد الكامل: الذي ارتفع به بلال الحبشي، وصهيب الرومي رضي الله عنهما، وانخفض بمناوأته أبو جهل وأبو لهب، وغيرهما من سادات قريش، فحق عليهم العذاب، ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (سورة المائدة: ٧٢).

وكما ارتفع المؤمنون عن كبيرة الشرك، ارتفعوا أيضًا عن الفساد في الأرض: باستباحة قتل الأبرياء. والجناية على المجتمع: بارتكاب جريمة الزنا. قال تعالى: ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ (سورة الفرقان: ٦٨-٦٩)، من يقارف الشرك، أو يقتل نفسًا حرم الله قتلها أو يرتكب جريمة الزنا ـ فسوف يلقى جزاء ما اقترف: عذاباً في جهنم يمتهن فيه ويكرر عليه. إلا من سبقت منه توبة صادق في الدنيا، وحدث منه تبدل وعمل صالح ـ فسوف يتجاوز الله عن آثامه، بل ويبدله منها حسنات، تفضلاً منه ورحمة.

قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (سورة الفرقان: ٧٠).

ذلكم ـ يا عباد الله ـ هو مسلك المؤمنين، ومنهج الصالحين. فاتقوا الله، وكونوا على أثرهم، اسلكوا مسالكهم، فقد وضح السبيل. واسألوا الله الهداية والتوفيق، واستمدوا العون منه هو مولاكم، فنعم المولى ونعم النصير.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ (سورة الزمر: ١٧-١٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٤٠ - في التحذير من اغتصاب حق الغير

الحمد لله الحليم العظيم، أحمده سبحانه! وهو الرب الرءوف الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب النهج القويم، والخلق الكريم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، شر ما يغلب على النفوس ظلم عات، وشح جامح يوردان المرء موارد الهلاك، ويحملانه على الانسلاخ من إنسانيته، ويدفعان به إلى الإثم والجريمة. وكم للظلم من ضحايا،؟! وكم للشح من مآسي؟! وكم كانا سبيل دمار، وعامل هدم وفساد؟! ولقد قرن بينهما رسول الله ﷺ في حديث واحد - محذرًا من مصيرهما، منبهًا لعواقبهما الوخيمة - فقال: **«اتقوا الظلم: فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. واتقوا الشح: فإنه أهلك من كان قبلكم، وحملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»**.

وإن من الظلم والشح - معًا - أن يغتصب المرء حقًّا صريحًا لأخيه المسلم، وأن يعتدي عليه باقتطاع جزء من أرضه: يدافع عنه ويناضل، ويخاصم فيه ويجادل، ويسلك في سبيل ذلك طرقًا ملتوية للتشفي: يستأجر شهود الزور، ويتقدم بالرشوة في كل سبيل، ويجرؤ على الحلف بالله كاذبًا إن لزم الأمر لذلك، حتى يبلغ ما يريد، وحتى يستحوذ على حق الغير ظلمًا وعدوانا حق أخيه المسلم الذي له في عنقه ما أوجبه الإسلام للمسلم على أخيه من حق الرعاية: **«كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»**.

ذلكم - يا عباد الله - هو الظلم العاتي. والشح الجامح الذميم. وما علم هذا المغتصب أنه خادع نفسه، وغرر بها، وعرضها للوعيد الشديد، ونقمة الجبار جل

وعلا. فيا لعظيم خسارته! ويالسوء مصيره! يقول رسول الله ﷺ: **«من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه، لقي الله وهو عليه غضبان»**، قالوا: يا رسول الله، وإن كان شيئًا يسيرًا؟ قال: **«وإن كان قضيبًا من أراك»**.

وصح عنه ﷺ، أنه قال: **«من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين»**؛ وفي رواية: **«أظلم الظلم ذراع من الأرض ينتقصها المرء المسلم من حق أخيه»**.

فأي وعيد - يا أولي البصائر - أعظم من هذا الوعيد؟ وأي ظلم أفظع من استلاب حق المسلم، واغتصاب ماله، والجرأة على الله بارتكاب ما يغضبه؟! أو لم يكن للناس عبرة في مصير الظالمين، وعاقبة المنحرفين المبطلين؟! كيف أمهلهم الله ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر، ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (سورة هود:١٠٢)؟! ثم ماذا؟ يودِّع الظالم الشحيح دنياه غيره أسوف عليه، ويَخْلُفه في ماله من لا يدعو له أو يترحم عليه، ثم يبدد المال شَذَر مَذَر، لأنه وصل إليه غنيمة باردة لم يجهده جمعها، ولم يكدح قليلاً أو كثيرًا في الحصول عليها. فتكون المتعة للوارث، ويكون الحساب العسير والجزاء على الظالم الشحيح.

فاتقوا الله عباد الله، واذكروا على الدوام قول رسول الله ﷺ: **«اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. واتقوا الشح، فإنه أهلك من كان قبلكم»**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة:١٨٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٤١ - في الحث على الجماعة واجتماع الكلمة

الحمد لله مالك الملك إله العالمين، أحـمده سبحانه، وله الثناء والشكر والمنة على العباد أجمعين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، أمر بالاعتصام بحبله، ونهى عن الفـرقة بين المسلمـين، وأشهـد أن محـمدًا عـبده ورسـوله، سيـد الأولين والآخرين، وإمـام الهداة المهديين. اللهم صل وسلم على عـبدك ورسولك محـمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن من خير ما رسمه دين الإسلام من أهداف، وأمر به وأخذ علـى تركه: اجتـماع الكلـمة، وترابط المسلمين وتسـاندهم للعمل في صـالح الجماعة، ولرفعة شأنها واسـتدامة عزها ومجدها. يقول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣). فالاعتصام بحبل الله، وعدم التنازع والفرقة هو الحجر الأساسي في بناء صرح الجماعة. قال عبد الله بن مسعود - صاحب رسول الله ﷺ -: «**عليكم بالجماعة؛ فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة، خير مما تحبون في الفرقة**».

ولقد دلل الإسلام عمليًا، على ضرورة التزام الجماعة في كل أمر ذي بال، حيث شرعـها في مـعظم العبـادات التي بها صـلاح الدين: فالصلوات الخـمس والجمـعة والعيدان، شـرع لها الجماعة، والصـوم حين فرضه الله على العباد، جـعله في شهر واحد لتـقوم به الجماعـة الإسلاميـة في سائر أقطار الدنيا، في مظهـر واحد، والحج والجهاد وكل إلى إمـام المسلمين إقامته للجمـاعة. وفي الجماعة مـعنى القوة، والقوة مظهر من مظاهر العزة التـي قطع الله بها للمؤمنين: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة المنافقون: ٨).

غير أن هذا الوعد بالعزة لا يتحقق إلا باتحاد جماعة المسلمين وتضامنها، وتعاونها للدفاع عن الحق، ونصرة دين الله، وحماية الضعيف والأخذ بيده. وذلك ما يبدو واضحًا من معنى الحديث الشريف: «**المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضًا**». والبنيان لا يزال متماسكًا رفيعًا منيعًا، ما دامت أجزاؤه سليمة من العطب؛ أما إذا دب إليها الفساد ونخرت في أعوادها الأكلة ـ: فإنه لا يلبث قائمًا أن ينهار، ثم يصبح عرضة للرياح، فيتلاشى. وكذلك صرح الجماعة: لا يزال قائمًا منيعًا، مرهوب الجانب، عزيز المنال، ما دامت عناصره صالحة سليمة من الفساد. أما إذا دب إليه الضعف، وانحرفت بعض أجزائه عن الاستقامة: فإنه لا محالة متصدع مهدوم. والويل للجماعة حين يتصدع بنيانها، وحين تنفصم الروابط بين أبنائها، وحين تتقطع بهم بهم الأسباب، وتتشعب بهم السبل. الويل لهم من أعدائهم: يضربون على أيديهم، ويكيدون لدينهم، ويعبثون بمصائرهم، ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (سورة الأنفال: ٤٦).

فاتقوا الله عباد الله ، واعملوا متساندين لصالح الجماعة، واقضوا على الفرقة والاختلاف، وحذار من تصدع البنيان، فلم يكن المسلمون في زمن أحوج إلى رأب الصدع، وجمع الكلمة، وتوحيد الصفوف من هذا الزمن.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٤٢ - في بيان منافع الحج

الحمـد لله فاطـر السمـوات والأرض، له الملك وله الحمـد، وهو على كل شئ قدير، أحمد سبحانه، وهو اللطيف الخـبير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا مثيل له ولا نظيـر. وأشهد أن محمـدًا عبده ورسوله، البشـير النذير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عبـاد الله، في مثل هذه المناسبة مناسبة الحـج، وفي مشعر من مشاعره قـام رسول الهدى ﷺ يدعو المسلمين إلى عبـادة رب واحد ويهيب بهم أن لا يضلوا بعد الهدى، وأن لا يعودوا إلى العصبـيات الجاهلية، بعد أن مَنَّ الله عليهم برابطة الإسلام وأخوة الدين.

وإن في تجدد هذه المناسبـة، واجتماع المسلمين في مشاعـر الحج المعظمة ـ تجديدًا للروابط التي ربطهم بها الإسـلام، وتنمية لروح الإخاء الديني الذي شـرعه الإسلام، وتحقيقًا للمنافع العظيمة التي أشار إليها الرب جل وعلا، حيث يقول لخليله إبراهيم: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ (سورة الحج: ٢٧-٢٨).

وإنها ـ يا عـباد الله ـ منافع مـتنوعة الأغـراض، متعـددة الجوانب، منهـا ما هو روحي: يتعلق بالعـبادة والإخلاص فـيها، وبأداء النسك على الوجـه الأتم المشروع؛ وبطلب القـبول والمغفـرة والرضوان. ومنهـا ما هو اجتـماعي: يتـحقق به التـعارف والتقـارب بين أفراد الجماعـة الإسلامية المتـفرقة في أقاصـي الدنيا؛ ويتم به التناصح والتعـاطف والتضـامن، ويكون فيه التـفكير في إصـلاح شأن الجمـاعة الإسلامـية، والتعـاقد على الوفاء بالعهـد، لتحقـيق أهداف الإسلام، ونشر تعاليـمه الصحيـحة،

وإقامة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وبذلك تصبح الأمة الإسلامية - كما وصفها الله في كتابه - : ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠).

فاتقوا الله عباد الله، واغتنموا فرصة هذا الاجتماع المبارك في هذه الرحاب المقدسة، الآمنة الوادعة، واعقدوا فيها العزم على العمل لصالح الجماعة الإسلامية، والدعوة لإحياء ما اندرس من معالم الحنيفية، والبعد عن أرجاس الوثنية في مختلف أشكالها، لكي يحقق الله لكم وعده في الاستخلاف في الأرض، والتمكين لدينكم الذي ارتضاه لكم، ولكي يبدلكم من بعد خوفكم أمنًا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (سورة النور: ٥٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الحليم العظيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود والقدر العظيم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد ... فيا عباد الله: إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد بن عبد الله ﷺ فاهتدوا بهديهما، والتمسوا الهداية من نورهما، واعملوا جاهدين لحماية الإسلام من ضلال المضلين، وعبث العابثين، وفتنة المخدوعين، واستمدوا العون من الله هو مولاكم، وهو خير الناصرين.

وصلوا على النبي المصطفى رسول رب العالمين، فقد أمركم الله بذلك في كتابه المبين: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦). اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين. وارض اللهم عن خلفائه الأربعة أئمة الهدى والدين، وعن سائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر اليهود وأعوانهم من المستعمرين ووحد بين صفوف المسلمين، وأصلح قادتهم واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك، يا أرحم الراحمين.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٣).

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

عباد الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠). فاذكروا الله على نعمه. واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٤٣ - في التشويق لأداء المناسك

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه، أحمده سبحانه، يغفر الذنب لعبده كلما تاب إليه في كل حين من حاضره وماضيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أفضل من تقرب إلى الله بالطاعة وقام لله يعبده ويناجيه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، في ربوع الأمن تتحقق الأماني، وفي البلد الأمين ترتفع نفوس الصالحين إلى منازل القرب والرضوان، وينعمون بصفو الأيام والليالي، فيا لسعادة الصالحين!

وها هم حجاج بيت الله يلهجون بالذكر في مواطن الذكر والبلد الأمين ويكبرون لرؤية البيت العتيق، ويسكبون دموع الفرحة بلذة القرب، فنعم هذا القرب، ونعم المتقربون!

ولو تراهم إذ وقفوا بعرفة محرمين، شعثًا غبرًا خاشعين متذللين وداعين مهللين ومكبرين، ومستغفرين تائبين ونادمين، قد اطَّرحوا الدنيا وراءهم وأقبلوا على الله، وتجردوا بإحرامهم من كل ما يغضب الله وتذكروا بموقفهم موقف العرض على الله، وتعالت منهم الأصوات بالتلبية استجابة لداعي الله: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، الدعاء لك وحدك دون غيرك من المعبودين، والخشية والرغبة والذل منا إليك، والتضرع والخوف بين يديك والتقرب بذبح الهدي والضحايا نبتغي به الزلفى إليك، وكل عباداتنا نتوجه بها إليك، لبيك لا شريك لك لبيك.

وكان إكرام الضعيف عند الكرام حسن الضيافة، وأعظم بالمولى الكريم في حسن الوفادة، فما من يوم أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة، إلى جانب غفران المولى

للذنوب العظام، ومباهاة الله ملائكته بأهل الموقف، قائلاً: «انظروا إلى عبادي، اتوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق: يرجون رحمتي، ويخافون عذابي، أشهدكم: أني قد غفرت لهم، ووهبت المسيء للمحسن منهم»، فنعم حسن الوفادة؛ ويا لسعادة الوافدين!. وباتوا في المزدلفة، فبيتوا الطاعة، وازدلفوا إلى الله صباحًا بالذكر عند المشعر الحرام. ثم بلغوا منى، فتم لهم بذلك بلوغ المُنى. ورموا الجمار، فانحطت عنهم الأوزار. وحلقوا الرؤوس أو قصروا، ونحروا الهدي، فنحروا الهوى، والتمسوا من الله الرشد والهدى. وأمّوا البيت الحرام لطوف الإفاضة، والسعي بين الصفا والمروة، فأتموا بذلك الحج. فحبذا العمل المبرور! ونعم السعي المشكور بهذا الحمى!

فعلى مثل هذا النهج فليعمل الوافدون، وفي بذل الجهد لطاعة الله فليتنافس المتنافسون. وعليكم - عباد الله - باقتناء أثر الصالحين: ممن سار على نهج المصطفى، وتزودوا بالتقوى: ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ (سورة البقرة:١٩٧). واسألوا الله القبول فما خاب عبد أنزل حاجته بالرب الكريم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٠-٢٠٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير من رفع الله باتباعه الدرجات، ومحى الإثم والحوب. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن من خير الأعمال وأزكاها حجًا خالصًا: لا رياء فيه ولا سمعة، وعلى نهج رسول الله: لا تشوبه بدعة، ذلك هو الحج المبرور الذي وعد عليه الرب سبحانه الجزاء بالجنة. فالتزموا - رحمكم الله - خير المسالك في حجكم: فخير المسالك ما يوصل إلى الجنة. فيا لسعادة من حظى بها! إنها دار الكرامة والنعمة.

٤٤ - في بيان شرف الكعبة والحث على أداء المناسك

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه، أحمده سبحانه، وهو الرب العظيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تفرد بالألوهية والربوبية والخلق والتدبير. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بشير الأمة بالخير، ونذيرها عن الشر وسوء المنقلب والمصير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد ... فيا عباد الله، إن هذا البيت الحرام هو قبلة المسلمين جميعًا، وملتقى جموعهم من أقاصي الدنيا، يفدون إليه من كل فج كما أمرهم الله تعالى، ليؤدوا فريضة الله؛ وليجددوا العهد بالله في بلد الله؛ وليعاهدوا الله على الإخلاص لدينهم، والتحرر من عبودية المخلوق أيًا كان وضعه، وعلى التعلق به وحده سبحانه دون سواه.

هذا البيت المشرف - يا عباد الله - هو الرمز الخالد للحنيفية السمحة، وشعائر الدين الحنيف، وهو الأثر العظيم البارز لإمام الحنفاء، واضع قواعده إبراهيم خليل الرحمن.

وفي القيام بتأدية الشعائر الإسلامية في رحاب هذا البيت تجديدٌ لذكرى هذه النعمة التي شرّف الله بها خليله، وتخليد لمبدأ الوحدة للواحد الأحد. ففي الطواف بالبيت واستلام أركانه معنىً من معاني التوحيد، والاستسلام لرب هذا البيت، والإذعان لطاعته. وفي التجرد من الثياب، ولبس الإحرام، والكشف عن الرءوس، والتضرع لله في موقف عرفات، وفي نحر الهدى، أو ذبح الضحايا، ورمي الجمار،

واللبث في منى لذكر الله، في كل ذلك مظهر العبودية لـرب العباد، وتحقيق للغرض الأسمى الذي خلق الله الخلق من أجله.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات: ٥٦).

فاتقـوا الله عباد الله، واحـفظوا لهذا البيت المشـرف حرمتـه، يحفظ الله عليكم نعمه. وأعيدوا للإسلام مجده: باقـتفاء آثار الخليل واضع قواعد هذا البيت، وبالسير على نهج مجدد الحنيفية محمد رسول الله ﷺ، دون حيدة أو التواء عن مسلكهما. إنكم بذلك تسلكون نهجًا واضحًا، وتسيرون على هدى مستقيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (سورة الحج: ٢٦-٢٩).

نفعني الله وإياكم بهدي كـتابه. أقول قولي هذا، وأستـغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العزيز المتعال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قسم العباد بعدله بين أهل يمين وأهل شمـال، وأشهد أن محمدًا عبـده ورسوله، أفضل من تحلى بكريم الخصال. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيـا عبـاد الله، في جوار هذا البـيت تتكون الصلة بين المسلمين. وتتوثق الوشائج، ويسود الوئام والمحبة، وتتجـلى الألفة، وينسجم الجميع تحت شعار الإسلام، وكلمة الإخلاص: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

وفي هذا البلد البعيد عن كل لون من ألوان المبادئ الهدامة، والدعاوى الحزبية والعنصرية والقبلية، في هذا البلد يتساوى الناس: حيث جعله الله ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ (سورة الحج: ٢٥).

فأدوا - يا عباد الله - فيه الشعائر آمنين، واعملوا فيه الخير في كل وجوه الخير، يأجركم الله رب العالمين، وكفوا عن السيئات، فالسيئات فيه تضاعف في قول السلف الأكرمين.

٤٥ - في بيان بر الحج

الحمد لله واسع العطاء عظيم النعماء، أحمده سبحانه، أن يسر للعباد أمر طاعته، ووعدهم عليه عظيم الأجور. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحكم وإليه ترجع الأمور. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أكرم خلق الله على الله الغفور، وشفيع العباد يوم النشور. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «**أفضل الأعمال: إيمان بالله ورسوله، ثم جهاد في سبيله، ثم حج مبرور**».

وإن من كمال الإيمان بالله، الاخلاص لدين الله، وصرف جميع العبادات لله، فلا توجه إلا إليه، ولا تعلق في رفع الشدائد؛ وجلب النفع؛ ودفع المكروه إلا به.

وإن من كمال الإيمان برسول الله ﷺ، الإذعان التام الشامل، لكل ما جاء به رسول الله ﷺ، والانقياد له في الأمر والنهي، فلا قدوة إلا به، ولا اهتداء إلا بهديه، ولا قول لأحد مع قوله، ولا طاعة لمخلوق في معصيته.

وإن من كمال الجهاد في سبيل الله التضحية وبذل النفس والمال: لإعلاء كلمة الله، وللذود عن دين الله.

ومن كمال الحج: أن يكون مبرورًا. وإنما يكون مبرورًا بما أوضحه الله تعالى في كتابه، حيث يقول: ﴿**فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ (سورة البقرة:١٩٧). وبما أفصح عنه رسول الله ﷺ، بقوله: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق؛ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**». وبما ندب إليه رسول الله ﷺ، فقال ـ وقد سئل عن بر الحج ـ: «**بر الحج: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وطيب الكلام**». وبالجملة فكل وجوه البر عامل قوي في تزكية الحج، وجعله مبرورًا. ويدخل في ذلك تحري الكسب

الحلال، والبعد عن الرياء والسمعة، وعن المباهاة بالأعمال، وعن التغالي في مظاهر الحج عمومًا: من مأكل ومشرب، ومن مركب ولباس. فإن ذلك أدعى لرجاء القبول، ولتزكية الحج وجعله مبرورًا ورد في السنة: أن رسول الله ﷺ صلى الصبح بمنى يوم عرفة، ثم غدا إلى عرفات - وتحته قطيفة اشتريت له بأربعة دراهم - وهو يقول: «اللهم اجعلها حجة مبرورة متقبلة، لا رياء فيها ولا سمعة».

فاتقوا الله عباد الله، والتمسوا في حجكم عملاً صالحًا، تكن لكم به النجاة من النار، ويحقق الله لكم به وعده في دخول الجنة. فنعمت الجنة من دار! وبئست النار من قرار!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة: ١٩٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي العزة، فلا يعز من عاداه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفرد في علاه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نبي قام لعبادة ربه حتى تورمت قدماه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، صح عن النبي ﷺ، أنه قال: «الإسلام سهم، والصلاة سهم، والزكاة سهم، والصيام سهم، وحج البيت سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، والجهاد في سبيل الله سهم. وقد خاب من لا سهم له».

فالمساهمة في ذلك كله - يا عباد الله - فريضة فرضها الله على العباد، لا عذر في التخلف والقعود عنها، وفي القيام بها رفع لمنار الإسلام، وحفظ لكيانه. فاعملوا - يا عباد الله - جاهدين للأخذ بكل شعائر الإسلام، يغفر الله لكم من الذنوب والآثام، ويرفع لكم المنازل في أعالي الجنان..



٤٦ ـ في بيان المناسك

الحمد لله الإله الحق المعبود؛ أحمده سبحانه، وهو صاحب المنن الضافية والجود. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بدأ الخلق ثم يعيده كما بدأه أول مرة، وهو الرب المحمود؛ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود والحوض المورود. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، إن الهدى هدى الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ؛ فلا هدي أكملُ من هديه، ولا سنة أفضلُ من سنته. ولقد صح عنه أنه خاطب الجموع ـ ممن حج معه في حجة الوداع ـ بقوله: «**خذوا عني مناسككم**». ومعنى ذلك: أن يتخذوا منه ـ وحده ـ القدوة، ويتقيدوا به في كل أمر يقومون به، في المناسك وأعمال الحج وغيرها.

ولقد ثبت من سنته ﷺ: أنه خرج إلى منى في يوم الثامن من شهر ذي الحجة، وأقام بها سحابة اليوم، وصلى بها الصبح يوم عرفة. ثم ارتحل إلى نمرة وصلى بها الظهر قصرًا وجمعًا؛ وخطب فيها خطبته المشهورة. ثم دخل إلى عرفات، ووقف بجوار الصخرات، يذكر الله تعالى حتى غروب الشمس، وقال: «**وقفت هاهنا، وعرفة كلها مَوْقِف**». ثم دفع من عرفة بعد الغروب إلى المزدلفة، وصلى بها المغرب، وجمع إليها العشاء قصرًا، وبات بها ليلة العيد. ثم صلى الصبح بها بغَلَس، ووقف عند المشعر الحرام، يذكر الله تعالى حتى أسفر جدًا، وقال: «**وقفت هاهنا، وجمع كلها مَوْقِف**»، أي: والمزدلفة كلها مبيت. ثم أفاض إلى منى، فرمى جمرة العقبة وحدها بسبع حصيات. ثم نحر هديه، وحلق رأسه، ولبس ثيابه، وقصد البيت الحرام، وطاف به للحج ثم رجع إلى منى، وأقام بها ثلاثة أيام ـ بعد يوم العيد ـ يرمي الجمار الثلاث كل يوم فيها بعد الزوال، مبتدئًا بالجمرة التي تلي مسجد الخيف. ثم رجع إلى مكة.

هذه - يا عباد الله - هي سنة نبيكم ﷺ في حجه. فاتقوا الله عباد الله، واحرصوا على الاقتداء به، فالخير كل الخير في اقتفاء أثره، والسعادة بحذافيرها في انتهاج نهجه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة البقرة: ١٩٨ -١٩٩).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الغني عن العباد، وكل العباد مفتقرون إليه. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير الدعاة إلى ربه وباريه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فيا عباد الله صح عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«الحج عرفة»** أي: أهم أركان الحج كلها الوقوف بعرفة، فمن وقف بها محرمًا، في اليوم التاسع من ذي الحجة، أو جزء من ليلة العيد، ثم عاد إلى مكة، وطاف للحج، وسعى بين الصفا والمروة، فقد أتى بكل أركان الحج التي لا تسقط بحال. وعدا ذلك من أعمال الحج، إما واجب يجبره التقرب إلى الله بذبح دم، وإما سنة يعفو الله عمن قصر فيها للضرورة، أو لغير قصد.

فخذوا - يا عباد الله - باليسر من أمر دينكم. فقد صح عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«خير دينكم أيسره»**، وما قامت شريعة الله إلا على اليسر والسماحة.

٤٧ - في مناسبة نهاية العام الهجري

الحمد لله مصرف الأحوال ومدبر الأمور، رب المشرق والمغرب، لا إله إلا هو العزيز الغفور، أحمده سبحانه، الحي القيوم على مر العصور، وكر الدهور. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مالك يوم الجزاء والنشور. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المبعوث إلى الناس كافة بالهدى والنور. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن لكل شئ بداية ونهاية، وإن نهاية عامنا هذا قد آذنت بالرحيل. وإن هذا الرحيل ليترك في النفوس الأسى والحزن، ويدفع إلى أخذ العبرة والأسى على زمن تصرم وانقضى في غير طاعة الله وابتغاء رضوانه، والحزن على فراق أحبة مضوا بين طيات السنين، وانقطع بهم ما أملوه وغدوا أثرًا بعد عين. وأخذ العبرة مما مر بالجماعة الإسلامية من أحداث جسام أقضت المضاجع، وأفزعت القلوب. فكم مر بالأسماع ما نزل ببعض البلاد الإسلامية على يد أعداء الإسلام؟ من الظلم والقسوة، ومن التخريب والتدمير، والقتل والتشريد. فتألم له المسلمون جميعًا، إذ كانوا كالجسد الواحد. وكم مر بالأسماع من أخبار الزلازل العنيفة، والفيضانات الجامحة المروعة، ما يشعر بعجز المخلوق، وافتقاره إلى رحمة الخالق العظيم القادر. وكم مر بالأمة الإسلامية - في خلال العام الراحل: من ظروف حرجة، كانت مخبر الصدق والإيمان، ومحكًا للعزائم الثابتة.

كل ذلك - يا عباد الله - مما يجب أن نأخذ منه العبر، وهو مما يحفز إلى الرجوع إلى الله، والتعلق به، والتمسك بدينه، والاهتداء بشرعه، لعل الله أن يبدل المسلمين من الخوف أمنًا، ومن البؤس والشدائد والمحن رخاء وعزة ونصرًا، ومن الأعوام العصيبة أعوامًا تشرق باليمن والبركات والخير العميم.

ألا، وإن عماد الفلاح وعُنوان السعادة تقوى الله. فأحثكم ـ عباد الله ـ عليها؛ وأوصيكم ونفسي بها، فرحم الله عبدًا عمل بتقوى الله فكان من المحسنين

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (سورة التوبة: ١٢٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله القديم الباقي. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العظيم الباري، .وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، البشير النذير الهادي. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد ... فيا عباد الله، إن الشهور، والأعوام ظروف لأعمال العباد، فاملئوها بالخير وصالح الأعمال، لتشهد لكم بالاستقامة وخير الفعال. واعتبروا بما يجري فيها: من المحن والمصائب، وما ينزل من النقم والفواجع. فالسعيد من اتبع الهدى، واعتبر بفجائع الزمان، ونوازل الأيام.

٤٨ - في الوصية بالأجير

الحمد لله البصير بأحوال عباده، العليم بما تكنه الضمائر وما تخفي الصدور، أحمده سبحانه، رفع العباد بعضهم فوق بعض درجات، وفضلهم في الرزق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، جمع الله به الشمل، ورتق برسالته الفتق. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، في ظلال العدل تطمئن النفوس، وبامتداد رواقه تسكن القلوب. وإن من العدل إنصاف الأجير، ورعاية حقه كإنسان: يحس ويشعر، ويتألم كما يتألم أي إنسان.

فإذا استُخْدِم أجيرٌ لعمل من الأعمال ـ طالت مدة الاستخدام، أم قصرت ـ فمن حقه أن يستوفي أجره كاملاً غير منقوص، مقابل ما قام به من العمل. وفي ذلك إنصافٌ، وقيامٌ بواجب العدل نحوه، واستجابةٌ لوصية رسول الله ﷺ فيه، حيث يقول: «**أعطوا الأجير أجره، قبل أن يجف عرقه**».

وإن إنصاف الأجير ـ إلى جانب أنه خلق كريم ـ فهو عمل صالح، ووسيلة لاستنزال رحمات الرب جل وعلا، وبلوغ رضوانه. فلقد صح في الحديث: «**أن ثلاثة نفر أووا إلى غار من المطر، فانحطت على فم الغار صخرة، فتوسل كل منهم بعمل صالح عمله، ليفرج الله عنهم». وكان من توسل أحدهم، أنه قال: «اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت عليه فرقه، فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرًا ورعاءها فجاءني، فقال: اتق الله، ولا تظلمني حقي، قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها، فقال: اتق الله، ولا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذ**

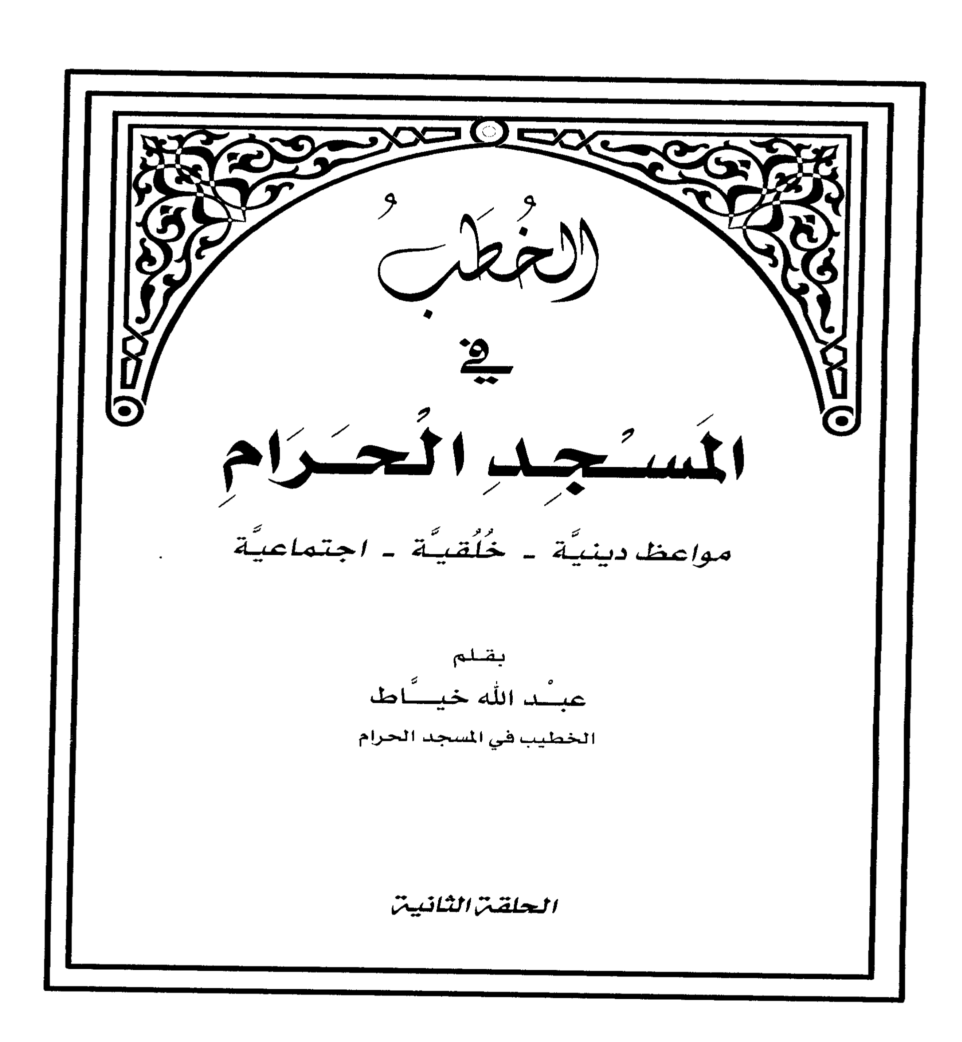
البقر وذهب، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرجْ لنا، ففرج الله عنهم». ذلك ـ يا عباد الله ـ هو عمل الصالحين. فهلا اقتدينا بهم؟!.

وإن في الناس من تبلغ بهم القسوة حدًا يحملهم على الحيف وظلم الأجير، يظل يكدح طوال العام في قضاء مصالحهم، فإذا ما انقضى الأجل بينهم وبينه كان الحساب له عسيرًا، إنهم يحصون عليه الزلات والهفوات، ثم يماطلونه في حقه، أو يجزئونه له في التسديد. وذلك ظلم للأجير وتعسف ممقوت. والظلم فظيع بالنسبة لأي مخلوق وهو بالنسبة للأجير أشد فظاعة. من أجل ذلك؛ قرنه رسول الله ﷺ بمعصيتين كبيرتين، وتوعد من يتورط فيه بالخصومة وسوء المصير، يقول ﷺ: **«ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ـ ومن كنت خصمه خصمته ـ: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا، فاستوفى منه، ولم يؤته أجرته».**

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا خصومة رسول الله، في يوم ترجعون فيه إلى الله، وترجون فيه أن يكرمكم الله بشفاعته، وأن يوردكم على حوضه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ (سورة الأنبياء: ٤٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.



الخُطَب في المَسْجِدِ الحَرَام

مواعظ دينيَّة - خُلُقيَّة - اجتماعيَّة

بقلم

عبْد الله خيـّاط

الخطيب في المسجد الحرام

الحلقة الثانية



الحمـد لله رب العـالمين، وصلى الله على خيـر خلقه، البـشيـر النذير سـيد الأولين والآخـرين، محـمـد بن عبـد الله، صلى الله عليـه وعلى آله وصـحبـه الطيبين، وآل بيته الطاهرين.

وبعد . . . فهذه هي الحلقة الثانية من سلسلة كتاب (الخطب في المسجد الحرام)، أعددتها في مناسبات مـختلفة بتوفيق الله، وأخرجها للمجمـوع بتشجيع أهل الفضل من خيار الإخوان الذين يحبون إشاعة النفع وتعميم الخير.

وأسأل الله أن ينفع بها، ويأجرني على ما بذلته فـيها من تحر للحق، وما قصدته من إرادة النصح والتوجيه إلى أقوم السبل.

وصلى الله على النبي محمد خاتم الرسل أجمعين.

عبد الله خياط

١ - في الوعظ

الحمد لله إله العالمين، وهادي العباد إلى صراطه المستقيم، أحمده سبحانه، أوضح طريق الخير والشر، فمن شاء سار على نهج المهتدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مربي العباد بنعمه، وهو المعبود بحق دون غيره من المعبودين. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله بالبينات والذكر المبين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن من أفضل الأعمال وأزكاها، ومن خير ما تنافس فيه المتنافسون، بذل النصيحة، والقيام بالتذكير، والعمل على تنبيه الغافلين، عملاً بقول أصدق القائلين: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الذاريات: ٥٥).

وإن أفضل المواعظ ما كان بكتاب الله، أو حديث رسول الله ﷺ، وخير الوصايا ما كان مصدره القرآن، أو سنة محمد بن عبد الله.

وإن من وصايا القرآن ما قصه الله عن لقمان، وهو يوصي ابنه بوصايا جامعة تكفل له صلاح أمر الدين والدنيا، وكان في طليعتها النهي عن الإشراك بالله، وعن تأليه المخلوق بأي لون من ألوان العبادة التي لا تليق إلا بالله، وعن رجائه في جلب النفع، ودعائه في كشف الضر، سواء كان ذلك المخلوق ملكًا في السماء، أو نبيًا من الأنبياء، أو صالحًا من الصالحين والأولياء ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة لقمان: ١٣). ثم قرن الوصية بحق الله في العبادة بحقوق الوالدين في الطاعة، بما يشعر بوجوب برهما، والإحسان إليهما، لعظم حقهما، وسابغ فضلهما، ثم وجهه إلى عظمة الباري وسعة علمه، بحيث لا يغيب عنه أمر من أمور عباده، وإلى أن المظلمة مهما صغرت، والخطيئة مهما استترت، لا تغيب عن علمه، وسوف يحاسب العباد عليها، إن خيرًا فبالإحسان والجائزة، وإن شرًا فبالعقاب وعسير المحاسبة.

ثم أمر بإقـام الصلاة وهي عـمود الدين، ولا حظّ في الإسـلام لمن ترك الصلاة يقـول رسول الله ﷺ : **«خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة، من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»**.

وأمر بإقـامة الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر، إذ بقيـامهمـا صلاح الدين وفي الأخذ بهما مع الحكمة والتسديد والمقاربة رضا رب العالمين: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٤).

وأمر بالصبر على الأذى في سبيل الدعوة إلى الخير، لضمان الأجر ونجاح المطلب ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (سورة الزمر: ١٠).

ثم نهى عن المنكر والتعـالي على الناس، والعجب بالنفس والخـيلاء في المشي، وأمر بنقـيض ذلك من خصال الخـير: أمر بالتواضع والاعـتدال في السيـر، وخفض الصوت بالحديث.

وإن في هذه المواعظ القرآنية مـا يهدي إلى السبيل السوي. فاتـقوا الله عباد الله، وخذوا بالهدي الراشـد في كتاب الله أو سنة رسول الله، وتحلوا بالفضـائل فللفضائل سوق اتجر فيها المفلحون، ففازوا بالربح العظيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ

مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (سورة لقمان: ١٣-١٩).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله فاطر السموات والأرض وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أهل الثناء والحمد. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب الشفاعة العظمى والحوض، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، قال إمام في التابعين في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (سورة الفرقان: ٧٣): هم الذين إذا وعظوا بالقرآن لم يقعوا عليه صمًا لم يسمعوه، وعميانًا لم يبصروه؛ لكنهم سمعوا وأبصروا وأيقنوا به.

فكونوا - يا عباد الله ممن إذا ذكر بآيات الله، سمعها ورعاها، وتدبرها فانتفع بها، فذلك شأن الراشدين من أولي الألباب. وصلوا على الشفيع المشفع يوم الحساب، فقد أمركم الله بذلك في محكم الكتاب؛ ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦).

٢ - في النهي عن النياحة على الميت

الحمد لله جابر القلوب الكسيرة، ورافع درجات الصابرين.

أحمده سبحانه، أمر بالصبر على المصائب والبلوى، ووعد عليه عظيم الجزاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الصابرين، فأعظم به من نبي الهدى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك، محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيا عباد الله، لقد كان من حكمة الباري جل وعلا أن جعل هذه الحياة الدنيا دار بلاء ومحنة، ومصائب وشدة، ليبلو بذلك صبر الصابرين، ويمتحن يقين المحتسبين، ويعلم صدق المستسلمين لقضاء رب العالمين، فيحقق وعده للصابرين وينزل مقته بالساخطين والمتضجرين.

﴿ الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (سورة العنكبوت: ١-٣). وإن من المصائب المؤلمة موت الأحبة، ومواراتهم التراب في صدوع غير ممهدة، وقبور لا أنيس فيها غير العمل الصالح، وذلك مما يستثير الحزن والأسى، غير أنه مما يجب عليه الصبر لضمان الأجر، والصبر عند الصدمة الأولى.

وإن في الناس من تحمله الفاجعة على التسخط وعدم الرضا بحكم الله وقضائه وخاصة النساء، لضعف العقل والدين في نفوسهن، فيرتكبن المحرم بالنـيّاحة على الموتى، ويندبن المقبورين، بعبارات فيها التبرم بالقدر المحتوم والقضاء، ولن يجدي عنهن ذلك في رد المصيبة شيئًا، بل يحملن الوزر، ويعرضهن لوعيد الباري جل وعلا، ويجلبن به على الأحبة من الأموات وبالاً وعذاباً مؤلمًا.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «الميت يعذب في قبره بما نيح عليه». وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول: واجبلاه، واسنداه، أو نحو ذلك، إلا وكل به ملكان يلهزانه: أهكذا كنت؟». أي يجمعان يديهما، ويدفعانه بهما في صدره، ويعنفانه بقولهما: أهكذا كنت كما يقولون عنك». وأغمي على عبد الله بن رواحة صاحب رسول الله ﷺ، فجعلت أخته تبكي وتقول: واجبلاه وا كذا، تعدد عليه. فقال حين أفاق: «ما قلت شيئًا إلا قيل لي: أأنت كذلك؟».

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن - وعد منها النياحة على الميت». وتبرأ رسول الله ﷺ من الصالقة، وهي التي ترفع صوتها بالنياحة والندب.

وقال ﷺ «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب». قال العلماء: أي يلطخن بالقطران، فيكون لهن كالقمص، حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن، وألمهنَّ أشد.

وإن في بعض هذا - يا عباد الله - عذابًا أليمًا، وشقاء يا له من شقاء، فاتقوا الله عباد الله، وأشفقوا على أهليكم ونسائكم من عذاب الله، وامنعوهن من النياحة وكل ما يجلب سخط الله، يأجركم الله، وتفوزوا برضاء الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله مقيل العثرات، المسؤول لدفع الشدائد وتفريج الكربات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، في اتباع سنته سعادة الدنيا والآخرة ورفع الدرجات. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ في حديث طويل أنه قال: **«إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا وهذه - وأشار إلى لسانه ويده - أو يرحم»**. فإذا نزل بالعبد ضر وبلاء ومحنة إن قال خيرًا وصبر واحتسب أُجِر، وإن قال شرًا وتضجر أثم وعوقب. وصح عنه ﷺ أنه قال: **يقول الله تعالى** - أي في حديث قدسي - **«ما لعبدي المؤمن عندي جزاء، إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه، إلا الجنة»**. وقال إمام في التابعين عند قول الله تعالى: ﴿**وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ (سورة التغابن: ١١): هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

فالتمسوا - رحمكم الله - رضوان الله بالصبر على البلاء، والشكر على النعماء، وابتعدوا عن مجالب سخطه بالتضجر من شر القضاء، فإن أمر الله نافذ، ولا يرد القضاء ضجر أو تبرم بالمصيبة والبلاء.

---

٣ - في الحث على أن يكون المؤمن بين الخوف والرجاء

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير. أحمده سبحانه كتب على نفسه الرحمة، ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، آيتان من كتاب الله تجمع بين الخوف والرجاء، لتشعر بضرورة تلازمهما، وعدم انفراد أحدهما عن الآخر بالنسبة للمسلم في كل حالاته: الخوف من رب العزة وسخطه وأليم عقابه، والرجاء في الرب الرحيم في رحمته وعفوه وفيض نفحاته. يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الرعد:٦). ويقول: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (سورة الحجر:٤٩-٥٠). فوعد سبحانه بالمغفرة والصفح الجميل عن المذنبين، ثم أخبر سبحانه أنه شديد العقاب في انتقامه من الظالمين. فقرن بين الخوف والرجاء، ليكون العبد على الدوام خائفًا راجيًا، يعمل المأمور بقدر المستطاع، ويجتنب المحظور قيامًا بطاعة الله، وأملاً في ثوابه. فإذا اقترف ذنبًا لا ييأس من روح الله، ولا يقنط من رحمته، بل يعاجل بالتوبة، خائفًا من ذنبه، راجيًا رحمة ربه، ذلك هو سبيل الأوابين المتقين، الذين مدحهم الله تعالى في محكم التنزيل بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران:١٣٥). ووعدهم سبحانه على ذلك بالمغفرة

والخلود في جنات النعيم، ﴿أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٦).

أما الرجاء في المغفرة مع عدم الخوف من الذنب والتمادي في المعصية، فذلك سبيل المغرورين، الذين خدعهم الشيطان بأمانيه وغروره، فأضحوا من الهالكين ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٤٢-٤٤).

قال إمام في التابعين: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قومًا إلا عند سكرتهم، وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله، فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون.

ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٩٨-٩٩).

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر، فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله»، وجاء عن بعض السلف قوله: من الأمن من مكر الله إقامة العبد على الذنب، يتمنى على الله المغفرة.

فاتقوا الله عباد الله، واهتدوا بالهدي الراشد في التزام الخوف والرجاء معًا في كل حالاتكم، ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة الحشر: ١٠).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ (سورة الزمر: ٥٣-٥٤).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية - تصلح لكل الخطب

الحمد لله العظيم التواب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الغفور الرحيم شديد العقاب. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أشرف نبي، بشَّر المحسنين بالحسنى، وأنذر بيوم الحساب، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، نقل عن بعض العارفين قوله: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف ألا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو. يؤيده قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ٦٠).

قالت عائشة رضي الله عنها: **قلت: يا رسول الله، أهو الذي يسرق ويزني؟ قال: «لا، ولكنه الذي يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف أن لا يقبله منه».**

فأين منا - يا عباد الله - هذه النفوس الطيبة الخيرة والقلوب الخاشعة الراجية الخائفة؟! ليس أمامنا - يا عباد الله - غير حسن الظن بالله، ورجاء عفوه ورحمته مع التسديد والمقاربة، والاجتهاد في الطاعة، فالتفريط حاصل، والتقصير لا يختلف فيه اثنان. نسأله تعالى العفو والغفران، إنه كان غفارًا.

واعلموا - رحمكم الله - أن الله تعالى قد أمركم بالصلاة والسلام على رسوله المصطفى محمد نبي الهدى فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦). اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله والصحب الكرام النجباء.

وارض اللهم عن خلفائه الأربعة أئمة الهدى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا خير من تجاوز وعفا.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعـز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واجمع كلمة المسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر من يريد بالمسلمين سوءًا يارب العالمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمـورنا، وارحم اللهم موتانا، وهب المسيئ للمحسن منَّا، ولا تؤاخذنا بـذنوبنا، برحمتك يا أرحم الراحمين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحشر: ١٠). ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل: ٩٠).

فاذكروا الله على نعمه، واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٤ - في الحث على الرضاء بقسمة الله

الحمد لله، الخافض الرافع، المعز المذل، لا إله إلا هو الحكيم الخبير. أحمده سبحانه، قسم الأرزاق والحظوظ بين العباد بعدله، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليبلوهم فيما آتاهم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، نبي امتن الله عليه بالرسالة فكان عبدًا شكورًا، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله؛ إن مما قيدت به النعم من الزوال، وكان باعثًا لاستدامتها والزيادة منها، هو الشكر عليها، والاعتراف بها، وإن من أبواب الشكر الرضاء بقسمة الله تعالى للعبد في كل أحواله، والنظر إلى من هو دونه ممن فضل عليه في أمور الدنيا، ففي ذلك راحة البال، والإيمان الصادق بعدل الله تعالى.

وكم من مبتلى في نفسه أو أهله أو ماله، يجد في الناس أشد منه بلاء وأعظم منه بؤسًا وعناء، فإذا نظر إليه سكنت نفسه. وكان في ذلك باعثًا للتنبيه لها، وتذكيرها بنعم الله عليها، وتقديرها ورعايتها، وفي ذلك يقول طبيب الإنسانية رسول الله ﷺ : «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم».

وإنها لكلمة خالدة راشدة، من حكيم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وإنه لتوجيه نبوي كريم يهدي إلى أفضل المثل الرفيعة، ويرسم للأمة النهج القويم، وإن النظر إلى الأدنى فيه أخذ العبرة، وتنبيه لعواطف الخير الكامنة في النفوس، والتي يستكمل بها المرء الفضائل.

وفيه تقدير لنعــم الله تعالى، وحافز على القيام بشكرها الذي يســتوجب به العبد المزيد منها، حــيث قد ضمن الله ذلك للشاكــرين، فقال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (سورة إبراهيم: ٧).

أما النظر إلــى الأعلى في أمور الدنيا فــهو مــجلبة للحســرة، يحمل على فــساد السريرة، وانطوائها على الحقـد والحسد والضغينة، وهو دليل لاحتقـار النعمة، وعدم تقديرها مما يوجب زوالها، والحرمان منها، جــريًا على سنة الله تعالى وعدله في تغيير النعم على الجــاحدين ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (سورة الأنفال: ٥٣).

أما النظر إلى الأعلى في أمــور الدين والعلم النافع والمعرفة، فذلك مــحمود، لما فيه من حفز الهمم للتنافس في عــمل الصالحات، والتزود من العلم الصحيح، ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (سورة الصــافات: ٦١)، ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (سورة المطففين: ٢٦).

فاتقــوا الله عبــاد الله، واشكروا نعم الله، التي أنعم بهــا عليكم، واســتـجيــبوا للدعوة الكريمة يدعوكم إليها رســول الله ﷺ، يدعوكم إلى خير الاتجاهات والمثل الرفيعة الفاضلة، فــفيها الرشاد لمن يريد رشادًا، وعليها المعــول لمن يبتغي في مسلكه سدادًا، **«انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (سورة طه: ١٣١).

نفعني الله وإياكم بهدي كــتابه. أقول قولي هذا، وأستــغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمـد لله واسع العطاء والجود، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، وهو الإله الحق المعبود. وأشهد أن سيدنا مـحمدًا عبده ورسوله، نبي آثر ما عند الله، فرفع الله له المنازل في دار الخلود. اللهم صل وسـلم على عبدك ورسولك مـحمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله؛ صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»**، أي: فكأنما أعطي الدنيا بما فيها.

وفي ذلك - يا عباد الله - توجيـه إلى القناعة، وإلى تقدير نعم الله على كل حال والنظر إليها بعين الرضـا، والقيام بواجب شكرها. فالقليل مع الرضا والقناعـة كثير، **«ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس، ومن يستغن يغنه الله»**، بذلك صح الحديث عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه.

٥ - في دعائم الإسلام

الحمد لله هادي العباد إلى سواء السبيل، غافر الذنب، وقابل التوب شديد العقاب، لا إله إلا هو إليه المصير.

أحمده سبحانه، ذو الطول والفضل العظيم. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رسول رب العالمين للناس كافة إلى يوم الدين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، أمور أربعة في الأخذ بها والتزامها والقيام بحقوقها طاعة رب العالمين، وصلاح أمر الدنيا والدين، والفوز بالكرامة في جنان النعيم، جمعها رسول الله ﷺ في حديث واحد، ورتب عليها عظيم الجزاء، فقال: **«اعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم»**.

فعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وإفراده بكامل التأليه، من دعاء ومحبة، وذل وخضوع، وتعلق به في رفع الشدائد ودفع المكروه، واعتماد عليه في كل الأمور.

وأداء الصلوات المفروضة كما أمر الله وكما أوضحه رسول الله ﷺ.

وصيام الشهر الذي فرض الله على العباد صومه، وهو شهر رمضان على الوجه الأكمل الذي فرض الله.

كل ذلك يا عباد الله حقوق الله يجب أن نخلصها لله ونقوم بها، ابتغاء رضوان الله، وأملاً في ثواب الله، وفي ذلك صلاح أمر الدنيا والدين معًا. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة النحل: ٩٧).



وطاعة ولي الأمر المسلم - في غير معصية الله - حق ثابت في عنق كل مسلم أوجبه الله، وقرنه بحقوقه تعظيمًا لشأنه، وتوجيهًا للأخذ به، إذ في ذلك صلاح أمر الجماعة، ودوام لحياة الاستقرار، والأمن والنظام؛ وتدعيمًا لهذا الحق، وحرصًا على سلامة الجماعة من الفرقة والاختلال، أهدر رسول الله ﷺ دم كل من يحاول الخروج على الجماعة، ويشق عصا الطاعة فقال: «من أتاكم وأمركم جميعًا على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، ويفرق جماعتكم فاقتلوه». وسأل رجل رسول الله ﷺ قائلاً: «يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ فكرر الرجل السؤال، فقال له رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم».

فاتقوا الله عباد الله، والتزموا القيام بحقوق الله، يكتب الله لكم بذلك رضوانه، وأدوا ما أوجب الله عليكم من حق السمع والطاعة لمن ولاه الله أمرك، تسلم لكم جماعتكم، ويستقيم بنيانكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (سورة النساء: ٥٩).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الملك الوهاب، رافع السماء بغير عماد، ومحي الأرض بعد موتها سميع الدعاء. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، نبي ألف الله به بين القلوب، وقضى على الفرقة فاستحكم البناء. اللهم صل وسلم على عبدك رسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فيا عباد الله، إن جماع الخير بحذافيره، في طاعة الله ورسوله، والاستجابة لأمر الله فيما أوجبه على العباد من حقوق، فوطنوا النفوس على العمل بطاعة الله ورسوله وأداء حقوقه، يجمع الله لكم شتات أموركم، ويغفر لكم من ذنوبكم، ويفسح لكم في آجالكم. وصلوا على النبي محمد خير من رسم طريق الصلاح والفلاح، فاهتدى الخلق بهداه. وقد أمركم الله بذلك فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦). اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

وارض اللهم عن خلفائه الأئمة العادلين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والآل أجمعين، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، واكفنا والمسلمين شر الفتن، والزلازل والمحن، يا أرحم الراحمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وآمن بلاد المسلمين، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا رب العالمين.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٣).

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠).

فاذكروا الله على نعمه، واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٦ ـ في النظرة إلى الدنيا

الحمد لله بارئ السموات والأرض، من بيده ملكوت كل شئ وهو بكل شئ عليم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الصادق الوعد الأمين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إنما تصح الأفهام، إذا تصورت الأمور على وجهها، وإنما تسلم العقول إذا وضعت الأشياء في مواضعها. ولقد كان مما اختلف فيه نظر الناس رأيان: رأي يشجع على الأخذ بمتع الحياة ومباهجها، والاندفاع وراء تحقيق حظوظ النفس وشهواتها المباحة، وحجته في ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (سورة الأعراف: ٣٢). وما ورد عن بعض السلف «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا».

ورأي آخر همه الزهد في الدنيا، والقناعة منها باليسير مما يسد الحاجة، والاستعداد فيها للآخرة، وكسب الوقت للعمل لدار البقاء، دار النعيم الدائم؛ وحجته في ذلك كثرة من آيات الله في الحث على استباق الخيرات، وادخار الباقيات، من ذلك قول الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة الحديد: ٢٠). ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الحديد: ٢١). وأدلة أخرى عملية هي ما كان عليه السلف الصالح من كفاف وقناعة، وسعي للآخرة.

هذان الرأيان - يا عباد الله - يسيران في الناس جنبًا إلى جنب منذ القديم، ولكل منهما أنصار ومحبذون، فأيهما أكثر سدادًا؟ وأقرب إلى رسم الحقيقة واضحة؟ ذلك ما يحدثنا عنه الحسن البصرى رحمه الله - كبير من كبار التابعين وعالم رباني منصف - سأله والٍ من ولاة عهده قائلاً: يا أبا سعيد، إن الله عز وجل خلق الدنيا وزينتها لعباده. وقال عز من قائل: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٣١)، وقال: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (سورة الأعراف: ٣٢)، فقال الحسن: اتق الله أيها الرجل في نفسك، وإياك والأماني التي ملت إليها فتهلك، إن أحدًا لم يعط خيرًا من الدنيا خير، ولا من خير الآخرة بأمنيته، وإنما هي داران، من عمل في هذه أدرك تلك، ونال في هذه ما قدر له منها، ومن أهمل نفسه خسرهما جميعًا.

إن الله سبحانه اختار محمدًا ﷺ لنفسه وبعثه برسالته ورحمته، وحدد له في الدنيا حدودًا وجعل له فيها أجلاً، ثم قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (سورة الاحزاب: ٢١). وأمرنا أن نأخذ بهديه ونسلك طريقته، فما بلغنا إليه فبفضله ورحمته، وما قصرنا عنه فعلينا أن نستعين الله ونستغفر، فذلك باب مخرجنا، فأما الأماني فلا خير فيها. وإنها - يا عباد الله - كلمة وضعت الأمور في موضعها، ورسمت الحقيقة على وجهها الصحيح.

فاتقوا الله عباد الله، ولا تغرنكم الأماني ولا يغرنكم بالله الغرور. واغتنموا فرص هذه الحياة للعمل الصالح، والتجارة التي لن تبور، يوم يقوم سوقها يوم العرض على الله، ذلك يوم النشور.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (سورة الإسراء: ١٨-١٩).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله بديع السموات والأرض. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أهل الثناء والحمد، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خاتم النبيين وصاحب لواء الحمد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: **«والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»**. وفي هذا التوجيه الحكيم يا عباد الله ما يحمل على الحذر، والأخذ من الدنيا بما يصلح العيش، وعدم التنافس في مباهجها وملذاتها ونعيمها الزائل، إذ في ذلك الهلكة، وضياع الدنيا بالإشراف في الشهوات والتنافس فيها، وضياع الآخرة بعدم الاستعداد لها، وادخار الباقيات الصالحات لنيل ثوابها، فالنجاة النجاة ـ عباد الله ـ من شرور دار الغرور.

٧ - في التحذير من تفضيل بعض الأولاد على بعض

الحمد لله هادي العباد إلى سواء السبيل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، مشكلتان اجتماعيتان، وظاهرتان خطيرتان، تبذران بذور الفرقة بين الأُسر، وتحدث بهما الشحناء، وتتنوع المتاعب. هما عدم العدل بين الأولاد، وعدم التسوية بين النساء. يكون للبعض جملة من الأولاد فيندفع بغريزته ـ أو بعوامل ومؤثرات أخرى ـ إلى تفضيل بعضهم على بعض، وتقديم قسم على آخر، إما في الإنفاق والعطايا، أو في البر والعطف، أو في كل ما من شأنه أن يجعل له مكانة بارزة بين إخوانه، فتكون النتيجة إحنًا وضغائن بين الإخوة المتحابين، وقطع صلات وأواصر بين القرابة الأقربين، ثم تتطور يومًا عن آخر، حتى تكون حربًا على الوالد والولد المحظوظ كليهما، وينشأ العقوق المحرم، فيحق العذاب ويا لهول المصير.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما: **«أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا لي ـ أي أعطيته غلامًا ـ فقال رسول الله ﷺ: «أفعلت ذلك بولدك كلهم؟»، قال: لا، قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم، فرجع أبي فَردَّ تلك العطية»**. وفي رواية: **«أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟»**، وفي رواية أخرى: **«لا تشهدني على جور»**. فعد رسول الله عليه الصلاة والسلام تلك العطية ـ التي لم يتساو فيها جميع الولد ـ جورًا يجب التحلل منه.

أما عدم التسوية بين النساء لمن كان له أكثر من زوجة، فدافعه الميل العاطفي، وباعثه الحب الفطري، وليس في ذلك مأخذ أو عليه جناح، فقد صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول: **«اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»**.

ويعني بما لا يملكه الحب والعاطفة. فإذا مال الرجل في ذلك مع إحدى زوجاته فهو معذور، أما الميل المؤاخذ عليه والمنهي عنه، فهو الميل في النفقة والمبيت، فينفق على واحدة أكثر أو أحسن مما ينفق على الأخرى في الكسوة والمأكل والمشرب والمسكن وغير ذلك، ويبيت عند واحدة ليالي متتابعات، ولا يبيت عند الزوجة الأخرى إلا في الندرة والعابسات من الليالي. ذلك هو الحيف ـ يا عباد الله ـ الذي توعد الله عليه في الآخرة بلون من الجزاء شاق وأليم.

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وشقه مائل»**. وناهيكم ـ عباد الله ـ بهذا الوصف لهذا المتحيف الجائر على نسائه، الظالم لنفسه، إنه ـ وقد طوى الدنيا ظالمًا ـ فلابد أن يقتص منه في الآخرة، جزاء وفاقًا عادلاً.

فاتقوا الله عباد الله، واعدلوا بين أولادكم، يدم لكم برهم، وأقسطوا بين نسائكم تتحقق لكم مودتهن، وتخلص لكم قلوبهن وتسلموا من جرائر ظلمهن.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ (سورة النساء: ١٢٩). وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (سورة المائدة: ٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، عالم الغيب والشهـادة، وهو اللطيف الخبير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، بعثه الله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إن المقسطين - أي العادلين - على منابر من نور عن يمين الرحمن، الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم، وما ولوا»**، وإنها - يا عبـاد الله - لميزة تستنهض الهمم، وتشحذ العـزائم، للسير في طريق العادلين، والأخذ بمناهج المقسطين. فالبدار البدار عباد الله إلى الأخذ بما فيه صلاح العـاجلة والآجلة، وحذار مـن جور يعقـبه ندم، ومن حـيف وظلم يجلب شدائد ومحناً.

٨ـ في إخـلاص العقيـدة

الحمد لله المتـفرد بالملك والسلطان، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيـته، وأشهد أن سيـدنا محمدًا عبده ورسـوله، أفضل من دعا إلى الله حتى وضح الحق واستبان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فـيا عـباد الله، إن دين الإسـلام دين إصلاح وتهـذيب، سعـدت بشريعاته البشريـة، حيث قد وجهتها إلى الخير، وسلكت بهـا سبيل الرشاد في طريق مستـقيم، لا عوج فيه ولا التواء. فـعندما شرع الله الصلاة عين أوقاتهـا، وشرع لها الجماعـة. وعندما شرع الزكاة عين لهـا الأنصبة، وحدد لهـا زمن الإخراج، وعندما شرع الصوم عين أغراضه وحدد أمده، وعندما شرع الحج عين أنساكه وحدد مواقيته، وقبل كل فـريضة ـ عندما فـرض التوحيـد ـ عين أهدافه وحـدد اتجاهاته، فكان ذلك عاملاً على تنظيم فـوضى التدين والقضاء على الجاهليـة المذبذبة وإبطال الآلهة المزيفة والمعبودات الـباطلة، آلهة من العجين والتـمر يتوجه إليـها العابد بعبـادات، فإذا جاع أكلها، وآلهـة من الأصنام من صنع المخلوق يتوجه إليـها العابد في حال رخـائه فإذا اشتد الـكرب نبذها، وآلهة من الأشجـار والجن والملائكة وقبور الصالحين والـشموس والأقمار يتوجه إليها العابد بعبادته فلا يرى من نفعها المرجو غير السراب.

هذه الفوضى يا عباد الله، أبطلها الإسلام بكلمة الإخلاص، صدع بها محمد بن عبد الله بين صناديـد قريش قائلاً: «**كلمـة واحـدة تملكـون بهـا العـرب، وتدين لكم بهـا العـجم، لا إله إلا الله**»، فردوها عليـه في دهشة واسـتغراب، لأنهم عـرفوا مـدلولها؛ وعلموا أن الغرض منها ليس قول اللسان، وأن معناها التوحيد الخالص، وقطع الصلة

بالمعبودات جميعًا، فلا شفاعة شفعاء أو وساطة وسطاء بالمعنى الذي يعرفونه، ولا ذبح للجن ولا للأوثان، ولا للمقبورين من الصالحين، ولا دعاء ولا نذر، ولا استغاثة، إلا بالله ولله رب الخلائق، وإله العالمين.

من أجل ذلك عادوا رسول الله ﷺ، وآذوه انتقامًا لمعبوداتهم، وسفهوه وسخروا منه، قائلين: ويح محمد ما باله؟ أبه مس من الجن، أم سحر الساحرين؟ ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾؟ (سورة ص: ٥). وكانت النتيجة أن دارت الدائرة عليهم، وأيد الله عبده، ونصر دينه، وأعلى كلمته، فطوح رسول الله ﷺ بكل المعبودات، ليكون التوجه لله وحده، والتعلق به دون سواه، وبذلك حقق الهدف الأسمى من كلمة الإخلاص، وجاهد عليها حتى أتاه اليقين.

وإن في ذلك ـ يا عباد الله ـ لدرسًا عمليًا لكل ذي عقل رشيد؛ وعبرة بالهالكين، لمن يتتبع السنن القويم. قال تعالى مخاطبًا أكرم الخلق عليه، والأمة معنية بهذا الخطاب: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (سورة الزمر: ٦٥).

فاتقوا الله عباد الله، وأخلصوا العبادة لله، وحققوا توحيد الله الذي دعت إليه رسل الله، يحقق لكم ما وعدكم به من وعده الذي قطعه على نفسه تفضلاً منه وإحسانًا. صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا»**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٢١-٢٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحـمد لله الملك الوهاب. وأشـهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، يصنع الموازين القسط ليوم التناد، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الشفعاء، وإمام البررة من العباد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، صح عن الصادق المصدوق ﷺ أنه قال: **«الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء، على صخرة سوداء، في ظلمة الليل»**، فكيف الخلاص - يا عباد الله - من هذا البلاء؟ صخرة سوداء، تدب عليها نملة سوداء في ظلمة الليل الأسود، تشبيه يشعر بالخفاء التام، فلا نجاة إلا بالله، واللجوء إليه، وطلب السلامة من الشرك أكبره وأصغره وخفيه، منتفعين بهدي رسول الله ﷺ حيث قد وصف للخلوص من هذا الشرك الخفي دواء، فقال مخاطبًا أبا بكر رضي الله عنه: **«وكفارته أن تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم»**.

فسيروا عباد الله على هذا الهدي الراشد، فالسعيد من أخلص دينه لله، ودخل في عداد من عناهم رسول الله ﷺ بقوله: **«من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»**.

٩- في النهي عن الرياء

الحمد لله الواحد الأحد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الفرد الصمد، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم الأمجد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن لكل شيء آفة، وإن آفة العمل الصالح الرياء. يقوم العبد بين يدي ربه يصلي ويطيل الصلاة، لما يرى من أنظار الناس إليه، ومدحهم لعمله، ويذهب ليتصدق، فيكثر العطاء حرصًا على إذاعة ذكره في العاملين، أو يصوم ويتابع الصوم رغبة أن يقال عنه إنه صَوَّام، أو يقوم الليل يتهجد ليقال عنه إنه قَوَّام.

إنها - يا عباد الله - شركة مذمومة لا تليق، إنه رياء يفسد العمل ويحبطه، ويجلب غضب الله وعذابه.

صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك**». وعنه ﷺ أنه قال: «**من سَمَّعَ سَمَّعَ الله به، ومن يُراءِ يُراءِ الله به**». أي أن الذي يعمل العمل الصالح ليراه الناس أو ليسمعوا خبره يفضحه الله يوم القيامة يوم الجزاء، ومصداق ذلك أيضًا ما رواه مسلم في «صحيحه»، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن أول الناس يقضى عليهم يوم القيامة ثلاث رجال: رجل استشهد في سبيل الله، فأتيَ به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟، قال: قاتلت فيك حتى قتلت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال هو جرئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟، قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت**

القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل؛ ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه، فأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيه لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل؛ ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار». ولما سمع ذلك معاوية رضي الله عنه بكى، وتلا قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة هود: ١٥-١٦).

فيا للعباد من الرياء، ويا للعمل الصالح من الدغل الذي يحبطه. فاتقوا الله عباد الله، وأخلصوا أعمالكم لله، وابتعدوا كل البعد عن الرياء والسمعة، وابتغوا بذلك وجه الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف: ١١٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الإله المعبود. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب العطاء والجود، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: **«من خاف أدلج»،** أي قطع مسافة الطريق بليل، **«ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»،** فأدلجوا يا عباد الله لكي تصلوا إلى الغاية، ولا تغرنكم الأماني، فكل ما فوق التراب صائر إلى تراب. وأخلصوا العمل لله، فطوبى لعبد عرف الله فعامله، واتجه إليه في كل أحواله، ولم يراء المخلوق بصالح أعماله، وكريم فعاله، ففاز بجنة عرضها السموات والأرض، أعدها الله للمتقين.

١٠ ـ في النهي عن التحاسد والتباغض

الحمد لله صاحب العطاء والجود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعطي الجزيل ويتجاوز عن الذنب والحوب؛ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ذو السنن القويم والخلق العظيم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك، محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، خمس خصال هدامة لمكارم الأخلاق، تزرع الشر، وتغرس الضغينة، وتقضي على الأواصر، وتفل الروابط بين المسلمين. جمعها رسول الله ﷺ في حديث واحد، في معرض النهي عنها، والتحذير منها، فقال: **«لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض»**. وعلة النهي عنها أنها مجموعة من النقائص، يجب أن يترفع عنها المسلم، تتنافى مع الأخوة الإسلامية التي أكدها الله بقوله في محكم كتابه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٠). وحث عليها رسول الله ﷺ بأمره حيث يقول: **«وكونوا عباد الله إخواناً»**.

فالحسد، والتناجش ـ وهو أن يزيد في ثمن السلعة من لا يريد شراءها، لغرض ترويجها ـ والتباغض والتدابر، وهما نذيرا فشل وقطيعة لما أمر الله به أن يوصل. وبيع المسلم على بيع أخيه، كأن يذهب البائع إلى من اشترى من غيره سلعة فيغريه بالتنزيل في الثمن، أو بأن يبيعه أجود مما اشتراه، فيرجع المشتري ما اشتراه من البائع الأول، كل ذلك ـ يا عباد الله ـ حرام، وهو مما يحدث التفكك والفرقة.

ولقد وثق رسول الله ﷺ رابطة الإخاء الإسلامي بعد أن حذر من تلك النقائص بمجموعة من الوصايا، من شأنها أن تكون المجتمع الإسلامي الصالح،

فقال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره». وقال أيضًا: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه».

فالجماعة الإسلامية ـ يا عباد الله ـ مهما تفاوت أفرادها في الدرجات والأوضاع بين شريف ووضيع، وعزيز وهين، وعظيم وحقير، لا يؤثر ذلك في أخوتهم، ولا يقلل من شأن رابطتهم، فهم متساوون في الحقوق: الدماء والأموال والأعراض بينهم متكافئة، والواجبات الدينية مخاطبون بها على السواء، يؤدونها جنبًا إلى جنب.

ثم إن وراء ذلك سبل الإحسان، وطرق البر والصلة، حث الإسلام عليها، ورغّب فيها، وأوجد لها المناسبات، ووعد عليها خير الجزاء، كل ذلك لمصلحة الجماعة. قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (سورة البقرة: ٢٤٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الحديد: ١٨).

وفي ذلك يا عباد الله ـ مجتمعًا ـ ضمان الألفة والمحبة، وبه ترتفع الجماعة الإسلامية إلى حيث يريد الله لها من الكمال، فتصبح كما قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠).

فاتقوا الله عباد الله ، واعملوا على تحقيق أهداف الإسلام، وابتعدوا عن كل ما يضير الأخوة في الله، ويزرع الشر وينذر بالقطيعة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة: ٧١-٧٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وسبحان الله رب العرش العظيم؛ وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، قدوة السالكين وإمام المتقين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن الدعوة إلى الحق سبيل الراشدين، وهدي البررة الصالحين. وإن في تقويم المعوج وإصلاح الفاسد، والدلالة على الصالح الراشد من الأخلاق والعادات والمعاملات، إن في ذلك ما يأخذ بالأمة إلى النجاح والفلاح، والسعادة في العاجلة والمعاد. فكونوا ـ عباد الله ـ دعاةً إلى الخير وروادًا للفضيلة، تربحوا المغنم وتنالوا من الله خير الجزاء.

١١ - في إسبال الثياب وكشف العورات

الحمد لله أحمده واستهديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الكبرياء في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المثل الكامل ذو النهج القويم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه

أما بعد . . فيا عباد الله، ظاهرتان محرمتان، وبادرتان ممقوتتان هما الإسبال في الثياب، والتساهل في ستر العورة، وتكادان وقد أضحتا فتنة للناس، فلا تجد عليهما منكرًا ولا نذيرًا. أما الإسبال في الثياب، كالعباءات والجبات والسراويل، فغالبًا ما يكون مصحوبًا بالعجب والخيلاء، فقد ورد فيه من الوعد الشديد ما يجعل كل ذي عقل رشيد يجانبه ويحذر منه.

من ذلك ما رواه أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم؟»، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟، قال: «المسبل** - أي في ثيابه - **والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»**. وفي رواية: **«المسبل إزاره»**. وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«أزرة المؤمن إلى نصف الساق، ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل من ذلك فهو في النار** - أي صاحبه في النار - **ومن جر إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه يوم القيامة»**، وفي رواية: **«لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء»**. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«بينما رجل ممن كان قبلكم، خرج في بردين أخضرين يختال فيهما، أمر الله الأرض فأخذته** - أي انخسفت به - **فإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة»**.

فأي نقمة - يا عباد الله - نزلت بهذا العاصي، المتمادي في خيلائه، المسبل في ثيابه، المعجب بهيئته، الجاني على نفسه، حسبه - يا عباد الله - نكالاً ألا ينظر الله إليه في يوم أحوج ما يكون الناس فيه إلى نظر الله ورحمته، وسبغ فضله، وعميم إحسانه، وإن وراء ذلك الاقتصاص منه بالنار، فوا مصيبتاه.

أما التساهل في ستر العورة فملحوظ من اتخاذ لبسة ترتفع عن الركبتين، ولا تستر غير السوأتين، فيا لبشاعتها وقد انحسرت عن الفخذين. إن الفخذ - يا عباد الله - عورة لا مندوحة عن سترها، ألم يأتكم خبر الصادق المصدوق، رسول الله ﷺ، وهو يرشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ويقول: **«يا علي، لا تبرز فخذك، ولا تنظر إلى فخذ حي أو ميت»**. وإلى انتهاره ﷺ لصحابي من أهل الصفة - وقد رآه كشف عن فخذه - **«أما علمت أن الفخذ عورة»**؟، أي ومن حق العورة أن تستر، وألا ينظر إليها.

ومن حق المسلم المعتد بدينه، الذي أسلم وجهه لله، واستجاب لأمر الله، أن يهتدي بهدي رسول الله ﷺ، وأن يقبل الإسلام بكل جزئياته، فتعاليم الإسلام وحدة لا تتجزأ، من أخذ بها في مجموعها رشد ونجا، وكان له من الله المثوبة والزلفى، ومن فرط في جزء من أجزائها، أعرض عنه بجانب ونأى، فأمره إلى الله، فهو الحكم وإليه المرد.

فاتقوا الله عباد الله، واقضوا على هاتين الظاهرتين بالعزيمة الصادقة، والإخلاص لدينكم، فقد فاز عبد راقب الله واتبع رضاه، وكان بفعاله في عداد من أثنى عليهم الله فقال في محكم كتابه: ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ (سورة الزمر: ١٧-١٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: تصلح لكل الخطب

الحمد لله رب الأرباب، وهادي العباد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا شبيه ولا أنداد؛ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بعثه الله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور ما أحدث على غير هدى من الله أو سنة سنها محمد بن عبد الله ﷺ. ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله. وعليكم - عباد الله - بما كان عليه الصدر الأول، ففي هديهم الرشاد، وفي نهجهم الفلاح والسداد وليس في اتباع طريقتهم تأخر ولا رجعية، ومن حاد عن مسلكهم تقاذفته الشبه والأهواء، وارتطم بالفتن، وانزلق في المهاوي.

وصلوا على النبي صاحب الحوض والشفاعة، ففي الصلاة عليه تضاعف الحسنات، وطاعة الرحمن غافر السيئات، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ (سورة الأحزاب:٥٦). اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

وارض اللهم عن البررة الأتقياء خلفائه: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا كريم يا منان.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك، يارب العالمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعـز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، واجعل هذا البلد آمـنًا مطمئنًا، وسائر بلدان المسلمين عـامة، يا رحـمن يا رحـيم. ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٣). ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحشر: ١٠). ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

عباد الله . . . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠). فـاذكروا الله علـى نعمـه، واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

١٢ - في النهي عن التشاؤم

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، خلق الإنسان فأحسن صوره، وأسبغ عليه نعمه، وفضله على جميع مخلوقاته بالعقل، وشرفه بالأمر والنهي. أحمده سبحانه على آلائه، وأشكره على ترادف نعمائه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أفضل داع إلى الحق وإلى طريق مستقيم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن الإسلام قد ارتفع بأهله عن أوهام الجاهلية وأباطيلها، وطهر نفوسهم من رجس الوثنية وأوضارها وابتعد بهم عن مجالات التدهور والاسفاف في كل صوره وأشكاله.

وفي طليعة ذلك مبدأ الخرافة والتضليل، ذلك لأنه طعنة في صميم العقيدة، وانهيار مؤلم، يفل العزائم، ويثلم العزة، ويقضي على العزمات، احتضنه الجاهليون حين كانوا يتعلقون بالخيال ويستسلمون للوهم، ويركنون إلى التقليد الأعمى، دون تبصر وهداية، ومن غير تعقل ودراية، فعاب الله عليهم ذلك في غير ما آية من كتابه وقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٠). وكان فيما اعتنقوه كمبدأ للخرافة يحملهم على التحول عن عزيمتهم، التشاؤم بأصوات الطيور كنعيق الغربان والبوم، وبحركات العجموات التي لا تعقل، والتشاؤم بالأيام كيوم الأربعاء، وبالشهور كشهر صفر وشوال، وبالدهور، وبغير ذلك مما سولت لهم به أنفسهم، واتبعوا فيه أهواءهم.

فجاء الإسلام بإبطال ذلك كله، وهدم مبدئه من أساسه. جاء بتحرير العقول من نير التقليد الأعمى، وتوجيهها إلى الله، وبتفويض الأمور كلها خيرها وشرها لله رب الأرباب، وخالق العباد. فكل العباد تحت تصرفه وقهره، وكل المخلوقات مسخرة بأمره، هو النافع الضار، كاشف الكربات، مزيل الشدائد، المتحبب إلى عباده بالنعم، والممحص لذنوبهم بالبلاء والشدة. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٥)، والتشاؤم لا يغير من القدر المكتوب شيئًا، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة فاطر: ٢). وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة التوبة: ٥١). وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة يونس: ١٠٧). وقال رسول الله ﷺ في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: **«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك. ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف»**.

فهذه الآيات مع الحديث تقطع جذور الوهم والتشاؤم، وتقضي على التضليل والأباطيل، وترشد إلى إخلاص القصد وصحة الاتجاه، والتعلق بفاطر السموات والأرض، لا إله غيره ولا رب سواه.

فاتقوا الله عباد الله، واتجهوا في كل أموركم إلى الله، وحاربوا كل منزع لا يرتكز على حقيقة، ولا يعتمد على هدى ونور من الله، إنكم بذلك تسيرون على المحجة الواضحة، والهدى الراشد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الأنعام: ١٧-١٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الفعال لما يريد؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، النبي الذي اصطفاه الله لرسالته، وفضله على سائر العبيد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، روى أبو داود بسند صحيح، عن عروة بن عامر قال: ذُكرت الطِّيَرَة عند رسول الله ﷺ، فقال: «**أحسنها الفال ولا ترد مسلمًا**». أي أن الفال الحسن خير من التطير. وذلك كأن يسمع أحدنا من يقول: يا راشد، أو حاجتك مقضية فيستبشر، أما إذا رأى المرء أو سمع ما يكره، فعلاج ذلك ما أمر به الرسول الكريم ﷺ حيث يقول: «**فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**». فخذوا يا عباد الله بالمشروع من دينكم، ودعوا التشاؤم والمحظور، تكونوا من الراشدين.

١٣ ـ في التحذير من أكل الربا

الحمد لله عالم السر والخفيات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يمحق الربا ويربي الصدقات، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، مجدد الحنيفية السمحة، وصادق العزمات. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى اله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن أفظع تعامل منيت به الإنسانية، وأبشع وضع تواضع عليه الجاهليون، هو الربا، فكم له من ضحايا وكم خرب من بيوت، وكم جر من جرائر، وكم جلب من محن وبلايا. وناهيكم عباد الله بكبيرة آذن الله صاحبها بالحرب، وتوعده بسوء العاقبة والمصير. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة:٢٧٨-٢٧٩). يا لهون الذنب، ويا لعظيم العقاب، الخسران والهلكة، إنه الدمار المحقق، والجزاء من جنس العمل. صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الربا وإن كثر فأمره إلى قلة، ذلك لأنه يمحق البركة، ويذهب بالحلال**»؛ ونتيجة ذلك الإفلاس، وسوء العاقبة، وتلك عقوبة الدنيا.

أما العقوبة في الآخرة فقد تحدث عنها رسول الله ﷺ فيما رآه ليلة أسري به فقال: «**أتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟، قال: هؤلاء أكلة الربا**». وصح عنه ﷺ أنه قال: «**من أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونًا يتخبط**»، ثم قرأ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (سورة البقرة:٢٧٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أربع حق على الله ألا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها**»، وَعَدَّ منهم آكل الربا، وثمة ـ يا عباد الله ـ عقوبة جماعية يذهب

فيها البر والفـاجر، يستوجبها المجتمع إذا انحـرف في تيارات هذا الوباء، وقد تحدث عنها رسول الله ﷺ فقال: **«ما ظهر في قوم الزنى والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله»**. وفي رواية: **«ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة»**. أي: بالقحط ومنع الغيث عنهم. وكفى بذلك - يا عباد الله - نقمة.

أما البشاعـة والتفظيع فى أساليب الربا، ومداخله واتجاهاته، فـقد صورها رسول الله ﷺ بقوله: **«الربا ثلاث وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه»**، ويحكم يا عباد الله، أسـمعتم أبشع من هذا الوصف، وأقـبح من هذا الصنيع القذر، إنه صنيع تنفـر منه الطبـاع السليمـة، وتتـقزز منـه الفطر، وإن في ذلك لبـلاغًا وعظة، فـأين المتعظون، وأين التائبون؟.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قـال: قال رسول الله ﷺ: **«الذهب بالذهب ربا إلا هاء وهاء - أي يشترط فيه التقابض في المجلس - والفضة بالفضة ربا، إلا هاء وهاء. والبر بالبر ربا، إلا هاء وهاء. والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء»**.

فاتقـوا الله - عباد الله - في معـاملتكم، واحذروا التحـيل لأكل الربا بكل صوره وألوانه، كالتـبايع بالعينة، ففي ذلك خـداع للنفوس لا يروج على الله، ولا يغني من عذاب الله شيئًا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (سورة آل عمران: ١٣٠-١٣٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كـتابه. أقول قولي هذا، وأستـغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الفرد الصمد؛ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمام المتقين البررة. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، أثر من قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله: «**شر الضلالة الضلالة بعد الهدى، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل مال اليتيم**». وإنها لعظات تنفذ إلى القلوب، فرحم الله عبدًا وعاها قلبه واطمأنت إليها نفسه، فاتقى الله، واستنار بالهدى، ورضي بالحلال مما قسم الله له، ونبذ الربا والتعامل به، وتورع عن مداخله، وترفع عن مزالقه، ففي ذلك رخاء العيش، وسعادة العاجلة والآجلة.

١٤ - في الحث على أخذ النساء بالحشمة

الحمد لله هادي العباد، الرقيب على خلقه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أحمده سبحانه حمد عبد خافه ورجاه، وأشكره والشكر واجب على العبد لمولاه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند له في جلاله وكماله وعلاه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صفوة الخلق، وأفضل الهداة إلى صراط الله. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، جعل الله الرجال قوامين على النساء، وهؤلاء القوام كأوصياء أمناء، ومن حق الوصي أن يرعى الوصاية، ويطلب لها الخير والصلاح. وإن في طليعة ما يجب أن يعنى به من حقوق هذه الوصاية، توجيه النساء إلى القدوة الحسنة، والتأسي بفُضليات النساء في الحشمة، والترفع عن مجالب الإثم، ومزالق الخطيئة. فالمرأة في بيتها يجب أن تكون مثال الزوجة الصالحة، التي وصفها رسول الله ﷺ بقوله: **«خير النساء امرأة إذا نظرتَ إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك».**

والمرأة إذا اعتزمت عبادة ربها في بيت من بيوت الله، فمن حق القيم عليها أن يلزمها الاحتشام في التزين، واتخاذ اللبسة الساترة، وترك التطيب، وعدم إبداء الزينة من الحلي وغيره، وعدم مزاحمة الرجال في طواف أو صلاة أو خروج من المسجد.

مرت بأبي هريرة رضي الله عنه امرأة ريحها تعصف، فقال لها: **إلى أين تريدين يا أمة الجبار؟، قالت: إلى المسجد. قال: وتطيبتِ؟، قالت: نعم. قال: فارجعي فاغتسلي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل».**

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد، دخلت امرأة من مزينة ترفل في زينة لها في المسجد، فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، انهوا نساءكم عن لبس الزينة، والتبختر في المسجد، فإن بني اسرائيل لم يُلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة، وتبختروا في المساجد».**

والمرأة في الأسواق، إن دعتها الضرورة لذلك، من حق القيم عليها أن يلزمها الاحتشام ويمنعها من التبرج، وإظهار ما حرم الله إظهاره على الأجانب من جسدها، ومن لبس أفخر الثياب، ومن المرور وسط مجالس الرجال.

صح عن رسول الله ﷺ أنه قال، وقد رأى اختلاط الرجال بالنساء في الطريق. «استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحتضن الطريق، عليكن بحافات الطريق»، فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدران من لصوقها به. وعنه ﷺ أنه قال: «أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها، فهي زانية».

تلك - يا عباد الله - تعاليم الدين وهدي السنة، لدرء الفتنة، وسلامة المجتمع من الانحلال والتدهور، فمن فرط فيها منكم يا معشر الرجال فقد خان الوصاية التي استرعاه الله إياها، ولم يقم بالحق الذي فرضه الله عليه، فهو مؤاخذ ومسؤول أمام الله، ويا لهول من نوقش الحساب، فمن نوقش الحساب هلك.

أما التفريط من جانب النساء، بتعدي حدود الله، وبالتبرج، وإظهار الزينة في المساجد والأسواق وغيرها، فذلك إثم، حسب مرتكبه أن يكون في الآخرة من أصحاب النار وبئست العاقبة. صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات - أي يلبسن ثيابًا رقاقًا تكشف عما تحتها - مميلات مائلات - أي: زائغات عن الطاعة، متبخترات في مشيتهن مميلات للقلوب بتكسرهن - رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا».

فاتقوا الله عباد الله، وقوموا بما أوجبه الله عليكم من حقوق على نسائكم وبما أمركم به من رعاية أهليكم والبعد بهن عما يوجب غضب الله وعذابه، حيث يقول عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة التحريم: ٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

١٥ - في وصف الدنيا والتحذير من الاغترار بها

الحمد لله مالك الملك، عظيم الشأن. أحمده سبحانه وهو الكريم المنان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الثقلين من إنس وجان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، أرأيتم الزهرة كيف تبدو ناضرة بهيجة تأخذ بالألباب، وتستهوي القلوب بمتعتها، وحسن منظرها، ثم لا تلبث إلا قليلاً حتى تذوي فتذهب تلك النضارة، ويتلاشى الحسن، ثم تعصف بها الرياح فتغدو وكأنها لم تكن. إنها - يا عباد الله - مثل للدنيا حين تبدو كالزهرة فتانة غرّارة، خادعة بمباهجها ومغرياتها، آخذة بالألباب بسحرها وتنوع متعها، وتجدد لذاتها، فبينا النفوس عليها مقبلة، والقلوب بها متعلقة، والعواطف إليها متجهة، وشمل الأحبة فيها مجتمع، إذا بها قد اغبرت أيامها، وذوت زهرتها، واستحالت نضرتها إلى هشيم، ونعيمها إلى حطام، ومتعتها إلى غرور واجتماعها إلى فرقة، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (سورة الكهف: ٤٥-٤٦).

وإن من رجحان العقل، وحصافة الرأي، عدم الاغترار بزهرة لا تدوم ومتعة لا تبقى، ونعيم لا يلبث أن يزول، وهيهات هيهات أن يدوم، والسعيد - يا عباد الله - من وعظ بغيره، فكم للماضين قبلنا فيها من مصارع، غدوا بها عبرًا وكم لهم فيها

من مآسي، وكم تجرعوا من غصص، حتى ذاقوا كأس الردى، وقدموا على الله، فكان الجواب ولم يجدوا لهم من دون الله ملجأ ولا نصيراً.

خطب الصديق أبو بكر رضي الله عنه فقال: «اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس؟، وأين هم اليوم الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟، قد بعدوا ونسي ذكرهم وصاروا كلا شيء. ألا وإن الله قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم والدنيا دنيا غيرهم، وبقينا خلفًا من بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن اغتررنا كنا مثلهم. أين الوضاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟، صاروا ترابًا، وصارما فرطوا فيه حسرة عليهم. أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟، قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا، وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت».

حقًا - يا عباد الله - إنها موعظة بليغة مؤثرة من صدق رسول الله ﷺ ذكرت بالله وحذرت من عقابه، ووجهت الأنظار لأخذ العبر بالماضين، وعدم الاغترار بالدنيا، وطول الأمل فيها.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا الركون إلى الدنيا، فما هي إلا معبر إلى الآخرة، ودار نقلة لا دار قرار. واقنعوا منها باليسير مما يسد الحاجة، فقد فاز المخفون. صح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل، وعد نفسك من أصحاب القبور»، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح؛ وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة الحديد: ٢٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله إله العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب الخلائق، والمتكفل برزقهم أجمعين؛ وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، شرفه الله برسالته، فبلغ البلاغ المبين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، وإن الله سبحانه قد ضمن لعباده الرزق، وطمأنهم على ذلك حيث يقول في محكم كتابه: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (سورة هود: ٦). وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إن روح القدس نفث في روعي، أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها؛ ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته»**، فأقلوا - عباد الله - من العناء في طلب الدنيا، والكدح فيها، فما قدر لكم سوف تبلغونه.

قال بعض العارفين: إذا أصبح العبد وأمسى، وليس همه إلا الله وحده، تحمل الله سبحانه حوائجه، وحمل عنه كل ما أهمه؛ وإن أصبح وأمسى والدنيا همه، حمّله الله همومها، وغمومها، وأنكادها، ووكله إلى نفسه. كما جاء في الحديث القدسي إن الله تعالى يقول: **«ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً، وأسدُّ فقرك. وإن لا تفعل ملأت يدك شغلاً، ولم أسدُّ فقرك»**.

١٦ - في بيان حق الطريق

الحمد لله الكريم الوهاب، أحمده سبحانه لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، دعا الناس إلى الهدى فاستجاب له كل صالح أواب. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن مما شرعه الدين من نهج الهدى، وأوضحه النبي المجتبى، مسلك الناس في أسواقهم، واتجاهاتهم في طرقاتهم وفجاجهم، فمن استجاب لداعي الهدى واقتفى نال السعادة والرضا. ومن تجاوز المسلك الرشيد واعتدى خاب وجانب أرباب النهى.

قال رسول الله ﷺ مرة لأصحابه - وقد كانوا يتخذون من الطرقات والمسالك مجالس يتحدثون فيها إلى بعضهم، ويروحون بها عن أنفسهم، فلم تكن لأكثرهم مجالس استقبال في دورهم، أو أندية تجمع شتاتهم، وتضم من تفرق منهم - قال لهم رسول الله ﷺ : **«إياكم والجلوس في الطرقات»، قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا، نتحدث فيها**، أي ليس لنا غنى عن الجلوس في الطريق: للتحدث إلى بعضنا. وليس ذلك منهم مكابرة رضوان الله عليهم، إنما أرادوا تخفيف المنع عنهم لحاجتهم إلى ذلك. قال: **«فأما إذا أبيتم، فأعطوا الطريق حقه»، قالوا: وما حق الطريق؟، قال: «غض البصر وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»**.

وما هذه الحقوق - يا عباد الله - إلا جماع للخير، وعماد للفضيلة ومكارم الأخلاق. فغض البصر، فيه غض عن المحرمات والمحظورات؛ وكف الأذى فيه صيانة للمرء في دينه ونفسه؛ ورد السلام فيه استجلاب للمحبة، وإشعار بالأمان.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهما إقامة الدين، ورتق الصدع في المسلمين، وكل ذلك واجب شرعي مفروض على المسلمين جميعًا، وهو بالنسبة لمن يتخذ له في الطريق مجلسًا أعظم وجوبًا، ولا فرق بين أن يكون المجلس مركزًا مؤقتًا عابرًا، أو مقهى أو غير ذلك.

وإن مما يحز في نفس كل مسلم أن تتخذ المجالس في الطريق وسيلة للإثم وارتكاب الرذيلة والمنكر، فمن الناس من يجعل من مجلسه في متجره وكرًا تمتد منه النظرات المحرمة إلى النساء الأجنبيات، أو يطارحهن فيه الحديث أشكالاً وألوانًا، أو يستثير فيهن الغرائز بتسمية بعض المعروضات بالأسماء التي تصور الميوعة والانحلال، وتغري بالإثم والرذيلة. ومن الناس من يعرض للمارة بالأذى والتعيير وتتبع العورات، والكيد لهم في المنعطفات. وكل ذلك - يا عباد الله - حرام، والتمادي فيه تماد في الغواية والضلال، لأن النساء لا تعدو إحداهن أن تكون أمًا أو أختًا أو بنتًا أو زوجة لأحد إخواننا، فلينزلها المرء في منزلة أمه أو أخته أو بنته أو زوجته.

فهل يصح يا أرباب الشهامة والمروءات، ويا أهل العفة والغيرات، هل يصح أن يمهد المرء لمحارمه طريق الرذيلة والانزلاق، أو هل يروق لأهل الشرف والكرامة أن يتعرض نساؤهم للفتنة؟.

يقول رسول الله ﷺ: **«العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».**

وإن المارة الذين يجوبون الطريق هم إخواننا، لهم من الحقوق مثل الذي لنا، فهل من العدل يا أهل العدل أن يؤذي المرء أخاه، أو يتتبع عورته، أو يتسقطه ويهتك عرضه؟.

صعد رسول الله ﷺ المنبر مرة، ونادى بصوت رفيع قائلاً: **«يا معشر من أمن بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه**

من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله». أي في جوف بيته.

فاتقوا الله عباد الله، واتبعوا النهج الراشد الذي أمر به رسول الله، غضوا الأبصار، وكفوا عن الأذى، وردوا السلام، وأمروا بالمعروف، وأنهوا عن المنكر، تؤدوا بذلك حق الطريق، وتبلغوا رضوان الله.

أعوذ بالله من الشطيان الرجيم: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ (سورة النور: ٣٠). وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾ (سورة الأحزاب: ٥٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله مقيل العثار. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، قدوة كل عابد شاكر صابر. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ، أنه قال في حديث طويل: **«من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»**، أي لينزل نفسه المنزلة التي يرضاها ويحبها لنفسه، فإن أحب أن تهتك حرمته ويعتدى عليه في نفسه وأهله ومحارمه، ويعير بنقائصه، وتتبع عوراته وزلاته فليفعل ذلك بغيره، فإن الناس لابد وأن يكيلوا له صاعًا بصاع لا محالة. وإن أحب أن يعيش سليمًا معافى من الأذى في أهله ونفسه وعرضه، فليصن نفسه ولسانه وجميع جوارحه عن إيذاء الناس، والتعرض لهم بسوء، ففي ذلك سلامته وعافية نفسه.

١٧ - في الحث على الجهاد بالمال
«بمناسبة يوم الجزائر»

الحمد لله عليِّ القدر، عظيم السلطان، أحمده سبحانه، كتب للمؤمنين العزة وهو الكريم المنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، رفع علم الجهاد، وقمع بسيف الحق حزب الشيطان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، في ظلال العزة بلوغ الأماني، وفي الدفاع عن حوزة الإسلام مجد خالد، وأجر كريم، ضمنه رب العزة في طليعة ما ضمنه من الجزاء على صالح الأعمال. ولقد شرع سبحانه الجهاد لإعلاء دينه، ومحاربة أعدائه، ورد عادية الظلم والطغيان عن الإسلام وأهل الإسلام في كل زمن، وضد كل عدو للإسلام، وفي أية بقعة من بقاع الإسلام، ليعيش المسلمون في ظلال العزة التي كتبها الله لهم، ويبقى الإسلام كما أراد الله له مهيمنًا على الدين كله ولو كره الكافرون.

وإن أعلى درجات الجهاد الجهاد بالنفس، يبذلها المسلم ابتغاء رضوان الله، وطلبًا لثوابه الذي أعده الله للمجاهدين، في جنان الخلد وجنات النعيم، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (سورة التوبة: ١١١).

يلي ذلك الجهاد بالمال في سبيل الله، لتجهيز الغزاة الذائدين عن حياض الإسلام، وعن وطن الإسلام الكبير الذي لا يتحدد بحدود، ولا ينحصر بحواجز.

وإن جميع مـا ورد في آي الكتاب العزيز في فضل الإنفـاق والبذل، ليدل دلالة واضحة على أن النفقـة في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، هي في طليعـة أعمال البر التي وعد الله عليهـا بالجزاء العظيم: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢٦١).

وورد في السنة المطهرة في فضل إنفاق المال تدعيـمًا لنشاط المجاهدين، ما يحمل كل مستبق لميدان الفضل والخير، أن يبـذل الفضل من ماله، بل يدفعه إلى درجة إيثار المجاهدين على نفـسه، بما تفـضل الله به عليه، واستـخلف فيه من الأمـوال. يقول رسول الله ﷺ: «من أرسل نفقة في سبيل الله وأقام في بيته، فله بكل درهم سبعمائة درهم». وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ بناقـة مخطومة فقـال: هذه في سبيل الله، فقال له الرسول الكريم: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة».

ففي ذلك وأمثاله من آي الكتـاب العزيز، وأحاديث خير البرية، مـا يحفز الهمم لبذل المال لجهاد أعـداء الله قليلاً كان المال أو كثيرًا، فالقـرش الواحد يساهم به المسلم يجتمع إليه قروش كثيرة، تكون عـونًا للمجاهدين، ومساهمة كريمة في تخليص ديار الإسلام من نير المستعمرين وصولة الغاصبين، وسوف ينمي الله للمنفقين ما أنفقوه في سبيله، ومـا بذلوه لرفعة دينه، حتى إذا كـان يوم القيامة، وجـدوه أحوج ما يكونون إليه، ثوابًا عظيمًا، وجزاءً كريمًا.

وإن لنا - يا عبـاد الله - في سلف الأمة وخيـارها أسوة حسنة في هذا المضـمار، حيـث كانوا يتنافـسون فـيه، ويجـاهدون إلى جانب جـهادهم بالأنفس، يجـاهدون بالأموال. فلقد نقل عن الخليـفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، أنه أمـد جيش العسرة بألف دينار وحده، وأمده غـير عثمان من الصـحابة، كل منهم حسب يسره، حـتى جهزوا جيشًا بلغ ثلاثين ألف مقاتل، وهم في عسر وشدة، فرسموا بذلك الطريق للسالكين، وأوضحوا المعالم للمنفقين، ابتغاء رضوان الله رب العالمين.

فاتقوا الله عباد الله، وابتغوا الأجر من الله فيما تنفقونه في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، وجهاد أعداء الإسلام، فقد وعدكم على ذلك وعده الحق، ورغبكم فيه إذ يقول:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة الصف: ١٠-١٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، المتصرف في ملكه برحمته وعدله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير الأجواد، وأفضل من أنفق في سبيل الله ربه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من لم يغز او يجهز غازيًا، او يخلف غازيًا في أهله بخير، اصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة»**، أي بداهية يفزع لها قلبه، وتختل بها موازينه.

وفي ذلك - يا عباد الله - وعيد شديد للمتقاعسين عن الجهاد بالأنفس، أو المتخلفين عن إنفاق الأموال في سبيله، بدلاً عن الوعد الكريم من الرب العظيم، في حسن الجزاء للمجاهدين والمنفقين.

---

١٨ ـ في الحث على إقامة شعائر الدين فروضًا أم نوافل

الحمد لله الحليم التواب، أحمده سبحانه، يغفر الذنب لمن تاب إليه وأناب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل رسول أنزل الله عليه خير كتاب. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إذا كان من المسلَّم به في العقول السليمة، والفطر المستقيمة، أن الرجوع إلى الحق فضيلة، فإن من الحق الذي يجب أن يرجع الناس إليه محاسبة النفوس على هفواتها، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: **«حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا»**، والبحث عن أخطائها لتستصلح، **«فكل ابن آدم خطاء؛ وخير الخطائين التوابون»**، كما صح بذلك الحديث.

في يوم أمس القريب أقيمت صلاة الاستسقاء، فكان من شهدها قلة، وكان من اشترك في إقامتها لإقامة السنة نسبة ضئيلة، بالنسبة للمجموع، وكانت الشوارع تموج بالناس في بيع وشراء، وأخذ وعطاء، وكأن طلب السقيا، والتضرع إلى الله لكشف الشدة، لا يعنيهم في قليل أو كثير، أو كأنهم ليسوا من أفراد المجتمع الذي عضه البأس بنابه، وأثقلته الشدائد بتتابعها عليه. وأغرب من ذلك، كان في الناس من يلهو بمذياعه، يستمع إلى الفواصل الموسيقية، وإلى الأغاني الشجية، وهو قابع في داره، ومعرض عن ذكر ربه مع الذاكرين، مجانب للشعور العام شعور المسلمين في بلده وقطره.

فهل هذا المسلك ـ يا عباد الله ـ مسلك سديد ورشيد؟، إن المسلم الصحيح المعافى، إذا لم يوفق لذكر الله مع الذاكرين، والتضرع إليه مع المتضرعين المخبتين،

والاشتراك معهم لإقامة شعيرة من شعائر الدين، على اعتبار أنها لم تكن من فروض العين، فلا أقل من أن يحترم الشعور الديني، فلا يشتغل بذكر الشيطان، والناس مشتغلون بذكر الرحمن، ولا ينصرف إلى البيع والشراء والأخذ والعطاء في الفترة التي ينصرف فيها إخوانه إلى التضرع، وسؤال دفع الشدة من الملك الديان. وإن الاشتغال عن الله - بالإضافة إلى أنه تقصير وتفريط - فهو مظهر من مظاهر الغفلة، ومن غفل عن الله، وأعرض عن ذكره في الذاكرين، وعن عبادته في العابدين، أنساه الله العمل لمصالح نفسه، الذي عليه مدار سعادته، ويتوقف عليه صلاحه وفلاحه، فلا ينشط له، ولا تحفز له نفسه، فيشقى في دنياه بكده وعنائه، فيما يشغله عن الخير، ويقعده عن وسائله، ويشقى في الآخرة لغفلته في دنياه عن الله وعدم حرصه على تقديم ما ينفعه لمعاده ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (سورة طه: ١٢٤).

إن حول الأردية - يا عباد الله - في صلاة الاستسقاء يوحي بتحول عظيم يجب أن تبدو آثاره فتجنى ثماره، تحول في المسالك والاتجاهات، يبدو أثره واضحًا في اتجاه الناس نحو الخير وسلوك سبله، وفي إقامة دعائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينهم، بحيث يشمل القريب والبعيد والأمير والصعلوك، على حد سواء، وبحيث يكون الأمر والنهي مشاعًا بين الناس كل فيه بحسبه لا يقتصر على الجماعة خاصة، ولا توضع مسؤولياته في عنق فريق دون الآخر، بل كل فرد في الجماعة عليه من المسؤولية بقدر ما قام به من الأمر والنهي أو قصر فيه ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة: آل عمران: ١١٠) . وعندئذ، وحينما يقوم كل فرد بواجبه، وبعد هذا التحول، لن يجد الناس في مجتمعهم لاهيًا بين عابدين، ولا مشتغلاً بدنياه بين مستغيثين لرفع الشدائد ومتضرعين مختبئين.

فاتقوا الله عباد الله، والتزموا شعائر الدين في مجموعها، فروضًا كانت أو سننًا مؤكدة ونوافل، فقد جاء في الحديث، فيما يرويه رسول الله ﷺ عن ربه: «عبدي يقترب إليَّ بالنوافل حتى أحبهُ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»، أي: أنه يكون موفقًا في كل سبيل يسلكه، قريبًا من ربه بدعائه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة الحشر: ١٨-١٩).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الصادق الأمين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، كان بعض السلف يوقظ القلوب الغافلة بوعظه، ويحرك النفوس المستنيمة بتذكيره، ويقول: ألا رب مهين لنفسه، وهو يزعم أنه لها مكرم، ومذل لنفسه، وهو يزعم أنه لها معز، ومضيع لنفسه، وهو يزعم أنه مراع لحقها. وكفى بالمرء جهلاً أن يكون مع عدوه على نفسه، يبلغ منه عدوه. وعدو المرء يا عباد الله شيطانه ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (سورة فطر: ٦).

١٩ - في بيان بعض محاسن الإسلام وأنه صالح لكل زمان ومكان

الحمد لله شرح صدور المؤمنين لطاعته، وهداهم إلى تحكيم كتابه، والعمل به، أحمده سبحانه وأشكره، والشكر واجب له على نعمه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله. أفلح من اتبعه، ودعا إلى الاهتداء بشريعته. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إذا كان لأحد أن يفخر بمبدأ، أو يعتز بتشريع، أو يشمخ بتراث، فإن من حق الأمة الإسلامية ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠). أن تفخر بدينها، وأن تعتز بتشريعها، وأن ترفع الرأس عاليًا بتراثها الخالد المجيد، دينها الإسلامي الذي أشرق على الدنيا فوحد الصفوف المختلفة، وألف الله به بين القلوب المتنافرة ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

هذا الدين الإسلامي الذي أنقذ البشرية المعذبة وارتفع بها من مهاوي الرذيلة إلى مشارف الفضيلة، ونقلها من الذل والاستعباد، إلى العز والكرامة والحرية، ومن ظلام الجهل إلى نور العلم والحقيقة، ومن البداوة إلى الحضارة والتمدين؛ إنه دين السلام والأمن والإنسانية والرحمة، دين العدل والمساواة والديمقراطية الحقة، وكفى المسلمين فخرًا واعتزازًا به، أنه الدين الذي رضيه رب العالمين لعباده، وأكمل به السعادة في الدارين، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (سورة المائدة: ٣). وربط به الأبيض والأسود، والحاكم والمحكوم،

والشريف والوضيع، والبعيد والقريب، الكل إخوة في الله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٠).

وساوى بين المجموعة الإسلامية في الحقوق، وأبطل الفوارق والعصبيات للجنس واللون والمبدأ «**الناس من آدم، وآدم من تراب**» وفاضل بين الناس بالتقوى والعمل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٣). «**لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى**»، وجعل للدين مركز إشعاع ورابطة يتجه إليه المسلمون في بقاع الدنيا كل يوم خمس مرات، ويحجون إليه ويعتمرون، ليجددوا الصلة بالله، وليعاهدوا الله في رحاب بيته المشرّف على الإخلاص لقضية الإسلام، واستدامة الطاعة للملك العظيم الديان.

ومن حق هذه الأمة الإسلامية أيضًا أن تعتز بتشريعها، لأنه التشريع الذي وضعه رب العالمين، العالم بمصالح عباده، وأنزله على النبي الأمين، محمد بن عبد الله ﷺ ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت: ٤٢). وحفظه من التغيير والتبديل، ليبقى إلى الأبد مصدرًا للتشريع وقاضيًا للتحاكم وإمامًا للاقتداء والاهتداء، ومبشرًا بالوعد الكريم للمحسنين ومنذرًا بسوء العاقبة للظالمين ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة الإسراء: ٩-١٠)، ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (سورة المائدة: ٤٩).

ومن حق الأمة الإسلامية أيضًا أن ترفع الرأس عاليًا بتراثها الخالد، الذي خلفه صاحب المجد التالد، سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبد الله ﷺ وقال عنه، وهو يضع أسس التشريع ونظام العدالة، متكفلاً بالهداية، لمن أخذ به واستمسك بأهدابه: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله**».

هذا الدين الإسـلامي العظيم ـ يا عـباد الله ـ دين الحق الذي كـتب الله له العلو والظهور، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (سورة التوبة:٣٣). هذا الدين الخالد، الصـالح لكل زمان ومكان، ومن حقه أن يسود العالم، لينشر الأمن والسـلام في الحاضر، كما نشره في الماضي، وليقضي على الرجعية والمبادئ الهـدامة، ويرفع كابوس الاستعمار عن ديار الإسلام، كما قضى علـى آلهة الظلم ودول الطغيان، وليحكم بدستـوره المنزل من السماء بدلاً من الحكم بدساتير الغـرب وقوانين الاستعمار، ففـيه نصوص الحكم العادل، والإدارة الرشيدة، والسيـاسة الحكيمة، ونظم الاقتصاد، وأحكام الحـرب والسلم، وفيه كل ما يتصل بصلاح أمر الدنيا، والسعادة في الأخرى، كما قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (سورة الأنعام:٣٨).

فيجب علـى المسلمين في مشارق الأرض ومغـاربها ـ إن كانوا ممن يفخـر ويعتز بدينه، وينتسب للإسلام نسبة صحيحـة ـ أن يطبقوا نصوصه وأحكامه، وأن يجعلوها أساسًا للحكم ومنهاجًا للحـاكم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (سورة النساء:١٠٥). فليس الإيمان بالتمني ولا الإسلام لمجـرد الانتسـاب، ولكن الإيمان ما ثبت في الـقلب، وصدقه الـعمل. وعندما يخلص المسلمون لإسلامهم، وبعد أن يجـعلوا كتاب الله وسنة رسوله مصدرًا للتشريع في أوساطهم، وأساسًا للحكم وإمامًا للهداية بينهم، عندئذ يحقق الله لهم ما يريدونه من العزة والتمكين في الأرض، والسيادة والنصر، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (سورة الحج:٤٠). ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة المنافقون:٨)، ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الروم:٤٧).

فاتقوا الله عباد الله، واتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم، ولا تتبعوا من دونه أولياء. وإن من اتخـاذ الأولياء ـ من دون الله ـ تقـديم حكم غيـر الله على حكمـه، والأخذ بالأنظمة والقوانين الوضعية الفاشلة، دون الأخذ بشرع الله ودينه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء: ٦٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وعد المؤمنين الصادقين بالنصر والتمكين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد البررة المتقين، والهداة المهديين، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، يقول الله تعالى في محكم كتابه، وهو أصدق القائلين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (سورة النور: ٥٥). فحققوا - يا عباد الله - ما يريده منكم - من عبادته والعمل بشرعه - يحقق لكم ما تريدونه من النصر على الأعداء، وتخليد ملككم، ورفعة شأنكم.

٢٠ ـ في الحث على إقام الصلاة وعدم التفريط فيها

الحمد لله يحيي القلوب بالوعظ والتذكير؛ أحمده سبحانه، وهو على كل شئ قدير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود والحوض المورود والقدر الكبير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، أرأيتم النور كيف يهدي إلى الطريق، ويوصل إلى الغاية، وتأمين النفوس بإشاعة خطر الضلال. إنه ـ يا عباد الله ـ مثل للصلوات المكتوبة، حين يحافظ عليها العبد، فتهديه بنورها إلى الطريق السوي، ويبدو أثر ذلك في سلوكه واتجاهه نحو الخير، وبعده عن الإثم والرذيلة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٥). وتأخذ بيده فتوصله إلى الغاية الحميدة، ويأمن بها من العثرة والفزع في الآخرة حين يخاف الناس. وتكون له برهانًا على إيمانه وصدق إسلامه، ونجاة من النار، كما قال رسول الله ﷺ: **«من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة»**.

وعلى العكس من ذلك من أهمل أمرها، أو تهاون بها، أو تشاغل عنها، فهو ممن قال عنه رسول الهدى: **«ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»**. أي: كان منزله إلى جانب أئمة الكفر في النار، وبئست النار من مستقر وقرار.

وقد استخلص العلماء ـ رحمهم الله ـ من قَرْنِ من لم يحافظ على الصلاة بأئمة الكفر ـ أن المرء إما أن يشغله عن الصلاة ملكه، فهو مع فرعون؛ أو يشغله عنها

رياسته ووزارته، ومنصبه ووظيفته فيتعلل عن أداء الصلاة بكثرة المراجعين، أو مسؤوليات الدولة الملقاة على عاتقه، أو بأي عذر لا يقره دين، فهو مع هامان وزير فرعون؛ أو يشغله عن الصلاة تجارته، فيعكف على البيع والشراء والأخذ والعطاء، والتسجيل في الدفاتر، فهو مع أبي بن خلف، وما ذاك إلا لعظم منزلة الصلاة من الدين، ولأنها عمود الإسلام، وأول فروضه، فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ليس بعد ضياع الصلاة إسلام ولا دين.

وحسبكم - يا عباد الله - أنها الصلة بين العبد وربه، فإذا قطع العبد هذه الصلة، قطع الله عنه عونه، ووكله إلى نفسه، فتقاذفته المحن، وتسلط عليه البلاء، وهيهات أن يفلح عبد تخلى عنه مولاه.

وإذا كان هذا الوعيد في حق من لم يحافظ على الصلاة أو يتشاغل عنها فكيف بمن يستهزئ بها أو يجحدها، أو يسخر من المصلين، ويرميهم بالجمود والرجعية، لا جرم أن يكون أعظم جرمًا أو أكبر إثمًا وأشد عذابًا، لأن من ترك فريضة الله برئت منه ذمة الله كما جاء في الحديث: **«من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله»**، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد يترك الصلاة ولم يأتها إلا كتب الله على وجهه: هذا خارج من رحمة الله وأنا منه بريء»**. وفي الحديث أيضًا: **«لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة»**. وجاء في حديث قدسي: **«من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»**. ومن عادى المصلين واستهزأ بهم - وهم أولياء الله - فهو ممن أعلنه الله بالحرب، فيا لطول عنائه وبلائه وعظيم شقائه.

ألا وإن من المحافظة على الصلاة المحافظة على أركانها، والطمأنينة فيها، وعدم الاستجابة للشيطان في مسابقة الإمام في ركوع أو سجود، أو رفع أو قيام فإنما جعل الإمام ليؤتم به، وفي التقدم عليه ومسابقته إخلال بالصلاة، وتفريط في أداء الأمانة على وجهها، والصلاة من أعظم الأمانات التي حملها الإنسان، والتزم الوفاء بها، وهو أيضًا تطفيف في الحق الواجب استيفاؤه على الوجه الأكمل.

روي عن ابن مسعود وسلمان الفارسي رضي الله عنهما: «الصلاة مكيال، فمن أوفى استوفى، ومن طفف فقد علم ما قال الله عن المطففين».

وفي مجال الحث على إتمام الصلاة والترغيب في القيام بكل ما تتطلبه، والترهيب من كل ما يخل بها، يقول رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا صلى فأحسن الصلاة، صعدت ولها نور، فإذا انتهت إلى أبواب السماء فتحت أبواب السماء لها وتشفع لصاحبها، وتقول: حفظك الله كما حفظتني. وإذا أساء في صلاته فلم يتم ركوعها ولا سجودها ولا حدودها، صعدت ولها ظلمة فتقول: ضيعك الله كما ضيعتني. فإذا انتهت إلى أبواب السماء غلقت دونها، ثم لفت كما يلف الثوب الخلق، فيضرب بها وجهه».

ألا وإن من البراهين على إخلاص المرء لدينه، ودعوته الناس للصلاة وخاصة أهله وأبناءه والأخذ على يد المفرط فيها، واستصحاب أولاده إلى المساجد لينشؤا تنشئة صالحة، فقد استرعاه الله إياهم، وهو سائله عنهم. فاتقوا الله عباد الله، وأقيموا فرائض الله، وفي طليعتها الصلاة، ولا يشغلنكم عنها، أو يحملنَّكم على التهاون بأدائها في وقتها أيٌّ شاغل أو وظيفة أو رياسة، أو ندوة أو احتراف بحرفة، فضلاً عن اللهو والتجمع لمشاهدة اللاعبين، وترك فريضة رب العالمين، ففي ذلك غبن، يا له من غبن، إنه غبن في الدين، ويا لخسارة من كان غبنه في الدين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (سورة طه: ١٣٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم والنهج القويم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، لقد بلغ من عناية الإسلام بأمر الصلاة، أن أمر بإقامتها في الحضر والسفر، وفي السلم والحرب، ولم يرخص في تركها للمريض فقال ﷺ: **«صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب»**، وحض الآباء على أمر أبنائهم بالصلاة منذ أن يبلغوا سبع سنين، فقال: **«مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر»**، ولم يرخص في تركها عند اشتداد الخوف في الحروب، بل رخص أن يصلي الجيش إذا حان وقت الصلاة، رجالاً أو ركبانًا، مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها، يومؤن إيماء بقدر الطاقة، وفي ذلك كله ما يوجب الاهتمام بالصلاة، وضرورة إقامتها، وعدم التفريط فيها.

٢١ ـ في التحذير من الفشل في الحياة الزوجية

الحمد لله بيده الخير، وهو على كل شئ قدير؛ أحمده سبحانه، وهو اللطيف الخبير؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، النجاح والفشل في هذه الحياة، قدر من أقدار الله، يتعاقبان على الناس في كل مجال، فيسعدون أو يشقون، وتبتسم لهم الأيام، أو تسود الليالي؛ غير أن الفشل المضني، والإخفاق الذي يعظم خطره، ويتعدى ضرره، هو الفشل في الحياة الزوجية، والإخفاق في عشرة النساء عشرةً ظلالها المودة والرحمة، كما رسم ذلك رب العزة حيث يقول: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (سورة الروم: ٢١).

وكل فشل أو إخفاق ـ عدا الفشل في الحياة الزوجية ـ فهو خطوة إلى تحسين الحال، وحافز لبلوغ الآمال، فالفشل في التجارة، حافز على تصحيح الخطأ، والمضي في الطريق المرسوم بخطى ثابتة، مع الاستعانة بالله. والفشل في إدراك أي مطلب من مطالب الحياة، عامل على رسم الخطط السليمة، ومواصلة الجهد، حتى يتم النجاح بإذن الله.

أما الفشل في الحياة الزوجية، فهو فشل ذريع، يتعدى خطره ويعظم ضرره إلى الأولاد ـ زينة الحياة الدنيا ـ وإلى الزوجة حيث يكون نهايته حل عقد الزواج، وخراب البيت وتشتيت الأولاد وفساد تربيتهم.

ولهذا الفشل أسباب وعوامل أبرزها تدخل الأولياء والأوصياء بين المرء وزوجه، وتدخلهم في كل صغيرة وكبيرة، وفرضهم السيطرة على من يلون أمرهم، وخاصة

إذا كانوا في حاجة إلى عونـهم ورفدهم. ويعظم الخطر حين يرتفع الأمر إلى الحاكم، ولا يجد أمـامه لحل النزاع وفض الشـقاق، غـير الحكم على المرأة بالنشـوز، فتـبقى معطلة معلقة متضررة. أو يحكم عليها بالانقياد والطاعة، وأي انقياد أو طاعة يستقيم أمرها بعد فـساد القلوب وتغيرها، وإظهـار العيوب، والتنكر لماضي العـشرة، ماضي الألفة والمودة، فلا تلبث الخصومة أن تعود لأتفه الأسباب، نتيجة للإفساد والخراب.

وإن خراب البيوت العامرة ـ يا عـباد الله ـ والإفساد بين الزوج وزوجه، ضرر لا يقره الدين، وظلم واضح، والظلم حرَّمه رب العالمين. يقول رسول الله ﷺ: **«من ضار مسلمًا ضاره الله»**، ويقول أيضًا: **«الظلم ظلمات يوم القيامة»**، وجاء في حديث قدسي: **«يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا»**، وكل من حرض على الظلم، أو كان سـببًا في مضارة مسلم، كان علـيه من الوزر بقدر ما اشترك في الظلم والمضارة أو أعان عليهما، جزاء وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد.

وقد يكون الزوج نفسه هو عـامل هدم لخراب بيته، حيث يستـهتر بأمر الطلاق، ويكون على لسـانه في كل بادرة تبدر له، أو خـلاف على شئ تافـه ينشب بينه وبين أهله أو لغير ذلك مما اعتاد بعض الحمقى أن يقحـموا فيه الطلاق، لتأييد حججهم أو تصديق أقوالهم، أو ليبـرئوا أنفسهم من تهمة لصقت بهم. وليت الأمـر يقتصر على تطليـقة واحدة كـما هي السنة، إذن لهـان الخطب، وأمكن أن يراجع الرجل زوجـته المظلومة، والتي لا ذنب لها إلا أنهـا مقصورة عليه، كسـيرة تحت كنفه، ولكنه يطلق بالثلاث في لفظ واحـد، فيخرج الأمـر من يده، وعندئذ يصحو من غفلتـه، ويسعى جاهدًا من عالِمٍ لآخـر لاسترجاع زوجـته، وينتحل الأعذار لنفســه ويقول: كنت في غيـر شعوري، لم اقـصد أن أطلق زوجـتي، إن لديها أطفالاً يبكون اللـيل مع النهار لبعدها عني، إلى غـير ذلك من الأعذار بعد الصحـوة من الغفلة، وهل يجدي الندم بعد فوات الفرصـة، وعندما توصد الأبواب أمامه، يحتال بارتكاب المحرم، ويـستعير محللاً يشتـرط عليه شروطًا وقيـودًا لا تحل، ليحل له زوجته في زعـمه، والحرام لا يكون وسيلة إلى الحلال أبدًا، ونكاح المحلّل باطل، والمحلِّل والمحلَّلُ له ملعونان على

لسان رسول الله ﷺ حيث يقول: «لعن الله المحلل والمحللَ له»، وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن تحليل المرأة لزوجها فقال: «ذاك السفاح». وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لا أوتي بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما».

فاتقوا الله عباد الله، واحرصوا كل الحرص على الوفاق وترك بذر الشقاق بين الزوجين، وتعكير الصفو بينهما، إبقاءً على عش الزوجية السعيد من أن يتهدم، أو يتطرق إليه الفساد، ويصاب الزوجان بالفشل، فالفشل في الحياة الزوجية والإخفاق فيها خسارة لا تعوض، وجراح لا تندمل، وخراب يا له من خراب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (سورة النساء: ١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الغفور الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب النهج القويم، والخلق الكريم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، لقد رسم الله سبحانه لتنظيم الحياة الزوجية خططًا، لو اتبعها الناس لقضت على الفشل، ولساد بها الوفاق وارتفع الشقاق. قال تعالى: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ (سورة النساء: ٣٤) - أي ارتفاعهن عن حدود الزوجية وواجباتها - ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (سورة النساء: ٣٤) - أي ضربًا غير مبرح - ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ (سورة النساء: ٣٤). فاعملوا - عباد الله - بما رسمه لكم ربكم في استصلاح حال نسائكم، تستقم بيوتكم، وتطيعوا فيهن ربكم.

٢٢ ـ في الحث على احترام المساجد

الحمـد لله يهدي من يشـاء إلى صراط مسـتقـيم. أحمده سـبحـانه ، وهو البر الرحيم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهـد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، نبي اختصه الله برسالـته، وأنزل عليه كتابه الكريم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن من دلائل صلاح الصالحين، وبراهين إيمان المؤمنين، ارتيادهم لبيوت الله، وعمارتهم لها بالطاعة لله رب العالمين.

وبيوت الله هي المساجد، وهي أحب البقاع إلى الله، بنيت لتوحيده وعبادته، وأقيمت دعائمها لذكره والقنوت له، فمن اعتادها لهذا الغرض خالصًا مخلصًا فيه فقد أعطى البرهان على صـدق إيمانه، كما جاء في الحديث: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان**»، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (سورة التوبة:١٨). وجزاء ذلك مـا أخبـر به الصادق المصـدوق حيث يقول: «**تكفل الله لمن كان المسجد بيته، بالروح والرحمة، والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة**».

ولقد بلغ من رعـاية الدين لأمر المسـاجد، أن رغب في بنائها، وأمـر بتنظيفـها وتطييبهـا، وصيانتها من الأقذار والروائح الكريهـة، فقد صح الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ أمر ببناء المساجد في الدور ـ أي في الأحياء والحارات ـ وأمر بها أن تنظف وتطيب. وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشئ من هذا البول ولا القذر وإنما هي لذكر الله وقراءة القرآن**». وفي حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا**».

ورد النهي عن البيع والشراء ونشد الضالة في المساجد، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد، فليقل: لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا»**. وفي رواية أخرى: **«إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا له: لا أربح الله تجارتك»**.

كل ذلك - يا عباد الله - مبالغة في احترام المساجد، ولئلا يخرج بها الناس عن الغرض الذي بنيت له، وهو عبادة الله وطاعته. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل لقد حرص الدين على تهيئة جو هادئ في المساجد للعابدين لئلا يشغلهم شاغل في مناجاتهم لله، وقيامهم بين يديه، فحظر رفع الصوت في المسجد حتى بقراءة القرآن. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ اعتكف في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: **«ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضًا، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة»**.

وإذا كان من المحظور رفع الصوت بكلام الله في المساجد، فكيف بمن يرفع صوته فيها بالجدل ولغو الحديث، وبالخصومة والمشاجرة وبالشتم، حتى يبلغ درجة الاشتباك بالأيدي، والرمي بالحصباء، وكيف يجري الأولاد فيها وتشويشهم على المصلين والقارئين بصفاراتهم، وعبثهم بلعبهم؟ أفلا يكون ذلك استهتارًا بحرمة المساجد؟ وخروجًا عما أراده الله لها من الصيانة؟.

وإذا كانت المساجد لا تصلح إلا لذكر الله وطاعته، فكيف بمن يجعل فيها حظًا لطاعة الشيطان، والإعراض عن ذكر الرحمن، بالاشتغال فيها بالقيل والقال، وبالغيبة، وتلفيق الأكاذيب عن فلان وفلان، والتآمر على فلان؟

لا جرم إن هذا الصنيع فظيع وقبيح، يكسب فاعله الوزر ويحرمه الأجر، يكسبه الوزر لأنه عدوان على حرمة المسلم، وكل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه. وذلك عام في المساجد وغير المساجد، وهو في المساجد أعظم إثمًا، لأن المجترئ عليه يجمع بين إهدار حرمة المسلم، وامتهان حرمة بيوت الله، التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، لا أن تمتهن بالإثم والعدوان.

وأما حرمان الأجر، فلأن العبد منذ أن يدخل المسجد لا يزال في صلاة حتى يخرج منه، كما صح بذلك الحديث، وتستغفر له الملائكة وتصلي عليه، فإذا اشتغل بالمعصية وإيذاء الناس، حرم الخير وأبدل من الأجر وزرًا.

فاتقوا الله عباد الله، واحفظوا للمساجد حرمتها، ودربوا أبناءكم على آداب المساجد، وخذوا على أيدي الأطفال وكفوهم عن اللعب فيها، واتخاذها ميدانًا للهو والعبث، وحذار من القيل والقال فيها، ومن لغو الحديث، ومن الجدل والخصومة، وانتهاك عرض المسلم وإيذائه، ففي ذلك انتهاك لحرمة بيوت الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة النور: ٣٦-٣٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الحق المعبود. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «جنبوا المساجد صبيانكم ومجانينكم، وشراءكم وبيعكم، وخصوماتكم، ورفع أصواتكم، وإقامة حدودكم، وسل سيوفكم، وجمروها في الجمع»، أي بخروها في أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس فيها؟.

وكل ذلك - يا عباد الله - مما يظهر فيه بوضوح رعاية الدين للمساجد، وصيانته لها، والبعد عن كل ما تنتهك به حرمتها، أو يكون عاملاً على إفسادها، أو التشويش على المصلين والعابدين فيها. وصلوا - عباد الله - على الهادي البشير، سيدنا محمد أكرم رسول، وخير نذير؟ فقد أمركم بذلك اللطيف الخبير.

٣٣ - في الحث على الإحسان في كل وجه

الحمد لله المحمود على كل حال، أحمده سبحانه على مزيد الإنعام والإفضال وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو العظمة والجلال، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، كريم المزايا والخصال. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، أهداف كريمة ندب إليها رسول الهدى ﷺ، وهي في الواقع عماد لصلاح المجتمع، وتماسك أفراده. وما أحوج المجتمع الإسلامي إلى التبصير بكريم الأهداف، في عصر طغت فيه المادة على كل الفضائل، يقول رسول الله ﷺ: **«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».**

تلكم - يا عباد الله - هي مجموعة من الفضائل ترسم طريق الفلاح، ويبلغ المتخلق بها الغاية الحميدة. ذلك لأنه أحسن الصنيع فأحسن الله إليه، فرج عن المكروب كربه فأغاث الملهوف، وقضى حاجة الأرملة والمسكين، ومسح على رأس اليتيم، وأعان على نوائب الدهر، فوعده الله بتفريج الكرب عنه يوم تشتبك الكروب، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (سورة عبس: ٣٤-٣٧).

ويسر على المعسر، فأنظره في سداد دينه، أو أبرأه منه، ولم يثقل كاهله بزيادة الدين عليه بالطرق الملتوية، فوعده الله بتيسير كل ما أهمه في دنياه، وكم في الدنيا من متاعب. وبتهوين المشاق عليه في أخراه، وكم في الآخرة من شدائد، وكم فيها من أهوال وطول بلاء وعناء.

وستر على أخيه المسلم زلته فلم يشهر به ولم يفضحه أو يشمت به عدوًا من أعدائه، فوعده بستر العيوب، وغفران الذنوب، والظفر بكل مرغوب ومطلوب، وكان لأخيه عونًا في شدته، وعمادًا لقضاء حاجته، ويدًا كريمة تمسح عنه بؤسه، وتخفف عنه آلامه، فوعده بأن يكون له عونًا في كل شدة وغوثًا من كل كربة، ومنقذًا في كل معضلة. وهكذا كان الجزاء عظيمًا كما كان العمل كريمًا.

فاتقوا الله عباد الله، حققوا لمجتمعكم كل هدف كريم حث عليه الدين، وندب إليه رسول رب العالمين، لتبلغوا بذلك الغاية الحميدة، ولتصلوا إلى درجات المقربين، ولتنالوا خير الجزاء من الرب الكريم، فخير الجزاء يترتب على خير العمل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الموصوف بصفات الكمال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين لاشك في ذلك ولا جدل. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، ليست أبواب الإحسان والمعروف مقصورة على تفريج الكرب، والتيسير على المعسرين، وستر زلات الخاطئين؛ وإنما هو باب واسع لا تتحدد جوانبه، ولا تنحصر روافده. يقول رسول الله ﷺ : **«لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»**. وفي كل جانب منه قربة إلى الله، ووسيلة للظفر بمحبة الله، فأحسنوا - يا عباد الله - في كل وجوه الإحسان، إن الله يحب المحسنين.

٢٤ - في مشاكل الزواج

الحمد لله العلي الشان، عظيم السلطان؛ أحمده سبحانه، خلق الخلق من ذكر وأنثى، وجعل في ذلك عمارة الأكوان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نظير ولا أعوان؛ وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، بعثه الله لهداية الثقلين من إنس وجان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، آية في كتاب الله تعالج مشكلة اجتماعية خطيرة، هي في الواقع مشكلة كل فرد من ذكر وأنثى، تلك هي مشكلة الزواج، فهو أمر فطري، تدعو إليه الطباع والغرائز، وتترتب عليه عمارة الكون، وقد كان من الواجب أن يصبح أمره ميسرًا، ليكون في استطاعة كل فرد أن يقدم عليه مهما كان وضعه، غنيًا أو فقيرًا، أميرًا أو صعلوكًا.

يقول الله تعالى في كتابه: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور: ٣٢).

ففي الآية الكريمة ندب وحث على تزويج الأيامى - جمع أَيِّم، وهي المرأة لا زوج لها، والرجل لا زوج له - وفيها الوعد الكريم من رب العزة بالغنى والخير، لمن يتزوج يريد العفاف، وفيها قطع حجة الأولياء في رفض زواج الفقير لفقره، خشية أن يزيده الزواج بؤسًا إلى بؤسه.

وهذه النظرة المادية يكذبها الواقع، فكم من فقير أصبح بعد زواجه موفور النعمة قرير العين، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: «**عجب لمن ابتغى الغنى بغير النكاح، والله يقول:** ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (سورة النور: ٣٢).

وفي الآية الكريمة ـ ضمنًا ـ التوجيه لدعم التـغالي في المهور، لئلا يحجم السواد الأعظم من الفقراء عن الزواج، وإذا كان المهر ـ وهو عماد مشروع الزواج ـ لا يشجع الشرع على التغـالي فيه، فكيف بالفضول من مظـاهر البذخ والإسراف، التي أثقلت كاهل الغني بله الفـقير، بل لقد جـارى الفقراء فيـها الأغنياء، نزولاً على التقـاليد، فركبهم الدين، والدين ذل في النهار وهَمٌّ في الليل، وهيهات أن يسعد الذليل بعيشه، أو ينعم المهـموم لذيذ الأحـلام. إن كل ما زاد عن النفـقة المشروعـة في الزواج، هو فضـول لا ينظر إليه الشرع بعين الرضـا، لأنه خروج على المبدأ الذي رسـمه الله في كتابه للطريقة المثلى في الإنفاق حيث يقول: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (سورة الإسراء: ٢٩).

ألا وإن مما أحدث في موضوع الزواج ولم تجر به سنة عقد الرجل على مخطوبته مرتين: الأولى ما يسميه البعض بالملكة المخفية ـ يتم فيها العقد مستوفيًا لجميع شروط النكاح وأركانه، ثم يكون بعد ذلك وبعد فتـرة ـ تطول أو تقصر ـ يكون عقد علني، يعاد فـيه ما سـبق أن تم في العقد الأول، وذلك عـبث لا قيمـة له، فبالعـقد الأول أصبحت المخطوبة زوجة شـرعية لخطيبها، ولا مبرر للعقـد الثاني، ولئن كان الغرض منه إشهار الزواج، فإن وليمة العرس المشروعة كافية للإشهار والإعلان.

فاتقوا الله عباد الله، وكـونوا من أولي الألباب، الذين يستمعون القول فـيتبعون أحسنه، والذين أثنى الله عليهم في محكم كتابه إذ يقول:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر: ١٧-١٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كـتابه. أقول قولي هذا، وأستـغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المنان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، البشير النذير سيد الأنام. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: **«إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»**، ويقول في حديث آخر: **«تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»**. فأوضح ﷺ في هذين الحديثين الجانب الذي تجب مراعاته، ويجب تقديمه في الزواج على كل الجوانب، ألا وهو الدين فتدين الزوجين يدفع كلاً منهما للمحافظة على حقوق الآخر التي أوجبها الله عليه نحوه وبذلك تدوم الألفة، ويسود الوئام، وتصلح البيوت.

٢٥ - في الحث على الخشوع في الصلاة

الحمد لله هادي العباد إلى سواء السبيل، أحمده سبحانه، لم يلد ولم يولد، وليس له نظير ولا مثيل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب اللواء والحوض الروي السلسبيل. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، قرة عين المؤمن، وطمأنينة قلبه، تبدو واضحة في وقوفه بين يدي ربه، وتلذذه بمناجاته في صلاته، وخشوعه وانكساره، عندما يتجه إليه في عبادته. إنه يطرح الدنيا وراءه ويقبل على الله، وينصرف عن كل المشاغل، ويلتفت إلى الابتهال والتضرع إلى الله، فهو في نعيم بهذا الخشوع أمام رب العزة، لا يعدله نعيم. وهو بذلك يغدو في زمرة عباد الله المفلحين، الذين امتدحهم في محكم كتابه إذ يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ١-٢).

أجل - يا عباد الله - إن الخشوع في الصلاة هو روحها، والمحور الذي تدور عليه سائر أعمالها، فصلاة بغير خشوع كجسد من غير روح. وإن المصلي الخاشع يكون متجهًا بقلبه وبجميع جوارحه إلى إتمام صلاته على أكمل وجه، راجيًا قبولها، فبقبولها يسعد، خائفًا من ردها، وفي ردها الحسرة والنكد، وعلى العكس منه ذلك المصلي اللاهي، إنه يفرغ من صلاته، وهو لا يدري أصلى أربعًا أم خمسًا، وهل سجد في كل ركعة سجودين أم أكثر أم أقل، لأنه فقد الخشوع، فتسلط عليه الشيطان يوسوس له ويستولي على تفكيره، وينقله فيه من واد إلى واد، ويدفعه إلى العبث: إما بلحيته أو بكثرة الحركات في جسده وثيابه. أبصر النبي ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه». أو يحمله على الاستعجال في الصلاة، فينقرها نقر الغراب، ولا يقيم فيها ركوعًا ولا سجودًا، ولا قيامًا ولا قعودًا،

وقد ورد في ذلك من الوعيد ما فيه مزدجر لقوم يعقلون. رأى النبي ﷺ رجلاً لا يتم ركوعه، وينقر في سجوده وهو يصلي فقال: «**لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد ﷺ**».

ولقد أوضح رسول الهدى ما يترتب على الإحسان في الصلاة والإساءة فيها فقال: «**إن العبد إذا صلى فأحسن الصلاة صعدت ولها نور، فإذا انتهت إلى أبواب السماء، فتحت لها أبواب السماء، وتشفع لصاحبها وتقول: حفظك الله كما حفظتني. وإذا أساء في صلاته، فلم يتم ركوعها ولا سجودها، صعدت ولها ظلمة فتقول: ضيعك الله كما ضيعتني. فإذا انتهت إلى أبواب السماء غلقت دونها، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق - أي القديم - فيضرب بها وجه صاحبها**».

فاتقوا الله عباد الله، وابتغوا بصلاتكم خير نهج يكون لكم به النور والزلفى إلى الله، وحذار من عمل يبطل الصلاة، أو يفقد به المصلي أجره وثوابه من الله. ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢٨١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٥).

الخطبة الثانية

الحمد لله المعز لمن أطاعه واتبع رضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أفضل من قام لعبادة ربه واتقاه، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فيا عباد الله، جاء في الحديث: «**إن العبد ما دام في صلاته فله ثلاث خصال: البر يتناثر عليه من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وملائكة يحفونه من لدن قدميه إلى عنان السماء، ومناد ينادي: لو يعلم العبد ما انفتل - أي لو يعلم ما هو فيه من الخير - ما انصرف من صلاته**»، فاعملوا - عباد الله - لكسب الوقت في طاعة الله، وحافظوا على الصلوات والخشوع فيها، وأدائها خير أداء، تكونوا من المفلحين.

٢٦ - في الحث على المبادرة بالتوبة

الحمد لله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات؛ أحمده سبحانه، لا رب غيره يقيل العثرات؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، نبي الرحمة، المؤيد بالمعجزات. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، غسل الخطيئة بالتوبة، أوجب من غسل الثياب من الدرن، إنه واجب مفروض يصقل القلوب على الدوام، ولعدم تكاثر الخطايا عليها، فيصعب عندئذ العلاج، ويغدو المرء أسيرًا للذنوب تغلبه على أمره، حتى تميت قلبه، فلا يشعر حينئذ بالذنب يصيبه، أو بالخطايا تكتنفه.

قال الحسن البصري - رحمه الله - في تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين: ١٤): هو الذنب على الذنب، حتى يعمى القلب فيموت، ومصداق ذلك قول الصادق المصدوق ﷺ: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع - أي كف - عن الذنب، واستغفر، وتاب، صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه**»، فهو الران الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين: ١٤).

وقد تفاوتت عزائم الناس في الإقدام على التوبة بعد المعصية، والمبادرة إليها رغم ما ورد من الحث عليها وتدارك الأعمار بها، ففي الناس من يخدعه طول الأمل، أو تغريه نضرة الشباب، أو زهرة النعيم الضافي، فيقدم على الخطيئة، ثم يسوف في التوبة: سوف أتوب، سوف أتوب، وهو بذلك إنما يخادع نفسه ويغرر بها، وكم خدع طول الأمل أقوامًا فجرّعهم الحسرات، وندموا حين لا ينفع الندم.

جـاء في الحديث عن نـبي الهدى ﷺ أنه قـال: «مـا من أحـد يموت إلا ندم». قالوا: ومـا ندامتـه؟ قال: «إن كـان محـسنًا ندم أن لا يكون ازداد من الإحـسان، وإن كـان مـسيئًا ندم أن لا يكون استـعتب»، أي: استرضى الله بالتـوبة، وأقلع عن الذنب قبل الموت على المعصية.

وكم خدعت نضـرة الشباب، وأغرت زهرة النعـيم الضافي فريقًا آخـر، حتى جاءهم أمر الله بغتـة فقدموا على ما قدموا. والشبـاب - يا عباد الله - وتتابع النعم لا تزيد في العمر المحدود المقدر في الأزل، وإنما تزيد في مسؤولية العبد أمام ربه، فهي نعم من حـقها الشكر والرعايـة والتقدير للمنعم العظيم، وفي طليـعة الشكر طاعة الله لا معصيته.

نقل عن الفضيل - رحـمه الله - فيما يـروى عنه: يقول الله عز وجل: «ابن آدم إذا كنت تتقلب في نعمتي، وأنت تتقلب في معصيتي، فاحذرني لا أصرعك بين معاصي». وجاء في بعض الآثار: «ابن آدم، احـذر لا يأخذك الله على ذنب، فـتلقـاه لا حجـة لك»، أي يتمهل في التوبة حـتى يفجأه الأجل، ثم لا يجـد عندئذ إلى الله ما يعتذر به، وخـاصة إذا عمر في الدنيا طويلاً، فقد أعذر الله إلى من عمره في الدنيا طويلاً، ثم لا يتخذ إلى ربه سبيلاً.

في الناس من لا يبعـد عن التوبة كلما اقـترف ذنبًا، أو اجـترح خطيئـة، فكلما أحدث ذنبًا جـدد له توبة، فهو على الدوام يصـفي الحساب مع نفسه، ويغـسلها من الخطيـئة بالإنابة إلى ربه والاسـتغفـار من ذنوبه، فهـو من المتقين الذيـن وعدهم الله بمغفرته ورضوانـه، ونزول فسيح جنانه، وعناهم بقوله في محكم كتـابه حيث يقول: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٥-١٣٦).

وفي الحديث في صفة الأوابين إلى ربهم، الذين لا يصرون على معصية، ولا يبعدون عن توبة، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إن عبدًا أصاب ذنبًا فقال: يا رب إني اذنبت ذنبًا فاغفر لي، فقال له ربه: علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له. ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا آخر، وتكرر منه الذنب والتوبة، فقال الله جل جلاله: غفرت لعبدي، فليعمل ما شاء»**، أي ما دام كلما أحدث ذنبًا استغفر وتاب منه، وصدق في توبته، ولم يعد إليه، فلا يضره الذنب شيئًا، كما جاء في الحديث: **«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»**.

أما من يتوب بلسانه، وقلبه متعلق بالمعصية، لا يندم عليها، ولا يعزم عزمًا صادقًا أكيدًا على الإقلاع عنها فهو ممن خادع نفسه، وكذب على ربه، وإنما تقبل التوبة بشروطها وقيودها، وهي الكف عن المعصية، والندم على فعلها في الماضي، والعزم الصادق على أن لا يعود إليها في المستقبل. فمن أخل بذلك أو بعضه توقف قبول توبته عليه.

ألا وإن مما يستحث العباد على التوبة، ويطمعهم في المغفرة، الوعد الكريم من الرب الحليم، بالتجاوز عن المذنبين، وكلنا - يا عباد الله - لا يخلو من الذنب والتفريط، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر: ٥٣).

وقال في حديث قدسي: **«يا عبادي، إنكم تخطؤون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم»**. وقال النبي ﷺ: **«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»**. وفي حديث قدسي آخر: **«يابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك. يابن آدم، إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا - أي بملء الأرض خطايا - ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها - أي بملئها - مغفرة»**.

فيا أيها التائبون، ويا أيها النادمون على العثرة، الطالبون للمغفرة، اتقوا الله عباد الله، وعاجلوا بالتوبة والإنابة، فالتوبة غسل للخطايا، ووسيلة للنجاة وعامل على بلوغ الرضا والرضوان، والأمن من المخاوف، والأمان من عذاب الديان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة التحريم:٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد ولد عدنان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب، فقال في خطبته: «أيها الناس، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا». وجاء عن بعض العارفين قوله: «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤجل التوبة لطول الأمل». فبادروا عباد الله بالتوبة، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.

٢٧ - في الحث على شكر النعمة
لمناسبة هطول الغيث

الحمد لله الكريم الوهاب، أحمده سبحانه، ينشر الرحمة، وينزل الغيث بعد الجدب وطول الاحتجاب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل رسول أنزل الله عليه خير كتاب. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، الشكر عند تجدد النعم، هو مظهر لتقدير النعمة، واعتراف بعظيم المنة. ولقد كان مما شرعه الدين من مظاهر الشكر وإعلان التقدير، السجود عند تجدد النعم واندفاع النقم، صح من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يسره أو بشر به، خر ساجدًا شكرًا لله تعالى». وأكد سبحانه الوعد بالجزاء الضافي للشاكرين على شكرهم، كما توعد الجاحدين لنعمه بشديد العذاب على جحودهم، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (سورة إبراهيم: ٧).

وإن مما يستوجب الشكر، وترتيل الحمد والثناء للملك الواحد الديان، هذا الغيث الشامل المدرار، الذي أغاث الله به البلاد والعباد، بعد طول القحط وتتابع الشدائد، فكانت الفرحة به شاملة، ووجب عليه الشكر للمولى العظيم صاحب المنن الضافية ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (سورة الشورى: ٢٨). وإن الغيث - يا عباد الله - هو سبب توافر الأرزاق. قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (سورة الذاريات: ٢٢): يعني: المطر، فهو سبب الأرزاق.

فأدوا - يا عباد الله - شكر هذه النعمة تقديرًا لها، واعترافًا بمنة المنعم الكريم، وطلبًا للمزيد من بره وخيره، فقد وعد بذلك الشاكرين. وليس الشكر - يا عباد الله -

مجرد ترتيل عبارات الشكر فحسب، ولكنه - إلى جانب ذلك - استقامة في المسلك، واتجاه إلى الله بالطاعة، في مختلف أوجه الطاعة، وترفع عن المعصية. فإن ما عند الله لا يدرك إلا بطاعته، كما قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ (سورة الجن:١٦-١٧). قيل في تفسيرها: لو استقاموا على طريقة الحق والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين، لوسع الله عليهم في الدنيا، ووهب لهم عيشًا رغدًا.

وضرب سبحانه الماء الغدق أي الكثير مثلاً، لأن الخير والرزق كله في المطر، وذلك كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (سورة الأعراف:٩٦)، وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ (سورة الجن:١٧). أي: لنختبرهم كيف يكون شكرهم لما أنعم الله به عليهم من النعم.

أما المعصية فهي شر ما تقابل به النعمة، لأنها مظهر جحود وتنكر لجميل المنعم، وطغيان يستوجب النقمة وسلب النعمة. أرأيتم يا عباد الله، لو أن مملوكًا أطغاه إحسان سيده، وأبطره فضله عليه، فتمرد وعصى، أفلا تكون النتيجة أن يحرم الإحسان؟، ويسلب فضل السيد جزاء وفاقًا؟ ولله المثل الأعلى، فكيف بمعصية المخلوق للخالق العظيم، والمملوك لمالك الناس أجمعين ورب العالمين، أفلا تكون معصيته جل وعلا سببًا لزوال نعمه الحاضرة، وقطعًا للنعم الوافدة؟ وذلك هو مقام العدل حين لا ينفع الفضل، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (سورة الأنفال:٥٣)، فإذا قابل العبد نعم الله بمعصيته، وترك الواجب من الشكر، واستعاض عنه بكفر النعمة وجحودها، غيَّرَ الله عليه نعمه، وأنزل به نقمه.

وهكذا فقيد النعم وعامل استدامتها والمزيد منها، هو شكر المنعم وطاعته، والبعد عن معصيته. وسبب زوال النعم الحاضرة والحرمان من الوافدة هو معصية الله واستجلاب غضبه.

فاتقوا الله عباد الله، واشكروا نعم الله عليكم، وما أكثر نعمه على العباد ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (سورة النحل:١٨). والتزموا الطاعة، وجانبوا المعصية، فالطاعة وسيلة للخير وتتابع النعم، والمعصية سبيل الشر وترادف النقم. وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، واستجيبوا لأمر الرب العظيم، واستمعوا لوعده الكريم إذ يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ (سورة البقرة:١٥٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله مالك الملك وهو على كل شئ قدير؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل بشير وخير نذير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، نقل عن بعض العارفين بالله قوله: إن الكيس - أي الفطن الذكي - من لا تزيده النعم إلا انكسارًا وذلاً وتواضعًا ومحبة للمنعم، وكلما جدد له نعمة أحدث لها عبودية وخضوعًا. فكونوا - يا عباد الله - ممن لا تزيده النعم إلا طاعة لله، وإقبالاً عليه وتوجهًا إليه، ولا تكونوا ممن أبطرته النعمة، واتبع هواه فكان من الغاوين.

وصلوا على رسول رب العالمين، سيدنا محمد النبي الأمين، فقد أمركم الله بذلك في كتابه المبين: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب:٥٦).

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد البشير النذير، السراج المنير. وارض اللهم عن خلفائه الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن التابعين

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمكم وإحسانك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر اليهود وأعوانهم من المستعمرين، وألف بين قلوب المسلمين، ووحد صفوفهم، وأصلح قادتهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا أرحم الراحمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحشر: ١٠). **﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾** (سورة الأعراف: ٢٣). **﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾** (سورة البقرة: ٢٠١).

عباد الله... ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠). **فاذكروا الله على نعمه، واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.**

اللهم سقيا رحمة، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق. اللهم أنزل الغيث حوالينا لا علينا، اللهم على الظراب والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر.

﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٦). **﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾** (سورة البقرة: ٢٠١).

٢٨ ـ في الحث على إخراج الزكاة

الحمد لله الواسع المجيد، أحمده سبحانه، يسبغ الفضل على عباده ويهدي من يشاء إلى النهج السديد؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله جاء بالهدى وإقامة الدين، وقمع بسيف الحق كل كفار عنيد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، الذل والاستكانة، وانكسار المسلم لغير الواحد الديان، خدش في الإنسانية، وتحطيم للكرامة، واضمحلال للشخصية، ويأبى الإسلام ذلك لأتباعه، فهو دين العزة، ولا يرضى للمسلمين غير العزة ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة المنافقون: ٨). ومن أجل ذلك حارب الفوارق بين الطبقات، وجعل المسلمين سواسية كأسنان المشط، لا يرتفع فيهم حسيب أو نسيب لحسبه ونسبه، ولا يتعالى غني على فقير لماله وثروته، «الناس من آدم، وآدم من تراب، أكرمهم عند الله أتقاهم».

وحفظًا لكرامة المسلم أيضًا، وصونًا لشخصيته، حرَّم المسألة، إذ كانت مظهر ذل وانكسار للسائل، ولم يبحها إلا في أضيق الحدود، بشروط وقيود.

وحرصًا على أن يبقى المسلم مرفوع الرأس عزيز الشخصية، أوجب الإسلام التكافل بين جميع المسلمين، فيكفل الأغنياء الفقراء في احتياجاتهم، وضرورات حياتهم، كفالة لا منَّة فيها لغني ولا فضل فيها لمنفق، كفالة تبدو واضحة الجوانب في إخراج الأغنياء زكاة أموالهم.

والزكاة فريضة المال، أوجبها الله على الأغنياء، له المنَّة في ذلك عليهم، لأنه وهبهم الكثير، وطلب منهم إخراج القليل من المال الذي استخلفهم فيه، وجعلهم أمناء عليه، ينفذون فيه أمره، ويتبارون في دفع ذل الحاجة والانكسار عن خلقه.

وجعل الإنفاق قرين الإيمان به وبرسوله حيث يقول ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (سورة الحديد: ٧).

ولم تعرف المجتمعات الإسلامية في عصور النور تضخم الثروة في جانب يبلغ بأصحابه حد الترف، إلى جانب من يفترشون الغبراء، ويعيشون في أشد حالات البؤس والجوع والعري والحرمان، لأن تعاليم الإسلام تأبى ذلك، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أيما أهل عرصة** - أي ساحة دار - **أصبح فيهم امرؤ جائعًا فقد برئت منهم ذمة الله**». وقال أيضًا: «**من كان له فضل ظهر** - أي مركب زائد عن حاجته - **فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد، فليعد به على من لا زاد له**».

وذكر ﷺ أصنافًا من المال حتى ظن الصحابة - رضوان الله عليهم - أنه لا فضل لأحد أن يحتجز من ماله فوق كفايته، بل عليه أن يكفل به الفقير، ويعين به البائس المحروم.

وإذا كان هذا في التبرع بالفاضل عن الحاجة من المال، فكيف بالزكاة المفروضة الواجب أداؤها حتمًا، والتي هي واجب اجتماعي، إلى جانب أنها فريضة فرضها الله، وركن من أركان الإسلام، قرن رب العزة بينه وبين الصلاة في غير آية من كتابه، للإشعار بتلازمهما، وضرورة التزامهما معًا، وعدم التفريق بينهما، كما قال الصديق أبو بكر رضي الله عنه: «**والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فهي قرينتها في كتاب الله**».

وجعلها الرب جل جلاله مع الصلاة عنوانًا للفلاح، وبرهانًا على اليقين، ووسيلة من وسائل الرحمة والرضوان، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ١-٤). وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ① هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ② الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (سورة النمل: ١-٣). وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة النور: ٥٦).

كيف يبخل بهـذا الواجب المفروض الذي أوجبه الله للفقـراء على الأغنياء، عونًا لهم، وسدًا لحاجتـهم، وارتفاعًا عن ذل الفقر، ومرارة الحرمـان؟، كيف تطيب الحياة لمسلم آتاه الله بسطة في المال، ووفرة في النعيم، يعيش فيه لنفسه، وإلى جواره إخوان له في الإسلام أضناهم الفـقر، وأكلهم الدهر، من يتامى ومنكوبين، وبؤسـاء وفقراء ومساكين، يمنع عنهم حق الله، ويحتال لإسقاط الزكاة فريضة الله؟.

وفي الحـديث عن الصـادق المصدوق ﷺ أنه قـال: **«إن الله فـرض على أغنيـاء المسلمين في أموالهم، بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم»**، أي: لا يصيب الفقراء الجهد والمشقة إلا ببخل الأغنياء. ألا وإن الله يحاسبهم حسابًا شديدًا، ويعذبهم عذابًا أليمًا. ومصداق ذلك قول الله تبارك وتعالى:

﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ** ﴾ (سورة التوبة: ٣٤-٣٥).

ولقد بلغ من شـؤم مانع الزكاة على مـجتمعـه أنه يكون سببًـا في أن يعم البلاء جميع أفراد مجتمعه بسببه، فقد جاء في حديث طويل: **«ولم يمنع قوم زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا»**.

في ذلك ـ يا عباد الله ـ أبلغ زاجر للنفوس، عن منع الزكاة والبخل بها، والتحيل لإسقاطها، وأعظم واعظ لأدائها، وعدم التفريط في بذلها لمستحقها، طيبة بإخراجها النفوس، مبتـغية من ورائها التنمية والتزكيـة، والتطهير والبركة، متباعـدة بصرفها عن الشح البغيض وغلظة الأكباد، والقسوة على البائس والمحروم والفقير.

فاتـقوا الله عبـاد الله، وأدوا زكاة الأمـوال في مخـتلف أنواعهـا، متى وجـبت بشروطهـا. صِلوا بها الأقربـاء، واعرفوا فيـها حق المسكين والجـار الفقيـر، والسائل المحروم، تكن طهرة لأموالكم، وتزكية لنفوسكم، ورفعـة لدرجاتكم وإسهامًا له قيمته وأثره في إصلاح مجتمعكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله كتب على نفسه الرحمة، ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «ما من صاحب مال لم يؤد زكاته ولم يحج منه إلا سأل الله الرجعة عند موته»، أي: سأل الله الرجعة إلى الدنيا، ليتدارك ما فاته، وما قصر فيه من شرائع الدين. ثم قرأ: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة المنافقون: ١٠-١١).

ألا وصلوا على الهادي البشير، سيدنا محمد أكرم رسول وخير نذير، فقد أمركم بذلك اللطيف الخبير ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦).

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد خير الورى. وارض اللهم عن خلفائه الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أهل الصدق والوفا، وعن سائر الصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واقتفى، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك، يا خير من تجاوز وعفا.

اللهم أعـز الإسلام والمسلمين، اللهم أعـز الإسلام والمسلمين، اللهم أعـز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر اليهود وأعوانهم من المستعمرين. وألف بين قلوب المسلمين، ووحد صفوفهم، وأصلح قادتهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا. واجـعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك، يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألـك من الخير كله مـا علمنا منه وما لم نعلم، ونعـوذ بك من الشر كله مـا علمنا منه ومـا لم نعلم، ونسـألك رضاك والجنة، ونـعوذ بك من سـخطك والنار. اللهم يسر أمـورنا، واشرح صدورنا، واقض حاجـاتنا، ولا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا تهلكنا بما فعل السفـهاء منا، واكفنا شر الفتن، ما ظهر منهـا وما بطن، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٣).

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

عباد الله... ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورةالنحل: ٩٠). فـاذكروا الله علـى نعمـه، واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٢٩ - في الحث على حضور الجمعة

الحمد لله الحكم العدل اللطيف الخبير، أحمده سبحانه، وهو على كل شئ قدير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الخلق والأمر والتدبير، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أكرم رسول وخير بشير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، لقد اختص الله سبحانه بعض الأيام بمزيد من الشرف والتفضيل، فكان لها في النفوس شرف العظيم ورفعة الكريم. ومن تلك الأيام يوم الجمعة، حتى لقد قال عنه رسول الهدى ﷺ: **«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة»**. وقال أيضًا: **«سيد الأيام يوم الجمعة، وأعظمها عند الله تعالى، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى، فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئًا إلا آتاه الله إياه، ما لم يسأل حرامًا»**.

أما هذه الساعة المباركة فقيل: إنها بعد العصر، وقيل: هي ما بين أن يخلص الإمام على المنبر حتى تقضى الصلاة، وقيل غير ذلك مما يستحث العبد على استدامة الذكر، وسؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، في كل ساعات هذا اليوم المبارك.

وقد شرع التجمع في هذا اليوم لسماع الوعظ والتوجيه في شتى اتجاهاته، فمن حث على الفضيلة، ونهي عن الرذيلة، إلى تذكير بالله وأيامه، وجزائه وحسابه، إلى استنهاض للهمم في البذل والتضحية، والجهاد في مختلف طرقه وأساليبه، إلى غير ذلك مما يكون به صلاح المجموع في عاجلته وآجلته.

وشرع أيضًا التبكير إلى الجمعة، لقضاء أكبر وقت ممكن في العبادة، وللقرب من الإمام، حرصًا على استجماع الفكر، وتدبر الذكر واكتناز النفوس لأكبر قدر من التضحية، وبذلك يعظم الأجر. صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر بما استطاع من طهر، ويمس من طيب بيته، ثم يروح إلى المسجد لا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت للإمام إذا تكلم، إلا غفر له من الجمعة إلى الجمعة الأخرى»**.

كما حظر التشاغل عن الإمام، بمس الحصى أو الكلام، أو بأي صارف يصرف عن الاستماع للخطبة. يقول رسول الله ﷺ: **«من قال يوم الجمعة لصاحبه: انصت فقد لغا، ومن لغا فليس له في جمعته تلك شئ»**، وفي رواية: **«ومن مس الحصى فقد لغا»**.

كما يحظر أيضًا إشغال المصلين، وإيذائهم بتخطي الرقاب، لما في ذلك من الاستهانة بحرمة الغير، إلى جانب التأخير عن السعي للجمعة. جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب، فقال له: **«اجلس، فقد آذيت وآنيت»**، أي: أخرت المجئ إلى الجمعة وآذيت الناس بتخطيك لرقابهم.

وإذا كان التأخر عن السعي للجمعة موضع نقد ومؤاخذة في نظر الشرع، فكيف بمن يتركها تهاونًا أو تشاغلاً عنها؟ مخادعًا نفسه بأعذار واهية تافهة ينتحلها، أو يتركها لرحلات ينشئها خاصة في يومها بدعوى الكشف، أو اكتساب معلومات جديدة، لا غرابة أن يكون الوعيد على ذلك شديدًا، وأن تكون العاقبة بالنسبة له مؤلمة مؤسفة، يقول رسول الله ﷺ: **«لينتهين أقوام عن تركهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين»**، وقال أيضًا: **«من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها، طبع الله على قلبه»**، وفي رواية: **«من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كتب من المنافقين»**.
والمراد بالعذر ما رخص فيه الشرع من مرض أو سفر مشروع، وغير ذلك مما هو منصوص عليه.

فاتقوا الله عباد الله، واشهدوا الجمع فهي فريضة فرضها الله عليكم، ولا خير فيمن ترك فريضة الله، وحذار من التهاون بها، أو التشاغل عنها، وقد سمعتم الوعيد الشديد في ذلك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الجمعة: ٩-١٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الولي الحميد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، نبي اصطفاه الله لرسالته، وشرفه على سائر العبيد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **«يا أيها الناس، توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا. واعلموا أن الله فرض عليكم الجمعة من عامي هذا إلى يوم القيامة، فمن تركها تهاونًا بها أو جحودًا، فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له في أمره»**. إلى آخر الحديث. وليس بعد هذا البيان النبوي لواعظ أن يقول شيئًا.

٣٠ - في التحذير من الرشوة والسحت

الحمد لله عالم الغيب والشهادة، أحل الحلال، وحرم الحرام؛ أحمده سبحانه، قسم العباد بعدله إلى شقي اجتاز حدود ربه، وانتهك الحرمات، وسعيد جرى على النهج السديد واتقى الشبهات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غافر الذنب ومقيل العثرات، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين وصاحب العزمات. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك، محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، لقد كان فيما قصه الله علينا في كتابه من أخبار الماضين، في معرض الذم لهم والإنكار عليهم، ما يحمل أرباب العقول على اجتناب طريق الهالكين، والبعد عن مسالك العصاة المفسدين.

وإن ما قصه الله علينا من أخبار أهل الكتاب أنهم سماعون للكذب، أكالون للسحت، والسحت هو الرشوة.

قال ابن مسعود ﷺ: «**هو الرشوة في كل شئ**». وقال أيضًا: «**من يشفع شفاعة ليرد بها حقًا أو يدفع بها ظلمًا، فأهدي إليه فقبل، فهو سحت**». وقال الحسن: «**إنما ذلك في الحكم إذا رشوته - أي الحاكم - ليحقق لك باطلاً، أو يبطل عنك حقًا**». وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ**﴾ (سورة التوبة: ٣٤). أنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم.

وأكل الأموال بالباطل أنواع، ومن أخبث أنواعه الرشوة، وهي - يا عباد الله - حرام في كل صورها وأشكالها سواء كانت في صورة هدية، أو بالطرق الملتوية والأساليب الخفية. وإن المرتشي ليحتال لأكل الرشوة، ويخدع نفسه ليقبضها غنيمة

باردة دون كد وعناء، ولئن خادع نفسه وضللها، فإن الله بصير بالعباد، عظيم لا يخادع، ولا يروج عليه البهرج، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

وإنها - يا عباد الله - مرض اجتماعي فتاك، يفسد الأخلاق، ويسري في الأمة حتى يوردها موارد التلف، وإنها لكبيرة من كبائر الذنوب، ملعون صاحبها على لسان رسول الله ﷺ حيث يقول: «**لعن الله الراشي والمرتشي**»، وفي رواية: «**والرائش**»، وهو الذي يسعى في إيصال الرشوة إلى المرتشي. وعنه ﷺ أنه قال: «**ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة** - أي القحط - **وما من قوم تظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب**».

وحسبكم - يا عباد الله - بكبيرة يستوجب صاحبها الطرد من رحمة الله التي وسعت كل شئ، هذا إلى جانب ما يصيبه من المحق في الدنيا حيث يذهب الحرام بالحلال، فيلاقي المرتشي في دنياه أسوأ الأحوال، وفي الآخرة الحساب والأهوال، فيا لسوء عاقبته في الحال والمآل.

فاتقوا الله - عباد الله - واعتبروا بمن مضى قبلكم من الأمم المحادة لله، والمتعدية لحدود الله، كيف حلت بهم نقمة الله، وكيف توعد الله من سلك سبيلهم، واجترأ على معاصي الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا**﴾ (سورة النساء: ٣١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي العزة شديد العقاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سريع الحساب، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى وأنزل عليه خير كتاب. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث طويل: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس». وإن تعاطي الرشوة والعمل على ترويجها، وإشاعتها بين الناس، وبذلها عن طيب نفس، وقبولها عن رضى وسابق، كل ذلك - يا عباد الله - من الحرام البين الواضح، الذي لا لبس فيه ولا اشتباه.

فأصلحوا - يا عباد الله - الوسائل تصلح لكم الغايات، وارتفعوا بالنفوس عن مزالق الإثم والرذيلة، يرفع الله لكم بذلك الدرجات.

٣١ - في تنوير الأذهان
«لمناسبة الوصية المفتراة على سيد الأنام»

الحـمد لله فـتح لأرباب البصـائر أنوار الهـدى، أحمـده سبـحانه، له مـا في السمـوات وما في الأرض، وما بينهـما وما تحت الثرى. وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـهد أن سيدنا محـمدًا عبده ورسوله نـبي الهدى والشافع المشـفع في كل من وَحَّـد الله واهتدى، اللـهم صل وسلم على عـبدك ورسـولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيـا عبـاد الله، إن من دلائل تفتح أعين الوعي فـي أمة من الأمم، وبلوغها درجـة النضوج، أن تنتفع بمواهبها فـيما خلقت له، وإن من أعظم المواهب: العقل، فـهو أداة التفكير والتـدبير، يهدي بهداية الله إلى الرشـاد، ويوجه إلى طريق الحق والسداد.

وإن الأمة التي لا تنتفع بعقولها أمة فاشلة، تتخبط في ظلمة الجهل، يخلط عليها الحق بالباطل، وتكثر فيـها الأضاليل، وتقوم فيها سـوق للأفاكين المفترين، وذلك من علامـات الساعة، كـما جـاء في الحديث: **«إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم»**. نحذرهم - يا عباد الله - بتـسليط أضواء العلم والمعرفة على ما يعرضونه، واسـتعمال العقول في تدبر وتعقل ما يأتون به، ليظهر الزيف وتنكشف حقيقة الكذب.

وأخطر الكذب الكذب على الله ورسـوله، فهو خطر على الديـن، إذ يلتبس به الحق بالباطل، ومن أجل ذلك كان الوعيد عليه شـديدًا، تنفيرًا منه وترفعًا عن التورط فيه. يقول رسول الله ﷺ: **«من كذب عَلَيَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»**. وبئست النار - يا عباد الله - من قرار.

وإن مما ذاع بين الناس وشاع خبره، وتناقله البعض كقضية مسلمة، لا تستدعي التفكير والتدبير، نشرة مكذوبة على المصطفى ﷺ، على لسان رجل مجهول، تناقلها البعض بألسنتهم، ونشروها بأقلامهم، وخدعوا العامة بتصديقها وكثرة روايتها، ولو أعملوا الفكر قليلاً، وتدبروا أسلوبها، للمسوا طابع الكذب والوضع عليها، ولترفعوا برسول الهدى عن أن ينسبوا إليه وهو سيد الفصحاء والبلغاء أسلوبًا ساقطًا متفككًا. ولو أعملوا الفكر فيها لأيقنوا أن رسول الهدى ﷺ، الذي أدى الأمانة، وبلغ الرسالة أكمل تبليغ، لا يصح في العقول أن يتوسل برجل من الناس، بعد أن التحق بالرفيق الأعلى وانقطع عن الدنيا، ليبلغ عنه وصية ما وينقل عنه خبرًا.

إن الوصية المزعومة ـ يا عباد الله ـ لم تأت بجديد، ولم تشتمل إلا على إنذار العصاة من عذاب الله لو تمادوا في المعاصي.

وإن كتاب الله وسنة رسوله، فيهما من الإنذار والتحذير والترهيب ما فيه الكفاية والمزدجر لمن كتب الله له الهداية.

أما الترهيب والتخويف بالكذب على رسول الله، وأنه تحدث في الوصية المزعومة بأن الشمس سوف تغيب ثلاثة أيام ثم تشرق من المغرب، وأن القرآن يرفع من صدور الرجال، وأن الوصية المزعومة منقولة من لوح القدر، وأن من لم يكتبها ولم يرسلها حرمت عليه الشفاعة، ويسود وجهه في الدنيا ـ أما الترهيب بهذا وأمثاله مما حوته النشرة أو الوصية المزعومة المكذوبة على المصطفى ﷺ، فهو باطل يجب إنكاره والتحذير منه، ولا يجوز تصديقه أو نقله وروايته، ومن عمل على نقله ونشره فهو شريك في رواية الباطل ونشره، شريك في إذاعة الكذب على رسول الله ﷺ.

وإن المجتمع الذي يروج فيه أمثال هذا الإفك، هو مجتمع يعطي البرهان على غفلته، وبعد أفراده عن إشعاع الحق والاهتداء بنوره، فهم ممن ذمهم الله بقوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٩).

لا يفقهون الحق ولا يبصرونه ولا يستمعون إليه، لأنهم انصرفوا عنه إلى الباطل. ولا يجتمع حق وباطل أبدًا، والحق ما أوضحه الله في كتابه، وحيًا على لسان رسوله، قرآنًا كان أو سنة، أو عملاً لخليفة راشد، كما قال رسول الهدى ﷺ: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله»**. وقال: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»**، أما عدا ذلك، مما يطالعنا في أعقاب الزمن، من الفتن والشبه والضلال، ومن الأكاذيب والتكهنات عن أمر الغيب، ومن البدع المضلة والشطحات المردية؛ فهي مما يجب الاحتراز منه والبعد عنه، حرصًا على سلامة الدين، وحذرًا من الخسارة الفادحة فيه. ويا لعظم الخسارة بضياع الدين.

فاتقوا الله عباد الله، واستعملوا عقولكم فيما خلقت له من التدبر والتفكير فلقد امتدح الله أرباب العقول إذ خصهم بالخطاب في محكم الكتاب فقال: ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ (سورة آل عمران: ٧). ﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (سورة يونس: ٢٣). ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (سورة الروم: ٢٤). وأعرضوا عن قول الأفاكين وكذب المضلين، فإن من شر الأمور الكذب وشر الكذب الافتراء على الله وعلى رسول الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ (سورة النحل: ١٠٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله كتب على نفسه الرحمة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يقبل من عباده التوبة، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، نبي أرسله الله رحمة للعالمين، وكشف برسالته عن العباد الغمة. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، فاهتدوا بهديهما، والتمسوا النجاة بالسير على نهجهما، ففيهما الغنية وبهما الكفاية، يقول تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (سورة الأنعام: ٣٨). واعملوا بطاعة ربكم، واجتنبوا معصيته، وتوبوا إليه واستغفروه، فإن باب التوبة مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها، وإن رب العزة أقسم بعزته وجلاله أنه لا يزال يغفر لعباده ما استغفروه.

٣٢ - في الحث على صوم رمضان والبشارة بقدومه والترهيب من فطره

الحمد لله المتفرد بتدبير الأمور وتصريف الأحوال، عالم الغيب والشهادة الكبير المعتال؛ أحمده سبحانه، له الأسماء الحسنى وصفات الكمال. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير خلق الله نهجًا، وأكرمهم خلقًا، فأعظم به من حميد الخصال، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، لئن كان للبشرى خفقة الفرح في القلوب، فإن قلوب المسلمين جميعًا لتحقق فرحًا للبشارة بشهر الصوم المبارك، وتبتهج ببزوغ شمسه في القريب من الأيام، على ربوع الإسلام. ذلك لأنه وافد كريم، يعيد للمسلمين ذكرياتهم السعيدة، ذكريات الصلاح والتقوى، والطهر والعفاف. وشهر مبارك، اجتمع له من المزايا ما لا يجتمع لغيره من الشهور، وحسبه شرفًا أن سماه رسول الهدى: سيد الشهور، وكان يبشر به أصحابه ويقول: **«جاءكم رمضان شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»**. كان السلف - رضوان الله عليهم - يجلونه، ويسألون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، لأنه وقع في نفوسهم أن من بلغه الله رمضان فقد أوتي حظًا وافرًا من الخير.

وإذا كانت النفوس بطبعها ترغب في الحياة، فإن نفوس المؤمنين لتستشرف إلى الفسحة في الأجل، خاصة في رمضان، للاتجار بصالح الأعمال، والتزود فيه بكريم

الفعال، فقد جاء في الحديث: «من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه»، وإنه لفضل سابغ، يغري بالتعلق بالأماني العذبة لتحقيقها في رمضان. أما إذا تبلد الشعور، وفقدت النفوس هذه العاطفة الكريمة، والروح الدينية المخلصة ـ فعندئذ ينعكس الوضع، ويغدو في الناس من يجتري على الله بالفطر في رمضان، دون عذر مبيح للفطر كالمرض، أو رخصة شرعية كالسفر وغيره. وفي هذا الانحراف عن سبيل المؤمنين، والشذوذ عن مسلكهم خسارة يا لها من خسارة، خسارة تبدو واضحة يوم الجزاء، يوم يفرح الصائمون بوعد الله لهم في حسن الجزاء، ويقال لهم: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ (سورة الحاقة: ٢٤). ويوم يقتص الله من المجترئين عليه القصاص العادل، ويقال لهم: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (سورة الأحقاف: ٢٠). وإذا كان الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه امتنع عن كثير من طيبات المآكل والمشارب قائلاً: «إني أخاف أن أكون كالذين قال الله لهم»: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ (سورة الأحقاف: ٢٠). أفلا يجدر بالمجترئين على الله بالفطر في رمضان أن يحذروا ذلك اليوم؟ وأن لا يتعجلوا ما حرم الله عليهم، خشية الحرمان من نعيم الآخرة وطيباتها، وحذار من التلظي بعذاب الجحيم؟. أخرج الترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفطر يوماً من رمضان في غير رخصة رخصها الله له، لم يقض عنه صيام الدهر إن صامه».

فاتقوا الله عباد الله، وأعدوا العدة لاستقبال الوافد الكريم، والشهر المبارك العظيم أعدوا العدة لصيامه والقيام في لياليه، والتنافس في عمل البر والخير فيه، والتعرض لنفحات الرب العظيم في أوقاته، فرب ساعة رضى أدركت العبد فيه نفحة من

نفحات الرب فارتفع بها إلى منازل المقربين، وحذار من التفريط في شهر الصوم والتواني عن صومه وانتحال الأعذار للتحلل من فريضة فرضها الله عليكم، فإن الناقد بصير، والمنتقم هو الجبار، ويا لسوء عاقبة المفرطين، والمخدوعين المتحللين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.



٣٣ - في خطبة في لأسبوع الثاني من رمضان

الحمد لله الكريم الوهاب، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب. أحمده سبحانه، فضل شهر الصوم بمزايا، هي مجال لاستباق الخيرات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له في شهر الصوم نفحات وتجليات، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير من صلى وصام، وجاء بالبينات. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، في زمان القرب يتم الوصال، وفي سويعات الهناء تبلغ الأنفس غاية الآمال. فهلموا يا أحبابنا إلى القرب من الرب الكريم بالطاعة، فقد آن أوان الوصال، يغشاكم الله في هذا الشهر المبارك، فيحط الخطايا، ويستجيب الدعاء.

ينظر إلى تنافسكم في طاعته، فيباهي بكم ملائكته، فنعم الوصل ونعم الواصل، وهنيئًا للصائمين بهذا القرب والوصال، به تبلغ أنفس السعداء مناها وبالعتق من جحيم النيران لمن استوجب النار تصل النفوس غاية مرامها ومبتغاها، وكم وكم لرب العزة في شهر الصوم من نفحات، وكم وكم له فيه من غفران للذنوب، وعظيم التجليات.

ألا وإن من البر - يا عباد الله - ومن أبواب المغفرة والرضوان، أداء الصلوات المكتوبة في جماعة، فصلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة، فإذا كانت في رمضان تضاعفت، كما جاء في الحديث: **«ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه»**.

وإنه - يا عباد الله - لجزاء يغري بالحرص على الجماعات، والتنافس في مضاعفة أجرها، اغتنامًا للفرصة، فقد فاز بالغنم من تضاعفت له الحسنات. وإن من البر وخير العمل الاشتغال بتلاوة القرآن في شهر أنزل فيه القرآن. وليس الغرض مجرد

التلاوة، وإنما الغرض الأسمى: التدبر والعمل، والانتفاع بمواعظ القرآن، فما انتفع بتلاوة القرآن من دأبه مخالفة القرآن، ومجاوزة حدود الله، التي أوضحها القرآن. ولم يأخذ العبرة بما قصه القرآن من أخبار الهالكين والمفسدين، الذين توعد الله أمثالهم من الظالمين بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٠٠).

بل إن في تلاوة القرآن إقامة للحجة على من فرط في أوامر ونواهي القرآن، فمن قرأ نهي القرآن عن الخمر والميسر، وعن الزنى وأكل مال اليتيم، وغير ذلك من كبائر الذنوب، ثم لم يعمل بهذا النهي، ولم يبتعد عن هذه الجرائم، كان خصمًا للقرآن، فالقرآن كما جاء في الحديث: **«حجة لك أو عليك»**.

ألا ـ يا عباد الله ـ وحققوا ما أراد الله منكم بطاعته، في كل ألوان الطاعة، في شهر القرب والطاعة، فالاستغفار الاستغفار، ففي بعض الآثار أن إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله، وبالاستغفار. وقال الحسن: أكثروا من الاستغفار، فإنكم لا تدرون متى تنزل الرحمة.

ألا وجماع الخير تقوى الله، فأوصيكم ونفسي بها، فقد أفلح عبد راقب الله واتقاه، وسارع إلى رضاه، واستجاب لأمره الذي به وصاه، فكان بذلك في عداد المتقين، الذين عناهم الله بقوله في محكم التنزيل إذ يقول:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٣).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله مالك الملك، له الحكم وإليه ترجعون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشراب بالنهار. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، فيشفعان**»، قال العلماء: هذا لمن حفظ صيامه، ومنعه من شهواته، أما من ضيع صيامه، ولم يمنعه مما حرم الله عليه، فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه، ويقال له: «**ضيعك الله كما ضيعتني**»، كما ورد مثل ذلك في الصلاة.

فاحذروا - يا عباد الله - من موجبات الحرمان، واحفظوا صومكم من كل ما يخدشه، ففي ذلك ضمان الأجر والفوز بالمغفرة والرضوان.

٣٤ ـ في خطبة واعظة

الحمد لله مقيل العثار؛ أحمده سبحانه، يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات، وهو الواحد القهار. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، إمام المتقين، وسيد البررة الأخيار. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، موعظة بليغة يتعظ بها المؤمنون، وينزجر بها الخطاؤون المفرطون، رددت في غير ما آية من كتاب الله تعالى لمزيد العظة والزجر ولمراقبة رب العزة في السر والجهر، تلكم ـ يا عباد الله ـ هي الشهادة على المرء بما قدم في دنياه، وما فرط فيه أو قصر. يشهد عليه كتاب أعماله بما سطر فيه الكرام الكاتبون: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (سورة الإسراء: ١٣-١٤). وتشهد عليه جوارحه ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النور: ٢٤). تشهد عليه أرضه التي كان يقترف عليها السيئات: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ (سورة الزلزلة: ١-٥). أي أذن لها أن تخبر بما عمل العاملون عليها، تقول: إن فلانًا صنع عليَّ في يوم كذا، كذا وكذا.

ويحكم ـ يا عباد الله ـ أين المفر؟ كيف يكون المنقلب والمصير؟ وماذا أعددنا لهول الموقف، في يوم تقطع فيه الحجج والمعاذير، ويحاسب فيه العبد على النقير والقطمير؟. ويحكم العدل العليم الخبير.

أين الملجأ - يا عباد الله - ولا ملجأ من الله إلا إليه؟، ولا مفر منه إلا بالاستجابة إليه، والعمل في هذه الدار بطاعته، وأخذ الأهبة للقيام بين يديه، والإخلاص لدينه، واجتناب محارمه، طلبًا للقرب والزلفى إليه، استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله، ما لكم من ملجأ يومئذ، وما لكم من نكير.

ذلكم - يا عباد الله - هو الطريق الوحيد للفرار إلى الله وبلوغ رضاه، هو طريق الجنة، وخير الطرق ما يوصل إلى الجنة، إنها دار الكرامة، يتفيأ ظلالها المتقون، ويرفل في نعيمها المحسنون ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة المرسلات: ٤١-٤٤).

فاتقوا الله عباد الله، والتمسوا طريق الجنة في كل ما يرضي الله، واجتنبوا الزلل وطريق الهالكين، أو ما سمعتم ما قال أحكم الحاكمين: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (سورة القصص: ٥٨). فرحم الله عبدًا تاب وأناب، وأمضى بقية العمر في طاعة الملك العظيم التواب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التحريم: ٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمـد لله عالم السر والنجـوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، النبي العربي المجتبى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عـباد الله، يقول إمام في التابعـين، عند قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النور: ٢٤). يقول: يابن آدم، والله إن عليك لشـهودًا ليـست مـتهـمة من بدنـك، فراقـبهم، واتق الله في سـرك وعلانيتك، فإنه لا يخفى عليه خافـية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية. وفي ذلك - يا عباد الله - مـا يدعو إلى الحذر، وتوقي الزلل، خشيـة أن يفتضح المرء على رؤوس الأشهاد، في يوم يجمع الله فيه الأولين والآخـرين، وتشهد فيه الجوارح على المرء بما قدم من سيئ العمل.

٣٥ ـ في الحث على الإحسان والمراقبة في العشر الأخير من رمضان

الحمد لله باسط العطاء ورب النعماء، أحـمده سبحانه، العظيم في ملكه، العلي على خلقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الخلق لعبادته، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أكرم الخلق والهادي إلى عبادة ربه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيـا عباد الله، إنما تزكـو النفوس، وينصقل جـوهرها، وتبلغ عالي الدرجات، إذا أقبلت عـلى الله، وأطرحت كل ما سواه، واتجهت إليـه بقلوب عامرة بالإيمان، خالية من الشواغل والصوارف. وذلـك هو معنى الإحسان الذي عناه رسول الله ﷺ بقوله: «أن تعـبـد الله كـأنك تراه، فإن لم تـكن تراه فـإنه يراك». وعلى هذا المبدأ العظيم مبدأ الإحسان والمراقبة درج أولياء الله وصالحوا العباد، فكان لهم في كل مسلك إحسان؛ وكـان لهم في كل عمل مراقبة لله، وتوجه إليـه. وكان يتجلى ذلك بشكل أوضح في مواسم العبـادة والطاعة، كالعشر الأخيرة المفـضلة من شهرنا المبارك رمـضان، حـيث كانوا يشـغلون النهار بالصـيـام، ويعمـرون الليل بالقيـام الطويل، والتضرع، وطول البكاء، وسؤال الله المغفرة والرضوان وقبول العمل. ذلك لأنها عشر التجليات والرحـمة والمغفرة والعـتق من النار، وقد كان فيهـا رسول الله ﷺ قدوة السالكين، إذ كـان يحيي ليلها قـائمًا متهـجدًا ذاكرًا لله، وكـان يوقظ أهله للصلاة، ويعتكف فيها للعبادة والانقطاع إلى الله.

ويندب الناس لتحري ليلة القدر فـيها، التي تعدل العبادة فيهـا عبادة ألف شهر، والتي قـال الله عنها أنهـا ليلة مبـاركة، يكثـر تنزل الملائكة فيـها بالرحـمة والبـركة

والسلام، وقال ﷺ في الترغيب في قيامها: **«من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»**.

وحث على طلبها في أفراد العشر فقال: **«تَحرُّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»**، قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: **أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟، قال: قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»**.

فاتقوا الله عباد الله، وزكوا أنفسكم بالإقبال على الله، في ليالي القرب والإقبال، ففي زمان القرب يتم الوصال، وتبلغ الأنفس غاية الآمال. واقتفوا أثر الصالحين في إحياء ليالي هذا العشر المفضل، وخاصة أوتارها، طلبًا لليلة القدر بالقيام والدعاء والابتهال إلى الله، والتوبة النصوح، والتخفيف من الأوزار، فالعاقل الرشيد من انتهز فرص الطاعات، واستبدل السيئات بالحسنات، واستعاض عن القبيح بالباقيات الصالحات. والشقي من فرط في ماضيه، وتمادى في غيه وأمانيه، ولم يتدارك بقية عمره بالتوبة والعمل الصالح الذي يزكيه، ومن عذاب الله ينجيه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)**﴾ (سورة القدر).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله معز من أطاعه ومذل من عصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعد المحسنين خير الجزاء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قام لعبادة الله حتى تفطرت قدماه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، نقل عن بعض العارفين قوله: ما أعظم أحداً سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة، أو قراءة أو إحسان. وكذلك يجب أن يكون العارفون بالله، لهم من الله نور يهديهم إلى صراط الله، ولأرواحهم على أجسادهم هيمة تامة، بحيث لا تسعى إلا إلى رضاء الله بالذكر والصلاة والقراءة والإحسان، كل أولئك من موجبات الزلفى إلى الله والظفر بنعم الله، فالبدار البدار ـ عباد الله ـ إلى العمل بما يرضي الله في ختام شهر الصوم المبارك، والعشر الأخير منه التي فضلها الله. إنكم بذلك تكفرون عن الماضي، وتستقبلون حياة جديدة ترجعون فيها إلى الله، وتنالون أجر المحسنين الذين أحبهم الله ورضي عنهم.

٣٦ - في الحث على استدامة طاعة الله

الحمد لله المعبود في كل زمان، أحمده سبحانه وهو الرحيم الرحمن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد الثقلين من إنس وجان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن في استدامة أمد الطاعة، وفي امتداد زمانها نعيم الصالحين وأمل المحسنين. وليس للطاعة زمن محدود تنتهي بانتهائه، ولا للعبادة أجل معين، بل هي حق لله على العباد، يعمرون به الزمان، ويشغلون به فرص الحياة وسويعات العمر. فالعبد المطيع لله الذي يقطع مرحلة الحياة في عبادة الله، هو من أولياء الله المتقين، الذين وعدهم الله بعظيم الأجر، وسابغ الفضل، حيث يقول وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة المرسلات: ٤١-٤٤).

ولقد كان شهر رمضان المبارك، ميدان تنافس للصالحين بأعمالهم، ومجال تسابق للمحسنين بإحسانهم، وعامل تهذيب للنفوس المؤمنة، روضها على الفضيلة وارتفع بها عن الرذيلة، وأخذت فيه دروسًا للسمو الروحي، والتكمل النفسي، فجانبت كل قبيح، واكتسبت فيه كل هدى ورشاد. فيجب أن تستمر النفوس على نهج الهدى والرشاد كما كانت في رمضان، فنهج الهدى لا يتحدد بزمان، وعبادة الرب وطاعته يجب أن لا تكون قاصرة على رمضان.

قال الحسن البصري - رحمه الله -: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت. ثم قرأ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (سورة الحجر: ٩٩). وقيل لبعض العارفين: إن قومًا يتعبدون ويتهجدون في رمضان، فقال: بئس القوم لا يعرفون لله حقًا إلا في رمضان.

ويجب أن لا تعود النفوس إلى طاعة الشيطان بعد أن حظيت بالقرب والرضى والرضوان في طاعة الرحمن، فالمعصية بعد الطاعة عمى بعد البصيرة، وضلال بعد الهدى. وما أقبح الضلالة بعد الهدى، والعمى بعد البصيرة، يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في تفسير قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢). هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

وقال بعض الواعظين في معرض التذكير والتبصير: يا من أعتقه مولاه من النار، إياك أن تعود بعد أن صرت حرًا إلى رق الأوزار، أيبعدك مولاك من النار، وأنت تقرب منها؟ ينقذك منها، وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها؟.

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وحذار من المعصية بعد الطاعة، ومن الضلالة بعد الهدى، وإن زلت بكم الأقدام، فأتبعوا السيئة بالحسنة تمحها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة هود: ١١٤-١١٥). نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المتفرد في علاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، النبي العربي الذي اختاره الله لرسالته واصطفاه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، يقول بعض العارفين: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة على رد الحسنة وعدم قبولها. فتابعوا - يا عباد الله - فعل الحسنات يمح الله لكم بها الخطيئات.

٣٧ - في الحث على الصدقة والبر والصلة

الحمد لله الحكيم العليم. أحمده سبحانه، شرع لعباده من الدين ما فيه الصلاح والخير العميم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب النهج القويم والخلق العظيم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، أرأيتم البناء الشامخ ثابت الأركان، معزز الجوانب، لا تزعزعه الأعاصير، ولا تؤثر فيه المعاول، قد ضمن لأهله كل ما ينتفعون به ويحتاجون إليه، إنه مثل للإسلام في رفعته، وفي ثباته أمام أعاصير الفتن ومعاول المبادئ الهدامة، مثل للإسلام في ضمانه كل ما يصلح المسلمين دينًا ودنيا. كيف لا وهو الدين الذي رضيه الحكيم العليم لعباده ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (سورة المائدة: ٣).

عالج الإسلام مشاكل الإنسانية، ووضع حلاً لكل مشكلة، وفي جملة ما عالجه مشكلة الفقر، حيث اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون في الناس أغنياء وفقراء، فجعل الأغنياء كحراس للمال مستخلفين فيه، يردون أموالهم على الفقراء إخوانهم، كما قال تعالى: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (سورة الحديد: ٧). في صورة زكاة مفروضة بشروطها، كما قال تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (سورة الذاريات: ١٩). أو نافلة في صورة تبرع فوق الزكاة، رغب فيه الشرع وحث عليه وأنزله منزلة القرض، إيذانًا بضرورة الوفاء به، قال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (سورة الحديد: ١١). وبذلك أوجد الإسلام حلاً عادلاً لهذه المشكلة دون أن يترك الفرصة لمتشدق ينال من الإسلام، أو مفتون يفاخر بمبدأ هو حثالة تفكير قاصر، لا يحقق سعادة، ولا يقوم على أساس من العدل في حفظ التوازن بين غني وفقير.

وإذا كان في المسلمين من لا يستجيب لتعاليم دينه، فلا يخرج زكاة أمواله، ولا يرغب في أن يقرض الله قرضًا حسنًا بالإحسان إلى خلقه، فليس الذنب ذنب الإسلام، وإنما الذنب ذنب المسلم الذي يرى مناظر البؤس والفقر تعرض له، فلا يسعف بائسًا ولا يخفف ألم الفقر عن فقير، بل يصعر خده ويشمخ لأنفه، المسلم الذي رسم له رسول الإسلام مبدأ الإحسان والصدقة والمعروف والبر والصلة، بمثل ما جاء في الحديث القدسي: «يابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك». بمثل قوله ﷺ: «ما نقص مال من صدقة»، وبقوله: «من كان له فضل ظهر» - أي من كان له مركب زائد عن حاجته - «فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له».

وذكر رسول الله ﷺ أصنافًا من المال، حتى ظن الصحابة أن لا حق لأحد في فضل من المال يحتجزه. وكقوله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»، وقوله: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»، وأشار بالسبابة والوسطى. ورسم رسول الهدى هذا المبدأ للمسلم إلى جانب ما شرع الله له من العبادات والطاعات والمعاملات، فكان موقف البعض من ذلك موقف الشحيح، يقول: مالي ورثته عن آبائي، أو تحصلت عليه بكدي وفطنتي، ولم يجعل فيه حظًا لبائس أو قسطًا لفقير.

فاتقوا الله عباد الله، فإن الإسلام قول يؤيده العمل، وابتغوا ما عند الله من الأجر ورفيع الدرجات بالإحسان إلى خلقه، وما عند الله خير وأبقى، ورب صدقة تقبلها الله فكانت سببًا في عفو الله وبلوغ رضوانه، ورب صنيع معروف خلد الذكر، وكان لصاحبه وقاية من مصارع السوء.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٤).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ولي النعم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نبي الهدى، الموصوف بجميل الشمائل والكرم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من تصدق بعدل تمرة** - أي: بقيمتها - **من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه** - أي فرسه الصغير - **حتى تكون مثل الجبل»**.

وإنه - يا عباد الله - لجزاء عظيم، وفضل سابغ من الرب الكريم، أحسن العبد في الدنيا إلى العباد، فجزاه الله بالإحسان إحسانًا، ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ (سورة الرحمن: ٦٠).

٣٨ - في الحث على التسابق في الأعمال الصالحة والتذكير بيوم الجزاء

الحمد لله الملك الديان؛ أحمده سبحانه، هو القائم بين عباده بالقسط، وهو خير الحاكمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن أعظم وسيلة لتشجيع العاملين، وحفز همم المتقاعسين هي المجازاة على الأعمال، إن خيرًا فبالإحسان والجائزة، وإن شرًا فبالنقمة وعسير المؤاخذة، ليزيد المحسن في إحسانه، ويقلع المسئ عن إساءته، هذه الحياة الدنيا جعلها الله حلبة سباق، وميدان تنافس في الأعمال الصالحة وحدد تعالى يوم الجزاء عليها، وحذر منه العباد وتوعد به، وخوف من شره والاقتصاص العادل فيه، وأجمل وفصل، وكان في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٨١).

أجل! ذلك هو يوم المعاد، هو يوم كشف السرائر وإعلان المخبآت والمكنونات من دخائل الصدور، وخبايا الأنفس. يوم توضع موازين العدل، ويحاسب العبد فيه على النقير والقطمير. يوم تعنو وجوه العباد للحي القيوم، وتذل أعناق الجبابرة للفرد الصمد ذي الجلال والعظمة، فيخاطبهم بقوله: «أنا الملك أنا الديان لمن الملك اليوم؟، لله الواحد القهار. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت، لا ظلم اليوم، إن الله سريع الحساب»، يوم تسقط كل القيم والمقاييس، وتزول الفوارق، إلا قيمة التقوى، ومعيار العمل المبرور، وفوارق الباقيات الصالحات مما كان قد أسلفه العبد، وأعده ليومه، يوم

يتنكر الخليل لخلِّه، والحبيب لحبِّه، والقريب لأقرب الناس إليه، وأعزهم عليه، وأرفعهم منزلة عنده ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (سورة عبس: ٣٤-٣٧) . يوم تنعدم الوساطات، وتتلاشى المحسوبيات والزعامات والحزبيات، وتضمحل الشخصيات، ولا يسأل حميم حميمًا ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ١٠١-١٠٣) .

ذلك اليوم الموعود المرتقب ـ يا عباد الله ـ خير حافز على التكمل وتزكية النفوس، وتنبيه عواطف الخير، والاستجابة لداعي الحق، والكف عن الاندفاع وراء مغريات اللذة المحرمة، وعوامل الفتنة ونوازع الشر. فالتاجر في متجره، والصانع في صنعته، والزارع في مزرعته، والقاضي على منصة حكمه، والموظف في مكتبه، وكل من يؤمن بالله واليوم الآخر، يجب أن يذكر يوم الجزاء الصارم، والقصاص العادل، ليأخذ الكل منهم حذره، وليتزودوا بحظ وافر من التقوى، فإن خير الزاد التقوى. وليعدّوا العدة لمناقشة الحساب ﴿ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٨١) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٤٧) .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٣٩ - في كبائر اللسان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أدى الرسالة وبلغ البلاغ المبين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، توجيه نبوي كريم، وجه به رسول الهدى ﷺ صاحبه معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو في الواقع توجيه لكل فرد في الأمة الإسلامية، إذ يرسم به الرسول الكريم طريق السلامة في الحياتين، ويرشد به إلى الفلاح والسعادة في الدارين.

يقول معاذ رضي الله عنه في حديث طويل: **أخذ رسول الله ﷺ بلسانه وقال: «كف عليك هذا»، قلت، يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟، قال: «ثَكِلَتك امك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم».**

أجل، إن عثرات اللسان وسقطاته لمما يورد المرء موارد الهلاك، وليس لعثرات اللسان - يا عباد الله - حد أو ضابط تنحصر فيه، وإنما هي ألوان وألوان، منها ما أنكره الناس منذ القدم تمشيًا مع تعاليم الدين، وتجنبًا لسبل الخاطئين، وذلك كالغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور، وما إلى ذلك من كبائر الذنوب.

ومنها ما تورط فيه البعض من الناس في هذا الزمن وتمادوا فيه، إما جهلاً أو استهتارًا، وذلك كَسَبٍّ الدين، ولعن شريعة سيد المرسلين. أو كالاستهزاء بشئ من الشريعة، كمن يستهزئون بالصلاة، أو يسخرون بالمصلين، سواء كانوا في ذلك جادين أو هازلين، ليضحكوا الضاحكين، وليدخلوا السرور على المتعاظمين.

وكل ذلك ـ يا عباد الله ـ كفر بعد الإيمان، وردة عن الإسلام، كما أخبر الله في كتابه حيث أعلن كفر جماعة سخروا في خلوتهم بالرسول وصحبه، وأطلقوا فيهم الألسنة بالإثم، ثم اعتذروا عن ذلك قائلين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (سورة التوبة: ٦٥-٦٦). ألا وإن من كبائر الذنوب قذف المسلم، ورميه بالفجور بأمه أو أخته. وهذه الظاهرة إن دلت على شيء فإنما تدل على سقوط المجتمع وتدهوره وانحلال أفراده، فهل يروق ذلك لأرباب العقول السليمة، الضمائر اليقظة؟.

ألا ـ يا عباد الله ـ اتقوا الله، ونزهوا الألسنة عن كل ما يغضب الله، وهبوا يا أرباب الشهامة والغيرة لقمع الجاهلين، والأخذ على أيدي المستهترين، الذين يجاهرون بسبِّ الملة، أو الذين يهزلون بشعائر الدين، أو يقذفون المؤمنين. ففي ذلك صلاح المجتمع وقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أوجبه الله على المسلمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة المائدة: ٧٨-٧٩).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب كل شئ ومليكه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير عباد الله هدى، فأكرم بنهجه وتوجيهه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر للسان** - أي: تذل وتخضع له - **وتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**». ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا على أبي بكر الصديق وهو يجذب لسانه، فقال عمر: **مه، يغفر الله لك**، فقال أبو بكر: «**إن هذا أوردني الموارد**».

وفي ذلك - يا عباد الله - ما يدفع إلى أخذ الحذر من اللسان، واستخدامه في النافع، كذكر الله، وقراءة القرآن، وبذل النصيحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من أبواب الخير، أو إلزامه بالصمت كما جاء في الحديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت**».

٤٠ ـ في الحث على التحلي بالدين والخلق القويم وبيان المجتمع الصالح والمريض

الحمد لله العظيم المنان، أحمده سبحانه، هو الحليم فلا يعجل بالعقوبة على العصيان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله، جاء بالهدى والدين والخلق القويم، وهدى العالمين، إلى صراط الملك الديان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، خير ما يتحلى به المرء دين متين وخلق قويم، فالدين يهدي إلى الرشد وإلى طريق مستقيم، وإن من الرشد وسبيل الله المستقيم التزام فرائض الله التي افترضها على العباد إيمانًا وعملاً، وترك جميع ما نهى الله عنه تقربًا إليه وإجلالاً. يوضح ذلك قول الرسول الأمين ﷺ: **«إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها»**. وقوله ﷺ لمن سأله قائلاً: **قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. قل: «آمنت بالله ثم استقم»**. فالإيمان بالله يقتضي التزام جميع فرائض الله، والاستقامة تستوجب ملازمة الطريق السوي، والثبات على فعل المأمور وترك المحظور والمنكور. قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة هود: ١١٢). والخلق القويم يصور الاستقامة في أعلى ذُرَاها، فليست الاستقامة غير خلق قويم يستمد مناهجه من وحي الدين وسنن الصالحين.

والمجتمع الذي يتبارى أفراده في الاهتداء بنور الدين، والعمل بشعائره، والتحلي بالخلق القويم، هو المجتمع الرفيع الراشد السعيد، هو ـ يا عباد الله ـ المجتمع الذي كتب الله له العزة، ووعد أفراده بالخلافة في الأرض لصلاحهم، كما استخلف

الصالحين من أسلافهم، وبأن يمكن لهم في البلاد حتى يظهر دينهم، وحتى يعم الصلاح بدعوتهم ويقطع بهم دابر الفساد ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ (سورة النور: ٥٥).

وعلى العكس من هذا المجتمع السعيد، مجتمع فاشل مريض، تمادى المفسدون فيه بطغيانهم، وانتكست فيه الأوضاع، فأصبح المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، أصبح التدين فيه والاستقامة رجعية، وغدا التحلل من الدين والخلق القويم انطلاقة وحرية.

ألا بئست الانطلاقة وبئست الحرية، فشرب الخمور التي سماها رسول الهدى: أم الخبائث، والخطوات السريعة نحو السفور، وبمعنى أصرح خروج النساء إلى مجامع الرجال، ومزاحمتهن لهم بالأكتاف، متبرجات مستعطرات، بالجوارب الشفافة أو بغير جوارب، وبالثياب القصيرة التي تكشف عن السيقان والنحور، ثم الخلاعات والصور القذرة التي ترسمها الأفلام السينمائية على الشاشة، ويجتمع لرؤيتها في الأفراح وغير الأفراح: الولد إلى جانب أبيه، وينظر إليها الرجال والنساء وكأنها شيء مألوف، ثم الدعارة المكشوفة التي تحكيها الصحف والمجلات الرخيصة باسم القصة، وتحت ستار الترفيه، فيقرأها الشباب، ويتلقى منها دروسًا في الإباحية والسقوط، وكل خبائث الغرب وأقذاره، يحتضنها المجتمع المريض تقليدًا دون وعي، واندفاعًا وراء الجديد والتجديد، ويزعم أنها مدنية، وما هي في الواقع إلا سلسلة من الإجرام، وحلقة من الذنوب، تجر على البلاد والعباد المصائب والدمار، كما جاء بذلك الحديث عن الصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه - يقول: «ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوها، إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم». وفي حديث آخر: «إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده». ومصداق ذلك قول العليم الخبير: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (سورة الشورى: ٣٠).

غير أن لكل داء دواء، ودواء المجتمع المريض التضافر على شفائه من علته، ولن يتم ذلك إلا بإقامة دعائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا عن طريق السلطة المختصة فحسب، بل وعن طريق العلماء والوعاظ في مجامع الناس، وعن طريق الآباء في توجيههم لأبنائهم، وعن طريق الأساتذة والمربين في مدارسهم، وعن طريق الأدباء والكتاب في صحفهم ومجلاتهم، وبهذا التضافر والتساند يبرأ المريض ـ إن شاء الله ـ وتزول العلة بإذن الله، ويصلح المجتمع بتوفيق الله.

فاتقوا الله عباد الله، وتحلوا بالخلق القويم، ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر استجابة لأمر رب العالمين حيث يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٤).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، إمام النبيين وخاتم المرسلين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فيا عباد الله، جاء في بعض الآثار: إن الرب عز وجل قال في بعض ما يقوله لبني إسرائيل: «إني إذا أُطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية. وإذا عُصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الولد». فكونوا ـ يا عباد الله ـ ممن أطاع الله فرضي عنه وبارك فيه، وحذار أن تكونوا ممن عصاه فغضب عليه، فكان من الهالكين.

٤١ ـ في الوعظ

الحمد لله مدبر الأكوان؛ أحمده سبحانه هو الرب الجليل عظيم الشان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الهادي إلى صراط الملك الديان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، ألم تروا إلى الجديد كيف تبلى جدته، ويفنى بهاؤه ورونقه، وكأنه لم يكن يومًا بهجة للناظر ونزهة للخاطر. إنه مثل لكل متع الحياة ومباهجها وزخرفها. بالأمس القريب كان عيد وكان جديد، ذهب العيد وسوف يبلى الجديد. هكذا زهرة الدنيا وزينتها إذ تتمثل في الملبس الناعم، والأثاث الفاخر، والفراش الوثير، وفي التكاثر بالأموال والتباهي بالأولاد، ثم لا يلبث ذلك أن يفنى ويبيد، ويغدو حلمًا من الأحلام، وأقصوصة الزمان؛ وصدق رب العزة إذ يقول: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ (سورة الحديد: ٢٠). وليس بعد الحطام إلا التلاشي والاضمحلال.

والمرء في دنياه، وفي أنسه بنضارة عيشه وزينة جديدة، كالزرع في نضرته وطيب نباته، كلاهما سوف تزوى زهرته وتذبل نضارته، فأما الزرع فمصيره إلى التهشم والتحطيم، وأما المرء فمصيره إلى البلى، ثم إلى ما قصه الله في محكم التنزيل، عن مصيره في الحياة الأخرى حيث يقول: ﴿ وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (سورة الحديد: ٢٠). أي: أعده الله للظالمين الكافرين ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ (سورة الحديد: ٢٠). ضمنهما الله لأوليائه وأهل طاعته، فالعاقل الرشيد ـ يا عباد الله ـ من آثر ما يبقى على ما

يفنى، وباع جديدًا فانيًا بنعـيم كتب له البقاء والخلود، ولم يركن إلى الزهرة الذاوية، أو يغتر بدار الغرور ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (سورة الحديد: ٢٠).

خطب الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه فقال: **إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها. إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية، فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله.**

فاتقوا الله عباد الله، واسلكوا في دنياكم خير نهج يوصلكم إلى الله، واذكروا على الدوام المصير المحتوم، اذكروا القبر والبلى، والوحشة تحت أطباق الثرى، ومفارقة كل قريب وحبيب، والتجرد عن كل جديد وطارف وتليد، واذكروا البعث ويوم الحساب، يوم يحاسب العبد على النقير والقطمير، ويجزى بما قدمت يداه، ولا ينفع حميم حميمًا إلا من رحمه مولاه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ (سورة الكهف: ٤٥-٤٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٤٢ - في الحث على العمل بالعلم ومجانبة سبل المنحرفين

الحمد لله رب كل شئ ومليكه، لا إله إلا هو إليه المصير.

أحمده سبحانه وتعالى، له الملك وله الحمد، وهو على كل شئ قدير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رفع العباد بعضهم فوق بعض درجات، وفضلهم بالعلم، فالعلم سراج منير؛ وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل رسول، وأكرم بشير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، أرأيتم الحنظل كيف تبدو وكأنها فاكهة مستطرفة، يغتر الناظر بمنظرها، فإذا ما اختبرها وجد المر والعلقم، إنها - يا عباد الله - مثل للمتعلم الذي لا ينتفع بعلمه، يراه الرائي فيعجبه مظهره وحديثه، وحسن ملبسه ولطف معشره، فإذا ما عركه واختبر دخيلته تكشف له مخبر يخالف المظهر.

لقد عهد الناس متعلمين يعتزون بدينهم، ويفخرون بمكارم الأخلاق، وبمعالم الفضيلة، منصوبة في الطريق للهداية والإرشاد. يخوضون غمار الحياة بدين لا تزعزعه أعاصير الأضاليل والشبهات، ولا تؤثر فيه ريح الزيغ والإلحاد والترهات، وبأخلاق لا تغيرها الفتن والمغريات، ولا تفسدها الخلاعات والبهرجات.

ولكن الجماعة الإسلامية في الزمن الأخير مُنِيت بمتعلمين من نوع غير الذي ألفته وعرفته. منيت بمتعلمين يوجد في الجهلة والعوام من هو أرسخ منهم إيمانًا، وأمتن عقيدة وأكثر تصلبًا في الدين، وإقامة الشعائر.

فـفي العـوام من يؤمن إيمانًا ثابتًـا لا يتـزعـزع، بأن له ربًا رباه بنعـمـه، وخلق السموات والأرض، يحيي ويميت، بيده مقاليد الأمـور، فهو يعبده عن إيمان وعقيدة، بينمـا يوجـد في طبـقـة المتـعلمين من ينـكر وجـود هذا الرب العظيم، ويردد قـول الجاهلين، ويحكي عقيـدة الفلاسفة الدهريين ﴿ مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ (سورة الجاثية: ٢٤).

وفي العوام من لا يخل بفريضة فرضـها الله عليه، من صلاة أو صوم أو زكاة أو غير ذلك، بينما يلاحظ في بعض المتعلمين من يتكبر عن السجود لله ربه وإلهه قائلاً: إنها رجعية من بقايا العصور القديمة. ويقول عن الصوم: إنه تقليد ترفضه الطباع لما فيه من تعذيب النفس وإجهادها. ويقول عن الزكاة: إنها ضريبة ليس لها من مبرر، فالمال مالي، ورثته عن آبائي، أو حصلت عليه بكدي، فلي وحدي حق التصرف فيه.

إنها ـ يا عباد الله ـ أقوال تناهض الدين، إنها ارتكاس في العقيدة، وإلحاد سافر، تنفر منه نفـوس المسلمين، إنها الردة الصريحـة عن الإسلام ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٢١٧).

ثم في باب المكارم والفـضائل المأمور بهـا شرعًـا، يوجد في العـوام من يصبح ويمسي، يقبل يدي والديه، ويـستجيب لأمـرهما، مهـما كلفه ذلك من جـهد وعناء ومشقة، تنفيذًا لأمـر الله ووصيته بهما ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (سورة الاسراء: ٢٣-٢٤)، وقيامًا بما يفرضه الواجب الإنساني نحو رد الجميل، فكم شقي الوالدان ليسعدا ولدهما، وكم جاعا ليشبعاه، وكم تجرعا الغصص والمتـاعب ليمهـدا له طريق الفلاح والنجـاح. بينما يوجد فـي المتعلمين من ينتهر والديه، بل ويضربهـما وكأنهما مملوكان لديه، ويتضايق من حـديثهما، بدعوى

أنهما متأخران، وأن عقليتهما قديمة، وهو المثقف البارز والأديب اللامع، صاحب الفكر المستقل، والقلم السيال.

وفي العوام من يغار على محارمه من الشمس أن تطلع عليهن، ومن النور أن ينفذ إليهن، بينما يوجد في المتعلمين، من يسمون بمجددين، يوجد فيهم من يشجع على الإثم والرذيلة، ويعرض محارمه للفتنة، فيسمح لهن بمقابلة أصدقائه والجلوس إليهم، ومطارحتهم الحديث أشكالاً وألوانًا.

فهل هذه ثمار العلم يا أهل العلم والبصائر، ويا رواد الطريق وحملة المشاعل؟ إن متعلمًا تكون هذه ثمار تعليمه هو كالحنظلة يثمر ثمرًا لا ينتفع به، إنه يثمر المر والعلقم، وينتج عن هذه الثمرة فساد المجتمع وتدهوره وسقوطه.

أولئك - يا عباد الله - ممن قال الله فيهم: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ (سورة الكهف:١٠٣-١٠٤). وقد نهى الله عن سلوك سبيلهم، وحذر من الاستجابة لنزعاتهم، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ (سورة الكهف:٢٨).

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا مسالك الهالكين، وابتعدوا عن متابعة المنحرفين والمخدوعين، وتأسوا بالصالحين، وليكن هدفكم من العلم والتعليم إرادة الخير ونفع المسلمين، وتهذيب النفوس، والتخلق بأخلاق الدين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (سورة هود:١٥-١٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الانسان من سلالة من طين؛ وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أتم الله برسالته الدين. اللهم صل وسلم على عبدك رسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، جاء عن بعض العارفين قوله: من علامات السعادة والفلاح أن العبد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته، وكلما زيد في عمله، زيد في خوفه وحذره. ومن علامات الشقاء أنه كلما زيد في علمه زيد في كبره وتيهه، وكلما زيد في عمله زيد في فخره واحتقاره للناس، وإعجابه بنفسه. فكونوا - يا عباد الله - ممن رفعهم الله بالعلم فتواضعوا للناس، فنفعوا وانتفعوا به، فكان مثلهم كالأترجة، طيبة الريح والطعم، ولا تكونوا ممن زين لهم الشيطان الكبر والتيه بعلمهم، والفخر والإعجاب بأنفسهم، فضلوا عن سواء السبيل.

٤٣ - في الغيرة على الأعراض

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون. أحمده سبحانه، كل الخلائق بين يديه موقوفون ومحاسبون ومجزيون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تنزه عما يقول الظالمون، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وخليله الصادق المأمون. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، في ظلال الفضيلة منعة وأمان، وفي مهاوي الرذيلة بلبلة وذلة وهوان؛ وكم للفضيلة من حصن امتنع به أولو البصائر، فكان لهم خير ملاذ، وكانوا بذلك محسنين؛ وكم للرذيلة من صرعى تردوا في مهالكها، وتخبطوا في ظلماتها، فأعقبهم ذلك حسرة، وكانوا بذلك ظالمين.

أتى النبي ﷺ شاب وقال: **يا رسول الله، ائذن لي في الزنى، فأقبل عليه الناس يزجرونه، وأدنى رسول الله ﷺ مجلسه منه، وأخذ يناقشه في طلبه، ويقول: «أتحبه لأمك؟»، قال: لا والله، جعلني الله فداك، ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: «أفتحبه لابنتك؟»، قال: لا، ولا الناس يحبونه لبناتهم. وأخذ رسول الله ﷺ يستعرض له المحارم ويقول: «أفتحبه لأختك، لعمتك، لخالتك؟»، ويجيبه الشاب بالنفي.** حتى أقنعه ﷺ بخطئه، وأفهمه أن الغيرة التي يجدها في نفسه على محارمه يجدها كل الناس في أنفسهم على محارمهم، ولن يرضى أصحاب الشهامة والغيرة بحال من الأحوال أن تخدش أعراضهم، أو أن يوطأ شرفهم.

ومعنى ذلك أن الغيرة غريزة من الغرائز، وطبع ركبت عليه النفوس البشرية، وأن من فقد هذه الغريزة فقد تبلد إحساسه، وارتكس طبعه. ولهذا كان الوعيد له شديدًا، ليزجره، وليحيي في نفسه ما فقده من إحساسه وغيرته، يقول رسول الله ﷺ:

«ثلاثة لا يدخلون الجنة»، وعد منهم الديوث ـ وهو المتبلد الإحساس، فاقد الغيرة، الذي لا يبالي بمن دخل على أهله.

وإن من مظاهر فقد الغيرة، السماح للنساء بغشيان الأسواق، والخروج متبرجات متعطرات متبخترات غير مستترات، ولا محتشمات، دون اكتراث بما يصيبهن من الفتنة، وارتفاع الأنظار إليهن، ومخاطبة الأجانب لهن.

وإن النساء ـ يا عباد الله ـ كما وصفهن رسول الهدى: ناقصات عقل ودين، ونقص العقل مظنة التقصير والتفريط، وقصر النظر يدفع صاحبه إلى الانسياق بالعاطفة دون تحكيم العقل، وإلى تحقيق الرغبة الجامحة. فإذا تلوث العرض، واستبيح سياج الشرف، ندم المفرط فاقد الغيرة، لأنه مهد للجريمة بتفريطه، وتبلد إحساسه، وهيهات أن ينفع الندم بعد السقوط.

ألا ـ يا عباد الله ـ اتقوا الله، فإن أعظم فتنة كانت سببًا في هلاك بني إسرائيل هي فتنة النساء، ومن أجل ذلك أوصى رسول الله ﷺ باتقائهن، وقرن الوصية في ذلك بالوصية في اتقاء الدنيا لتشابه الفتنة بهما، فقال: **«ألا فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء»**.

فيا أولي البصائر والعقول من أتباع دين المصطفى ﷺ، هذه وصية نبيكم، فأين أين المستجيب؟ ويا أصحاب الغيرة، وحماة الأخلاق؛ إن المرأة في كل اتجاهاتها عورة، وإكرام العورة سترها، وصون مباهجها، ففي ذلك حفظ لشرفها، وإبقاء عليها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الأنفال: ٢٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المطلع على الضمائر والسرائر. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، نبي الهدى وقاطع كل مبطل فاجر. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: **«العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»**.

فأصلحوا - يا عباد الله - الوسائل، تسلم لكم الغايات. واصقلوا جوهر النفوس بالتوبة الصادقة، فالتوبة تمحو السيئات، وارتفعوا عن مزالق الإثم والرذيلة، يرفع الله لكم الدرجات.

٤٤ - في صفات المتقين

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، أحمده سبحانه، لا يسأل عما يفعل، وكل الخلائق بين يديه موقوفون ومسؤولون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعالى عما يشركون، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أقام منار الحق فاهتدى به السالكون، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، صلاح المرء وفلاحه، وفوزه وسعادته، يتوقف ذلك على مبلغ إيمانه بالله، وتصديقه بالغيب، وأخذه بتعاليم دينه، والعمل بطاعة ربه.

ذلك هو سبيل المتقين، الذين وصفهم الله في محكم كتابه بخير ما يعملون، وأحسن ما يكسبون. وأخبر أنهم على هدى من ربهم، وأنهم هم المفلحون. وإن من إيمانهم بالغيب تصديقهم بأقدار الله في بلاده وعباده، وقضائه النافذ خيره وشره، لا يرتابون في ذلك ارتياب المتزندقين الملحدين، الذين لا يصدقون إلا بالمشاهد والمحسوس، يقولون عن القدر: إنه خرافة مزعومة، فيكذبون القرآن، ويضللون أصحاب العقول الضعيفة. ألا بئس ما يقولون وما يصفون، وسحقًا لقوم لا يؤمنون.

وإن من خير ما اتصف به المتقون إقامتهم للصلاة المكتوبة دون كسل أو تهاون بها؛ فضلاً عن الهزء منها والسخرية بأهلها. ومن خير ما اتصفوا به الإنفاق في أوجه الخير، وفي طليعة ذلك الزكاة المفروضة، لا يتبرمون من إخراجها، أو يحتالون في إسقاطها. ومن خير ما اتصفوا به إيمانهم بكل ما أنزل الله على رسوله من القرآن والدين، وبما أنزله الله على الرسل قبله، وتصديقهم بالدار الآخرة، دار الجزاء على الأعمال، حيث توزن بميزان العدل ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ١٠٢-١٠٣).

تلكم ـ يا عبـاد الله ـ هي صفات المتقين، الذين كتب الله لهـم الهداية والفلاح، فكانوا بذلك فائزين.

فاتقوا الله عـباد الله، وكونوا على نهجـهم سائرين. فالسعيـد من بلغ الغاية في اتباع سبـيل المؤمنين، والشقي من تشعبت به السـبل، وانقطعت به دون الوصول إلى الغـاية، فندم على الانصراف والتـفريـط يوم كسب الجـوائز، وهيهـات أن ينفع ندم المنحرفين المفرطين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة البقرة: ١-٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كـتابه. أقول قولي هذا، وأستـغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الجليـل العظيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الحوض المورود، والمقام العظيم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله؛، إن الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة المكتوبة وإيتاء الزكاة الواجبة، والتـصديق بشرائع الله، والإيمان بالدار الآخرة، كل أولئك لا يستقـيم العبد إلا بها، وهي عنوان السعـادة وعوامل الفلاح، فلا يصدنكم عنهـا دعاة الباطل، ولا يصرفنكم عن الأخـذ بها زخرف القـول وتنميق الحديث، فـالباطل زيف، ولا يلبث الزيف أن ينكشف.

٤٥ ـ في الوعظ والتذكير

الحمد لله غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الوهاب، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أكرم رسول أنزل الله عليه الكتاب، وهزم له الأحزاب. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، ما أكثر العبر وأقل الاعتبار، كلمة حصيفة خالدة، لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، حفظتها الأجيال، وهي جديرة بأن تنقش على صفحات القلوب. أجل، ما أكثر العبر، وأقل الاعتبار. كم لنا في المقابر من أحبة محظوظين، كانوا صدور المجالس، وأصدقاء مقربين، كانوا بعد الله عونًا على النوائب، وأبناء مدللين، كانوا بهجة للناظرين، ورياحين للغادين والرائحين، صرعهم الموت بجحافله، فوسدناهم التراب، وأسلمناهم إلى ظلمة القبور، وبكينا عليهم بدموع الحزن والأسى، وصعدنا الزفرات، ثم لم نلبث أن تناسينا الفاجعة، ولم يكن لنا من ورائها عظة ولا عبرة، ألا ما أكثر العبر وأقل الاعتبار.

كم لحظنا المحن والمشاكل تتنوع وتتفاقم، والأمراض لم يعهد لها في الماضين قبلنا مثيل ولا نظير، تجرعنا غصصها، وشربنا المر منها، فأقضت منا المضاجع ونغصت ناعم الحياة، ولم يكن لذلك فينا عظة ولا عبرة.

ألا ما أكثر العبر، وأقل الاعتبار.

كم شكونا القحط وجدب الديار، وغلاء المؤن والأرزاق، والبؤس والشدائد ألوانًا، ثم لا يكون لنا بعدها توجه إلى الله، ولا نأخذ عظة ولا عبرة، ألا ما أكثر العبر، وأقل الاعتبار.

إنها الغـفلة ـ يا عباد الله ـ فـحذار منها حذار، إنهـا نتيجـة للذنوب والمعاصي، فألجموا النفوس عنها، وإلا فقد حل البوار.

حدث زلزال في المدينة فـي عهد أميـر المؤمنين عمـر بن الخطاب رضي الله عنه، فخطب الناس وتوعدهم بقوله: «لئن حدث ثانية، لا أساكنكم فيها أبدًا». وما ذاك إلا لتخوف أمير المؤمنين من الذنوب، وما تجره من ويلات ومـحن ومصائب. فما نزل ضر وبلاء وشدة إلا بسبب الذنوب، وتنوع أسـاليب المعاصي. وكلما أحدث العبـد ذنبًا أحدث الله له عقـوبة تتنوع وتتشكل حسب عظم الذنب وضـخامة الجرم. روي عن العـباس رضي الله عنه قوله، وقد استسقوا بدعائه: إنه لم تنزل عقوبة إلا بذنب، ولم ترفع إلا بتوبة.

فاتقـوا الله عبـاد الله، وهلموا لنجدد الـعهد بالله، ونجـأر بالشكوى من ذنوبنا، ونسأله العفو والـغفران، إنه كان غفارًا. لنبكِ ـ يا عبـاد الله ـ بدموع الندم، على ما فرطنا في جنب الله، وقـصرنا في حقوقه. لنـضرع إلى الله في محو سيـئاتنا، فلعل نفحة من نفحات الرب الكريم تدركنا. لنبادر ـ يا عـباد الله ـ بالتوبة الصادقة فإنما هي أنفاس مـعدودة نصعـدها، لا ندري أترجع بعد تصعـيدها، أم يكون وراء ذلك هادم اللذات: الموت، وكفى بالموت واعظًا. «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة الزمر: ٥٣-٥٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله كاشف الغم ومزيل الشدائد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل من دعا إلى الهدى وإلى عبادة رب واحد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن السفر إلى الله طويل، والزاد قليل، والطلب حثيث، والهمم كليلة فأغذوا السير، وتزودوا بالتقوى، فإن خير الزاد التقوى وتخففوا من الأوزار، لتثقل بكم الموازين، فمن ثقلت موازينه، فأولئك هم المفلحون.

٤٦ - في بناء إبراهيم الخليل لبيت الله وتأذينه للناس بالحج

الحمد لله الواحد الأحد، أحمده سبحانه، وهو الفرد الصمد؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير داع إلى التوحيد، وعبادة الفرد الصمد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، أثر خالد ورمز للحنيفية السمحة، ذلكم هو بيت الله العتيق، رفع قواعده إبراهيم خليل الله وابنه إسماعيل، ثم قام إبراهيم بالدعوة إلى حجه كما أمر الله، ونادى بأعلى صوت: يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتًا فحجوه. فبلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شئ سمعه، ومن كتب الله له أن يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك. وما برح هذا البيت المعظم يطاول الزمان وهو شامخ البنيان، ثابت الأركان، في منعة من الله وأمان، يقوم بقيامه ركن من أركان الإسلام، تتعاقب الأجيال على حجه، ويتنافس المسلمون في بلوغ رحابه، في رحابه الأمن، وفي جواره الخير والبركة ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة القصص: ٥٧). ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٧).

هذا البيت المشرف هو رمز للحنيفية السمحة، ملة إمام الحنفاء إبراهيم الذي أوذي في الله واضطهد من أجل إخلاص الدين لله، ومعاداة أعداء الله؛ والذي بلغ من كمال توحيده أنه حين ألقاه أعداء دينه في النار المتأججة عرض له جبريل قائلاً: ألك حاجة؟ فكان جوابه على الفور: أما إليك فلا!. وكانت نتيجة هذا التوجيه العظيم

إلى الله في أشد حالات الكرب والشدة ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٦٩-٧٠).

وجعل الله الأسوة به في الدين، والبراءة من الشرك وأهله، خير مثال يحتذى، وخير معيار لتوحيد الموحدين، وصدق إخلاص المخلصين، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (سورة الممتحنة: ٤).

وكانت نتيجة الإخلاص والتضحية من الخليل أن عهد الله إليه ببناء البيت العتيق، ليكون رمزًا لعبادته، يتجه إليه المسلمون في بقاع الدنيا كل يوم خمس مرات، ليوثقوا الصلة بالله وليعلقوا قلوبهم أبدًا برب هذا البيت، وليذكروا على الدوام أن جزاء التضحية والإخلاص لدين الله رفع درجات المخلصين، وتخليد عمل العاملين، إلى جانب الهداية إلى الصراط المستقيم، والأمن من مخاوف أهل الجحيم، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٨٢).

فاتقوا الله عباد الله، واحمدوه أن حفظ لكم بهذا البيت شعيرة من شعائر الدين، وركنًا من أركان الإسلام يقوم بأدائه الخلف بعد السلف في طمأنينة وأمان، لا يخشون بأسًا، ولا يرهبون إلا سطوة الجبار، في بلد تطأطئ فيها رؤوس الجبابرة لعظمة العظيم، وتخلع رداء الكبرياء ذلاً لرب البيت، حامي الحرم، ذي العرش الكريم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (سورة آل عمران: ٩٦-٩٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العظيم المنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه، عظيم الشان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، لقد كان من دعوة الخليل إبراهيم لأهل الحرم، ما أخبر الله به في كتابه حيث يقول: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (سورة إبراهيم: ٣٧).

وقد استجاب الله دعوة خليله، فهذه أفئدة المسلمين تهوي إلى البلد الأمين، وهذه الثمار وصنوف النعم تجبى إليه، مما يحفز النفوس إلى شكر المنعم العظيم. فقوموا ـ عباد الله ـ بإقام الصلاة وشكر النعمة، وأدوا ما أوجب الله عليكم من إخلاص العبادة، فنعمت الطاعة في البلد الأمين.

٤٧ - في الترغيب في الحج والترهيب من تركه

الحمد لله الذي يسر الحج إلى بيته الحرام، وأودع في قلوب المسلمين الشوق والحنين إلى زيارة المشاعر العظام.

أحمده سبحانه، على جزيل الفضل والإنعام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير مرشد وإمام. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه البررة الكرام.

أما بعد . . فيا عباد الله، في لجج هذه الحياة الصاخبة، المليئة بألوان من المغريات والملهيات، لا تعدم الأمة الإسلامية الخيرين الصالحين من عباد الله الذين لا تخدعهم الدنيا ببريق زخرفها، ولا تفتنهم بمغرياتها وملهياتها. بل دأبهم التفكير في حقيقة ما خلقوا من أجله، من عبادة الله وطاعته، وفي تدبر ما أنذروا به من حساب وعقاب، وجزاء عادل، يفصح عنه الكثير من آيات الله في محكم كتابه، كما قال تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ** ﴾ (سورة المؤمنون: ١١٥). ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ (سورة الذاريات: ٥٦).

ثم يتبعون التفكير والتدبر بالعمل على تحقيق ما أمر الله به من عبادته، والانصراف لطاعته، وفي طليعة ذلك أداء الفرائض المكتوبة.

ومن بين تلك الفرائض حج بيت الله الحرام، لا يشغلهم عنه شاغل، ولا يقعدهم عن إقامته متاعب السفر، ولا عناء الكد والجد. ثم إذا صدروا عن البيت العتيق بعد أداء النسك، وبعدوا عن مشاعر الحج، عاودهم الحنين إليها، وحفزهم الشوق إلى تكرار زيارتها، وإلى ذلك يشير الباري جل وعلا في كتابه ويقول: ﴿ **وَإِذْ**

جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾ (سورة البقرة: ١٢٥)، أي موضعًا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه، ولا تقضي منه وطرًا ولو ترددت إليه كل عام، استجابة لدعاء خليل الله إبراهيم في قوله: ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ﴾ (سورة إبراهيم: ٣٧)، وفي استجابة الله لدعاء خليله، وعد كريم من الرب العظيم بتيسير إقامة الحج وزيارة مشاعره على مر الزمان، فلا يزال يفد إليه كل من كتب الله له الحج إلى يوم القيامة، لا ينتحلون لقعودهم عنه الأعذار، ولا يصدهم عنه دعايات المبطلين الفجار.

وذلكم - يا عباد الله - هو دأب الصالحين الأخيار. أما الذين يتقاعسون عن أداء فريضة الله، رغم توفر الإمكانيات لديهم، وتضافر النعم عليهم، فهم مخدوعون محرومون، خدعهم طول الأمل، فحرمهم عن العمل لما فيه خيرهم وسعادتهم، وسوف يعضون على بنان الندم، حين لا ينفع الندم.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«لقد هممت أن انظر من استطاع الحج فلم يحج، فأضع عليهم الجزية، ما هم عندي بمسلمين»**.

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **«من قدر على الحج فتركه فلا عليه ان يموت يهوديًا أو نصرانيًا»**.

فاتقوا الله عباد الله، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل فوات الفرصة، ومن بينها الحج، فنعم الحج من عمل صالح مبرور، رتب الله عليه أعظم الأجور. ففي الحديث عن الصادق المصدوق ﷺ أنه قال: **«الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ (سورة آل عمران: ٩٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، نبي الرحمة صاحب المعجزات. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، سأل رجل أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: **إني كنت أعالج الحج، وقد كبرت وضعفت، فهل من شئ يعدل الحج؟ فقال أبو موسى: «هل تستطيع أن تعتق سبعين رقبة مؤمنة من ولد إسماعيل؟ فأما الحل والرحيل فلا أجد له مثلاً»**.

وفي ذلك - يا عباد الله - ما يشعر بأهمية الحج وعظيم فضله، وجليل ثوابه وأجره، فاحرصوا - رحمكم الله - عليه، فرضًا لمن لم يحج في العمر مرة، وتطوعًا بقدر المستطاع لمن سبق له أداء الفريضة.

٤٨ - في الحج فرصة تأتلف فيها منافع المسلمين

الحمد لله أحصى كل شئ عددًا، أحمده سبحانه يغفر الذنب لمن تاب إليه واهتدى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل من عبد الله ودعا إلى نهج الهدى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن مناسبة الحج من أعظم المناسبات التي هيأها الله لعباده، ومن أكرم الفرص التي تأتلف فيها منافع المسلمين، وتجتمع مصالحهم. فالمسلمون من أقاصي الدنيا يؤمون هذا البيت المعظم لغرض واحد هو أداء فريضة الحج، التي افترضها الله عليهم. وهذا الاتحاد في الغرض، يوحي بالألفة، ويوقظ في النفوس الشعور بأخوة الإسلام، تلك الأخوة التي تربط الأبيض بالأسود، والأحمر بالأصفر، والسيد بالمسود دون فارق أو تفضيل، الناس من آدم وآدم من تراب.

فحينما يلتف المسلمون حول بيت الله، لا يكون لهم شعار إلا كلمة الإخلاص وشهادة الحق: لا إله إلا الله، توحي إليهم بالتحرر المطلق، التحرر من تأليه غير الله كائنًا من كان، ومن التذلل والاستكانة لغير الله ومن التعلق بالمخلوق دون الخالق، سواء كان ملكًا في السماء، أو نبيًا أو رجلاً صالحًا أو وليًا من الأولياء أو عظيمًا من العظماء. وفي كل مواقف الحج يبدو واضحًا معنى هذا التحرر، والإخلاص لعبادة الواحد الأحد والاتجاه والتعلق بالفرد الصمد، ففي التجرد عن الثياب، والحسر عن الرؤوس في الإحرام، معنى التذلل والخضوع لله. وفي الوقوف بعرفة في صعيد واحد، والاتجاه إلى رب واحد، معنى الأمل والرجاء في الله والإنابة إلى الله. وفي ذبح أو نحر الضحايا معنى التعظيم والرغبة في الله. في كل موقف للحج مظهر

للتوحيد، ومعنى لإخلاص العبادة لله، والعبادة هي الحكمة التي أرادها الله من إيجاد الخليقة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ (سورة الذاريات: ٥٦-٥٧). وهكذا يتبارى الإخلاص في العبادة لله، مع الإخلاص لرابطة الإسلام والدين، في كواكب الحج ومواقفه، ويبدو بوضوح معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣). ومعنى قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (سورة الحجرات: ١٠).

فاتقوا الله عباد الله، وأقيموا الدين لله، وارعوا حق الأخوة في الله، ففي إقامة الدين رضوان الله، وفي التمسك بأخوة الإسلام جمع لشمل المسلمين والنصر على أعداء الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ (سورة الحج: ٢٧-٢٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المنفرد في علاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، شرفه الله بالرسالة واصطفاه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، يقول الله تعالي في كتابه الكريم: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (سورة البينة: ٥). فالإخلاص في العبادة، والقيام بأداء الطاعة في مختلف ألوانها هو أساس الدين، وعماد الملة.. فأخلصوا ـ يا عباد الله ـ له وقوموا بما افترض الله عليكم تفوزوا برضوان الله.

٤٩ - في الحث على ذكر الله وعدم التعلق بسواه

الحمد لله المتحبب إلى عباده بترادف نعمائه. أحمده سبحانه على سابغ فضله وآلائه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل من تحدث بنعم الله عليه، وشكر الله على سرائه وضرائه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، موقف الشكر لتقدير النعم، وموقف الذكر للثناء على المنعم، ذلكم هو الموقف الكريم، الذي وجه إليه الأنظار رب العزة حيث يقول: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٠).

ولقد كان أهل الجاهلية يقفون في موسم الحج، يعدد أحدهم مفاخر آبائه ويمجد أعمالهم، فأبدل الله الأمة الإسلامية بما هو خير من ذلك، أبدلها بذكره، يلهج به المرء بعد قضاء نسكه، يلهج به كما يلهج الصبي بذكر أبويه، ليكون له بذلك أجر الذاكرين، وفضل العابدين. ومن أحق وأولى بموقف الذكر والشكر من حجاج بيت الله، الذين أتم الله عليهم النعمة، حيث وفقهم لأداء نسكهم في طمأنينة وأمان. ومن أجدر منهم بالفرحة الشاملة، لبشارة الصادق المصدوق رسول الله ﷺ حيث يقول: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه». فالحاج بعد قضاء حجه كالمولود في يوم ولادته، يبدأ صفحة جديدة من حياته، فعليه إلى جانب القيام بواجب الذكر والشكر أن يحرص كل الحرص على أن لا يسطر في هذه الصفحة الجديدة إلا الخير، وعليه أن يترفع عن الإثم في كل صوره وأشكاله.

وأقبح الإثم - وكل الإثم قبيح وشنيع - الضلال بعد الهدى، والعمى بعد البصيرة، فمن عاهد الله في هذه الرحاب المقدسة، وفي كل موقف من مواقف الحج

ومشاعره المعـظمة، على إقامة الدين، والإخلاص في التعلق برب العـالمين حرام عليه أن ينقض هذا العهد بعـد توكيده، وأن يعود إلى التعلق بغيـر الله أيًا كان ذلك الغير، ملكًا في السماء، أو رسـولاً ونبيًا من الأنبياء، أو رجـلاً صالحًا ووليًا من الأولياء، يدعـوه أو يرجوه في الشـدة ودفع المكروه، ويستـغيث به، ويطلب منه المدد والـعون ويرغب إليه ويخافه؛ أو يعلق المرء قلبه بتميمـة يعلقها، أو بخيط وحلقة يعتصم بها، ويزعم أنهـا تدفع عنه السوء والمـكروه، أو تجلب له الخيـر. ذلك - يا عبـاد الله - هو الضلال بعد الهدى، والعمى بعد البصـيرة. يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (سورة يونس:١٠٧). ويقول رسول الله ﷺ: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق شيئًا وكل إليه». أي وكله الله إلى ما تعلق بـه. ومن يفعل ذلك - يا عبـاد الله - فقد ظلم نفـسه، ودنس صحيفته وقد غدت بعد حجه بيضاء نقية، في نقاء المولود لم يتدنس بالمعصية، ونكس رأسه إلى الأرض بعد أن رفـعه إلى السماء، ورضي بالاستكانـة والذل للمخلوق بعد أن أكرمـه وأعزه الخالق، تعلق بالوهم والخـرافة بعد أن كـان قد عاهد الله في حـرمه على التعلق به.

ألا - يا عباد الله - أوصـيكم ونفسي بتقوى الله، والإخـلاص لدين الله، والتعلق به دون سواه، واستـدامة ذكر الله، ليكتب الله لكم أجر المحـسنين الذاكرين ولتكونوا في جملة عباد الله الصالحين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٠-٢٠٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كـتابه. أقول قولي هذا، وأستـغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

٥٠- في التحذير من الرفث والفسوق والجدال في الحج ليكون الحج مبرورًا

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه؛ أحمده سبحانه وأشكره، وأسأله العمل بما يرضيه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد العارفين بالله ربه وهاديه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، ليس أحب إلى النفوس المؤمنة من عمل صالح مقبول، تجزى عليه الجزاء الأوفى، وتبلغ به الغاية الحميدة. ولقد كان فضل الله على العباد عظيمًا، حيث جعل الحج إلى بيته الحرام أحد أركان الإسلام يبلغ به العبد غاية المرام، فهو يكفر الذنوب والآثام، ويجزي الله عليه خير الجزاء.

يقول رسول الله ﷺ: **«الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»**، يا له من جزاء عظيم، يتنافس في الحصول عليه أولو الهمم العالية من عباد الله البررة الصالحين، وإنما يكون الحج مبرورًا إذا التزم فيه الحاج جملة أمور، وأوضحها الله سبحانه بقوله: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (سورة البقرة: ١٩٧). فالرفث هو الجماع ومقدماته ودوافعه، ومن الرفث أيضًا فحش القول، والفسوق يشمل كل المعاصي، ويدخل فيه ارتكاب المحظورات في الإحرام، والجدال والخصومات، كل ذلك يجب أن يترفع عنه الحاج لكي يصبح حجه مبرورًا، ولينال عليه الجزاء الذي وعد الله به المحسنين، وهو دخول الجنة، دار الكرامة والنعيم المقيم.

يلي ذلك الإنفاق في وجوه البر، والإحسان إلى الفقراء، فالنفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله، تضاعف إلى أضعاف كثيرة، كما صح بذلك الحديث، واختيار

الكسب الحلال للإنفاق منه في نفقات الحج، فإن الله تعالى طيب، لا يقبل إلا طيبًا، ومدار العمل وروحه الإخلاص، فعمل بلا إخلاص كجسد من غير روح، وذلك أن لا يقصد الحاج بحجه الرياء والسمعة والمباهاة، ولا الفخر والخيلاء، بل يقصد به وجه الله، ويبتغي به رضوانه.

فاتقوا الله عباد الله، والتزموا في حجكم خير نهج يكون به حجكم مبرورًا وسعيكم مشكورًا، وجزاؤكم عليه جزاءً عظيمًا موفورًا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة: ١٩٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العظيم المتعال. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، حميد المزايا والخلال. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: **«من أتى هذا البيت، فلم يرفث ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه»**، أي: رجع من حجه وقد انحطت عنه ذنوبه، وأصبح كالمولود الذي لم يتدنس بالمعاصي.

فاحرصوا - يا عباد الله - على اكتساب هذه الفضيلة، بسلوك أفضل مسلك في الحج، فنعم الحج المبرور، يحصل به العبد على أفضل الأجور.


الخُطب
في
المَسجدِ الحَرامِ
مواعظ دينيَّة - خُلُقيَّة - اجتماعيَّة
بقلم
عبْد الله خيَّاط
الخطيب في المسجد الحرام
الحلقة الثالثة



الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقــه، البشير النذير، سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحبه أجمعين.

وبعد . . . فهذه هي الحلقة الثالثة من كتاب (الخطب في المسجد الحرام) أعددتها وألقيتها في مناسبات مختلفة بتوفيق الله.

وأخرجها للمجموع بتشجــيع أهل الفضل من خيار الإخوان، الذين يحبون إذاعة النفع وتعميم الخير.

وأسأل الله أن ينفع بها، ويأجرني على ما بذلته فــيها من تحر للحق، وما قصدته من إرادة النصح والتوجيه، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل أجمعين.

عبد الله خياط

١ - في الحث على التأدب بآداب الدين

الحمد لله، فتح لأرباب البصائر أنوار الهدى، ووعد المحسنين خير الجزاء، أحمده سبحانه، تنزه عن كل النقائص وعلى العرش استوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فالق الحب والنوى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أدبه ربه فأحسن تأديبه، وانتهت إليه الفضائل، فَأَعْظِمْ بشمائل المصطفى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن أعظم وسيلة تحفظ التوازن بين الجماعة الإسلامية هي آداب الدين، إنها تصقل النفوس، وترتفع بها إلى درجات الصالحين، وإنها لتجمع للمتأدب بها بين سعادتي الدنيا والدين. وإن من أدب الدين كفَّ اللسان عن الإثم والأذى، وعن الانطلاق في أعراض الناس، وعن السخرية بهم، أو لمزهم وتنقص أحوالهم، أو رميهم بما هم منه بريئون، إذ أن ذلك - يا عباد الله - مما يقطع الألفة بين المسلمين، ويهدم الأخوة في الدين، وسيؤاخذ العبادَ عليه أحكمُ الحاكمين، ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (سورة ق:١٨). ولقد عجب معاذ بن جبل، صاحب رسول الله ﷺ، عجب من أن يؤاخذ العبد بما يتكلم به، وقد أوصاه رسول الله ﷺ بأن يكف لسانه، فقال معاذ رضي الله عنه: **وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال له رسول الله ﷺ: «ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»**، أي: ما يكسبونه من الإثم عن طريق اللسان، وإن في الناس من لا يردعه دينه أو ورعه عن أن يطلق للسانه العنان، فيسرف في التجني على عباد الله بالسخرية واللمز، فهذا طويل وذاك قصير، وهذا أحمق وذاك أرعن، وهذا سخيف وذاك فظيع؛ وكأنه وكل إليهم تشريح عباد الله وتجريحهم، وتسقطهم، وتتبع عوراتهم،

وأكل لحومهم! ولكل الناس عورات ومعائب، وزلات ومثالب، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، أو - كما جاء في الحديث -: «طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته». ومن وصية رسول الله ﷺ الطويلة لأبي ذر: «وليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك». وقُتل رجل في الغزو فبكت عليه باكية قائلة: واشهيداه! فقال النبي ﷺ: «ما يدريك أنه شهيد؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، أو يبخل بما لا ينقصه».

أما رمي المسلم بما هو منه بريء فهو أفظع وسائل النيل والوقيعة والبهت، لأنه يجمع بين الكذب والغيبة، وكلاهما رذيلة وكبيرة من كبائر الذنوب. يقول رسول الله ﷺ - في حديث طويل -: «وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار». ويقول في الغيبة: «هي ذكرك أخاك بما يكره»، وقيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟. قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته». وقال أيضًا: «أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة هو منها بريء - ليشينه بها في الدنيا - كان حقًا على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار، حتى يأتي بنفاد ما قال»، ومن أين له أن يأتي بهذا النفاد؟.

فاتقوا الله عباد الله، وتأدبوا بآداب الإسلام، وكفوا ألسنتكم عن كل قول يغضب الله، واذكروا على الدوام قول رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحجرات: ١١-١٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب كل شيء ومليكه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وفق مَنْ شاء من عباده لطاعته، وأمده بتوفيقه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير عباد الله هدى، فأكرم بنهجه وتوجيهه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ : **«إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان - أي تذل وتخضع له - وتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»**، وفي ذلك - يا عباد الله - ما يدفع إلى أخذ الحذر من اللسان، وإلى استخدامه في النافع، كذكر الله، وقراءة القرآن، وبذل النصيحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من أبواب الخير، أو إلزامه بالصمت كما جاء في الحديث: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت»**. فاذكروا الله على نعمه، واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٢ - في التوجيه الصالح للشباب

الحمد لله أحصى كل شئ عددًا، أحمده سبحانه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، نبي الرحمة والهدى، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، أرأيتم الأغصان في نضارتها، كيف تستقيم وتشتد بالتعاهد والري، ويزدان رونقها، ويعظم خيرها، إنها - يا عباد الله - مثل للشباب في عنفوانه، ونضرة أيامه، يستقيم بالرعاية والتوجيه الراشد الصالح، ويثمر أطيب الثمار بالتهذيب، والتشذيب، ويكون عضوًا صالحًا في المجتمع، وعنصرًا هامًا لحماية الدين، ورعاية الأخلاق، ورفع راية الفضيلة. ولقد كان للشباب في أزهى عصور الإسلام جولات عظيمة، ومغامرات كريمة، كان فيها عز الإسلام، ونصر لشريعة سيد الأنام، ورفع لعلم الدين خفاقًا، يحكي العزة، ويصور المجد، ويشعر بالقوة: فعلي ابن أبي طالب وحمزة عم رسول الله، ومصعب بن عمير، وأسامة بن زيد، وابن عفراء قاتل أبي جهل، وعبد الله بن عباس، وغيرهم من لا يحصيهم المقام ﷺ، كل أولئك من الشباب الناشئ في مدرسة الإسلام، غذاهم الإسلام بمبادئه، وروضهم على تعاليمه، وقومهم برفيع توجيهاته، وجعل منهم في ميدان البطولة، الفدائي الذي لا يشق له غبار، يخوض معركة الشرف، لا لإبراز شجاعته، ولا للاعتزاز بفتوته، ولكن لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى. وفي ميدان العلم والمعرفة جعل منهم أئمة في الدين وأعلامًا في الفقه. وفي مجالات العبادات والإخبات جعل منهم رهبانًا في الليل: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (سورة الذاريات: ١٧-١٨). وفي ميادين البذل والبر والإحسان، جعل منهم

زهادًا في الفضل يبذلون طلبًا للمثوبة والأجر - ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (سورة الذاريات: ١٩). إلى غير ذلك من أوصافهم وحميد مزاياهم، لم تغلب عليهم الصبوة، وهي إلى الشباب أقرب، فكانوا خير قدوة للشباب المسلم الصالح المتمدين، الذي رفع الله درجته، وأمن مخاوفه، وأظله تحت ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله. يقول رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه»، وعد منهم الشاب الناشئ في عبادة ربه. فبهم القدوة - ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (سورة الأنعام: ٩٠). وفي التنافس في بلوغ درجاتهم، والاهتداء بهديهم، والسير على مناهجهم، محك عزائم الشباب، ومخبر قوة إرادتهم، ومعيار تفاضلهم.

أما القدوة السيئة، والأسوة الفاسدة، والخسران والخيبة، فهي لمن قلد التقليد الأعمى، واستبدل الضلالة بالهدى، هي لمن قلد الكفر في باطله، والغرب في انحلاله وميوعته، وإلحاده ورذائله، وأطلق لنفسه العنان في الشهوات المحرمة، والنزوات الطائشة، فلا إله في نظره، يرقب جزاءه، ويحذر بطشه، ولا دين يجب عليه أن يتدين به، ويتقيد بحدوده، ويسير طبق أحكامه، ولا أخلاق يعتصم بها عن السقوط في مهاوي الرذيلة، والانزلاق في أوحال الرجس، فهو ممن قال فيهم رب العزة: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (سورة الفرقان: ٤٤). وممن وصفهم بقوله عز من قائل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤).

إن العامل الوحيد - يا عباد الله - للأخذ بأيدي الشباب، وقيادتهم إلى الخير، ليكونوا كما كان أسلافهم في عصر النور، حماة الإسلام، والذائدين عن شريعة سيد الأنام، إن السبيل الوحيد، هو التوجيه الصالح الرشيد، الذي يتضافر عليه البيت والمدرسة، والإذاعة والصحافة، والعلماء والقادة، كل أولئك يجب أن تتضافر جهودهم لتوجيه الشباب إلى الخير، وقيادتهم إلى أقوم السبل، في أقوال تصدقها الأفعال، وفي عزائم ثابتة؛ فالثبات على العزيمة يبلغ الآمال.

أما مجرد التوجيه بأقوال لا تصدقها الأعمال، ولا تؤيدها الفعال، فذلك مما يمقته الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الصف: ٢-٣). ذلك لأن من شروط الداعي إلى الخير أن يكون قدوة فيما يأمر به، وإمامًا فيما يدعو إليه، وإلا لم يكن لدعوته أثر، ولا لتوجيهه ثمر، بل كان عليه قسط من الوعيد بقدر ما خالف قوله عمله، وجانبت دعوته فعله؛ ألم تسمعوا - ياعباد الله - قول الرسول الكريم ﷺ: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه - أي أمعاؤه - فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه يقولون: أي فلان، ما شأنك؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه». فاتقوا الله عباد الله، ووجهوا الشباب التوجيه الصالح الرشيد، تكسبوه لصالح الدين والدنيا، وكونوا لهم قدوة في توجيهكم، وأئمة في هدايتكم، يصلح بكم أبناؤكم، ويرتفع بكم مجتمعكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝ ﴾ (سورة العصر).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي الكبرياء والعظمة والسلطان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، وسيد ولد عدنان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (سورة التحريم: ٦). ويقول رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». فالوقاية من جحيم النيران، والتخفيف من عبء المسؤولية أمام الملك الديان، لا تكون إلا بالهداية والتوجيه إلى أقوم السبل، للظفر بالأمن والأمان.

٣ - في الحث على تعليم النساء

الحمد لله، خلق الإنسان من نفس واحدة، وفضل الرجال على النساء درجة، أحمده سبحانه، له في كل شئ آية تدل على الوحدانية والعظمة؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، جاء بالهدى والحنيفية السمحة. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن مظاهر العدل في التشريع الإسلامي، أن جعل الرجل قيمًا على المرأة، يسهر على مصلحتها، ويقوِّم ما اعوج من أمرها، ويوجهها التوجيه الراشد، المصلح لدينها ودنياها. قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (سورة النساء: ٣٤). وإن في طليعة ما يجب أن يعنى به القيِّم تعليم المرأة أمر دينها، وما فرضه الله عليها كمسلمة؛ فهي مكلفة بالشريعة كالرجل، معنية بالأمر والنهي، مؤاخذة على تفريطها وتقصيرها فيما أمرت به من شرائع الدين، مجزية على إحسانها وصلاحها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥). فالمرأة لا تكون كما وصفها الله تعالى على جانب من الصلاح، إلا عن طريق التعليم والتهذيب، والتوجيه الصالح. والقيِّم إذا لم يعن بهذه الناحية، في طليعة ما يعنى به من أمر المرأة، فرط ولم يقم بالحق الواجب عليه، نحو من ولاه الله أمرها وجعله قيمًا عليها، وسوف يسأل عن هذا التفريط ويحاسب عليه، كما جاء في الحديث: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع ومسؤول عن رعيته».

وليس الغرض من التعليم أن يكون على وضع معين مخصوص، تواضع عليه الناس، كأن يكون في مدرسة أو كتّاب، فإذا لم يكن التعليم في مدرسة لا يكون تعليمًا، وإذا لم يقم به من مارس التعليم كمهنة لا يكون تعليمًا، كما أنه لا يشترط في التعليم أن تعرف المرأة كل ما يعرفه الرجل من التفاصيل في أمر الدين، وإنما التعليم الواجب أن يعلم الرجل من جعله الله قيمًا عليها - من زوجة أو أخت أو بنت - ما فرضه الله عليها من صلوات في اليوم والليلة، وأن يلقنها ما يحفظه من القرآن والتشهد، والدعوات والتسبيح، تلقينًا - إن لم يتيسير عن طريق الكتابة - وأن يعرفها كيف تصوم وكيف تحج عمليًا، وكيف تعبد ربها وكيف تتوجه إليه؛ وهذا القدر يجب أن يعرفه الرجل والمرأة على حد سواء، إلى جانب إرشادها بما يسمعه من وعظ الواعظين، وتذكير الناصحين، لتطهير المعتقد، وتنقيته من الخرافة والأباطيل؛ إلى جانب حضها على القيام بأمر الدين، وفي طليعة ذلك الصلاة، كما قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (سورة طه: ١٣٢). وقسرها على التخلق بآداب الإسلام، والأخذ على يديها فيما لو خرجت على أمر الله وانحرفت عن السبيل.

وكل ذلك - يا عباد الله - في استطاعة كل رجل أن يقوم به، في الفرص والمناسبات، وعلى مر الأيام وطول الزمان، فهو دين في عنقه، مفروض أن يؤديه. فتعليم الجاهل فرض على العالم بحسب علمه، وبقدر ما يحسن، كما جاء في الحديث: **«ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه»**. وهذا في حق عامة الجهلة بالنسبة للمتعلمين، فكيف بالجاهل القريب الملتصق بالمرء كالزوجة والبنت والأخت، اللائي لا مجال لتعليمهن إلا عن طريق القوامين عليهن، لا جرم أن المسؤولية في التقصير عن التعليم سوف تكون عظيمة.

ولقد بلغ من حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - في تعليم قريباتهن، أن أحدهم كان يسمع الآية من القرآن فيرجع إلى أهله، يعلمهن إياها، ويطالبهن بتطبيقها، تقول أم المؤمنين عائشة ﵄: **«والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، لقد**

أنزلت سورة النور، فانقلب رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلوها الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابته». أي: كان من الرجال التوجيه، ومن النساء حسن الاستماع والتطبيق. وكذلك يجب أن يحذو الخلف حذو السلف في التعليم والتوجيه.

ولئن كان في النساء من يجهلن معرفة الضروري من أمر دينهن، ويتهاون بالصلاة، أو ينقرنها نقر الغراب، أو يفطرن في رمضان لغير عذر مبيح أو يتعلقن بالخرافة والأباطيل، لئن كان ذلك فإن التبعة إنما تقع على الأولياء أولاً، ويكون لهم نصيب من الوزر، لأنهم قصروا في التعليم، وفرطوا في التذكير والتبصير، فلم يسلموا من مؤاخذة، ولم يبرؤوا من مسؤولية **«ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»**.

فاتقوا الله عباد الله، وقوموا لله بما أوجبه الله عليكم نحو النساء زوجات وأخوات، بنات أو قريبات، ممن ولاكم الله أمرهن، وجعلكم قوامين عليهن، علموهن مما علمكم الله من أمور الدين، ووجهوهن التوجيه الصالح، لسلامة المعتقد وتقوية اليقين، وهذبوا أخلاقهن بالإرشاد إلى آداب الإسلام وأخلاق الصالحين، وخذوا على أيدي سفهائهن يصلح مجتمعكم، وتنقذوهن من العذاب المهين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة التحريم: ٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الملك الديان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، سيد الثقلين من إنس وجان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، روي أن زوجة بعض الصالحين كانت تحفز زوجها إلى العبادة وقيام الليل، وتقول: قد ذهب الليل، وبين أيدينا طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت أمامنا. تلكم - يا عباد الله - هي المثل الرفيع للمرأة المسلمة، التي عرفت من أمر دينها ما هداها إلى سبيل العارفين، فسارت في ركابهم. فهلا اقتدى النساء فينا بالصالحات من سلفهن، وتعلمن من أمر دينهن ما يرسم لهن طريق السعادة وينزلهن منازل الرضوان.

٤ - في الحث على النظافة

الحمد لله عالم الغيب والشهادة، إله العالمين؛ أحمده سبحانه، يحب التوابين ويحب المتطهرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، عندما عني الإسلام بإصلاح العقائد، وتطهيرها وتنقيتها من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، عالج الجانب الحسي في المسلم، فوجهه إلى العناية بتطير المظهر، ليكون المسلم نظيفًا في مظهره، كما هو نظيف في مخبره. فعندما أمر الله سبحانه الرسول ﷺ بالإنذار من الشرك، وتعظيم الرب جل وعلا بالتوحيد، أردف ذلك بالأمر بتطهير الثياب، قائلاً: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (سورة المدثر: ١-٤). والثياب إن فسرت على ظاهرها، فتطهيرها بالتنظيف والغسل، وتجنيبها للنجاسة والقذر.

وعندما فرض سبحانه الصلاة، شرع لها الوضوء قبلها، وهو طهارة من الحدث، ونظافة من القذر، وفيه السواك، والسواك كما جاء في الحديث، «**مطهرة للفم، مرضاة للرب**»، يطهر الفم من الخلوف، وينظفه مما لعله أن يكون قد علق به من فضلات الطعام. ثم في جميع الأغسال التي أوجبها الشرع، كغسل الجنابة، والغسل من الحيض والنفاس، أو ندب إليها كالغسل عند الإحرام، والغسل للوقوف بعرفة، في ذلك كله مظهر بارز للتطهير والتنظيف، وفي الحض على الغسل يوم الجمعة، ولبس أحسن الثياب كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**على كل مسلم الغسل يوم الجمعة**»، ويلبس من صالح ثيابه؛ بل في ندب الرسول ﷺ إلى

اتخاذ ثوبين للجمعة سوى ثوبي المهنة، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «**ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة، سوى ثوبي مهنته**». في ذلك ما يوجه الأنظار إلى العناية بأمر النظافة كأمر ذي بال، له قيمته في نظر الشرع، ثم في الترغيب بتنظيف المساجد وتطييبها، والنهي عن البصاق فيها، وعن إتيانها لمن أكل بصلاً أو ثومًا، أو غيرهما مما له رائحة يتأذى منها المصلون، في ذلك ما يشعر بضرورة الأخذ بالنظافة كمبدأ يطبقه المسلم في كل حالاته، في البدن والثياب، في المساجد والدور ومجامع الناس. وفيه أيضًا ما يشعر بمراعاة شعور الغير، واحترام جانبه، فكل ما يتأذى منه الناس في مجتمعاتهم يجب اجتنابه فيها، بصلاً كان أو ثومًا، عرقًا كان أو درنًا وقذارة، وخاصة في المساجد التي يؤمها الناس لطاعة الله، وأداء الصلوات. والصلاة تستلزم الخشوع، وكيف تخشع نفس مهتاجة مضطربة، تعرضت للأذى فعكر عليها صفو مناجاة الرب جل وعلا، وقطع عليها لذة التضرع إلى الله روائح كريهة، تنبعث عليها من بعيد وقريب، مصدرها فريق من الناس، حجتهم في عدم الأخذ بالنظافة الزهد في الدنيا، أو الفقر، وليس في الزهد أو الفقر حجة أو عذر لمعتذر، فلقد كان في أصحاب الرسول الكريم، وهم أكثر الناس زهدًا، وأشدهم فقرًا، كان فيهم من لا يجد غير ثوب واحد، ومع ذلك كان يعنى بنظافته، ذلك لأنهم يعلمون أن الدين قرر مبدأ النظافة والتطهر، فهم يأخذون به، كما يأخذون بغيره من مبادئ الدين وتعاليمه.

فاتقوا الله عباد الله، واعملوا بالدين في مجموعه، عبادة في جملة العبادات والطاعات، أو فضيلة حث عليها ورغب فيها؛ أو رذيلة نفر منها وأرشد إلى التغلب عليها. ولن يستقيم الدين إلا بالأخذ به في مجموعه، وذلك نهج الراشدين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (سورة التوبة: ١٠٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العزيز الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صفوة الصفوة المختار. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، سمع أحد الصحابة رسول الله ﷺ وهو يقول: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». فقال الصحابي: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا. ونعله حسنة. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال».** أي أن تحسين مظهر المسلم، سواء أكان بتعاهد الثياب وتنظيفها والعناية بها، أم كان بتعاهد الجسد وتنظيفه، وإبعاد الفضلات والروائح الكريهة عنه؛ كل ذلك من الجمال الذي يحبه الله فليس ذلك من الكبر.

٥- موعظة

الحمد لله يحيي القلوب الغافلة بالوعظ والتذكير؛ أحمده سبحانه، وهو اللطيف الخبير؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا معين له ولا ظهير، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير من قام بالتذكير والإرشاد والتبصير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله؛ أرأيتم الأرض الميتة كيف تحيا بالغيث، بعد طول القحط والجدوب؛ إنها مثل للقلوب الغافلة، تحيا بالوعظ والتذكير بعد طول الغفلة. وإن خير الوعظ ما كان بكتاب الله فهو والله حياة القلوب، وشفاء العليل، فيه الهدى والذكرى، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وإن من مواعظ القرآن ما أخبر الله تعالى به، عن قدرته العظيمة في خلق الإنسان، ولم يكن شيئًا مذكورًا؛ وعن علمه الواسع بكل ما يجول في نفسه من خطرات؛ وعن عدله الشامل حيث وكل به الكرام الكاتبين، يحصون عليه أعماله، ليجزى عليها الجزاء الأوفى؛ ثم ذكره سبحانه بمصيره المحتوم، وبما يعانيه من سكرات الموت، ثم ما يكون من بعثه في اليوم الموعود، بين سائق وشهيد، وبما ينتهي إليه أمره، من نعيم في الجنة بين المتقين أو عذاب في الجحيم مع الغاوين. كل ذلك - يا عباد الله - قد صوره القرآن في أرفع بيان، وأوضح أسلوب، ليتعظ به المتعظون، وليذكر به المتذكرون، وينزجر به الغاوون والمفرطون. فهل آن لنا - يا عباد الله - أن نجلو القلوب بوعظه؟ قد أفلح والله المؤمنون المتعظون والمتذكرون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن

قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (سورة ق: ١٦-٣٥).

فاتقوا الله عباد الله، وانتفعوا بوعظ القرآن وتذكيره.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الهادي إلى الصراط المستقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى النهج القويم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ؛ فاهتدوا بنورهما، والتمسوا النجاة بالسير على نهجهما، فقد أفلح عبد التمس الهدى من وحيهما، وسار على سنتهما.

٦ـ في التحذير من التشاؤم والحث على الإقبال على الله

الحمد لله المتفرد في علاه، أحمده سبحانه؛ من لاذ بجنابه حفظه وحماه، ومن تعلق بغيره فليس له من دون الله من ولي يتولاه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، وطد دعائم الدين، وقمع الباطل في كل صوره وقضاياه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، لقد امتاز دين الإسلام بأنه دين الفطرة؛ والفطرة صفاء في العقيدة، وقوة في العزيمة؛ فصفاء العقيدة يقتضي أن يسلم المرء وجهه لله وأن يتحرر من قيود الذل والعبودية إلا لله، وقوة العزيمة تقتضي أن يثبت على مبدئه، وأن يترك التذبذب، ويمضي مقتنعًا بصحة مذهبه؛ يصور ذلك بوضوح، ما حكاه الله تعالى عن خليله إبراهيم، حين اهتدى بفطرته إلى خالقه وقويت عزيمته على توحيده والاتجاه إليه فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا﴾ (سورة الأنعام:٧٩). أي مقبلاً على الله معرضًا عما سواه؛ مقبلاً على الله حبًا وإجلالاً، ورغبة وخضوعًا، وتعظيمًا وتوكلا ورجاء، ومعرضًا عما سواه بغضًا وتحقيرًا، وعداء وبراءة؛ وتلك هي البراهين على صفاء العقيدة، وقوة العزيمة، والدلائل على الإقبال على الله والإعراض عمن سواه.

وإن من لازم صفاء العقيدة ومقتضيات الفطرة القضاء على عناصر الخرافة في كل صورها وأشكالها، سواء ما كان منها تقليدًا موروثًا له أصل في عقائد الجاهلية، كخرافة التشاؤم بشهر صفر، وبيوم الأربعاء، وبأصوات الغربان والبوم، أو ما كان

منها وليد اختـراع، أو من تلقينات العجائز، كالتشاؤم بصبـاح صاحب العاهة، وقدوم القادم، وباختلاج العين اليسرى، وبالكلمة يسمعها المرء عن بعد ولا يكون معنيًا بها، كمن يسمع من يقول: لك الخيبـة، لن تنال مطلوبك، أو الموت يا غافل، فيحز ذلك في نفسه، ويحدث فيها انقباضًا وتأثرًا، ويمضي طوال اليوم مهمومًا متكدرًا.

وكل ذلك ـ يا عباد الله ـ لمـا ينافي حقيقة الإقبال علـى الله، ويقدح في صفاء العقيـدة، وهو من التخريف والباطل، الذي يحـاربه الدين بكل شدة، إذ لا يصح أن يجتمع في قلب المسلم دين وخرافة، كـما لا يصح أن يجتمع حق وباطل. يقول الله تعالى في محكم كـتابه، موجهـًا الخطاب إلى أكرم الخلق عليه ـ والأمـة معنية بذلك: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٥١). ويقول أيضًا: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة الأنعام: ١٨). ويقول أيضًا: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (سورة النساء: ٧٩). أي: بسبب ذنوبك. ويقـول الرسول ﷺ في وصيتـه لابن عباس رضي الله عنهما: **«واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»**.

أفبعـد هذه النصوص القاطعة بـضرورة الإقبال على الله وإطراح ما سـواه يصبح لعاقل فضلاً عن مسلم أن يتعلق بخـرافة، وأن يتوهم أن للشهور والأيام، ولأصوات الطيور وحركاتها، ولغير ذلك، تأثيرًا في تغـيير ما كتبه الله على العباد في الأزل، أو دليلاً على حدوث مكروه ونزول مصائب؟؟

إن الدين الإسلامي ـ يا عباد الله ـ يقوم على مبادئ سليمة واضحة، وعلى عقائد متينة، توافق الفطر السليمة، والعقول المستقيمة. فاتقوا الله عباد الله، وحاربوا الخرافة في كل اتجاه، وبكل وسيلة، وحرروا العقول من أوهامهـا تمشيًا مع فطركم، واستقامة لدينكم، ولن يستقيم الدين إلا بذلك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (سورة الحديد: ٢٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الفعال لما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، النبي الذي اصطفاه الله لرسالته، وفضله على سائر العبيد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، روى أبو داود بسند صحيح، عن عروة بن عامر قال: ذُكرت الطِّيَرَة عند رسول الله ﷺ، فقال: «**أحسنها الفأل ولا ترد مسلمًا**». أي أن الفأل الحسن خير من التطير؛ وذلك كأن يسمع أحدنا من يقول: يا راشد، أو حاجتك مقضية، فيستبشر، أما إذا رأى المرء أو سمع ما يكره، فعلاج ذلك ما أمر به الرسول الكريم ﷺ حيث يقول: «**فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت؛ ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**». فخذوا - يا عباد الله - بالمشروع من دينكم، ودعوا التشاؤم المحظور؛ تكونوا من الراشدين.

٧- في الحث على ذكر الله

الحمد لله يتولى الصالحين ويثيب الذاكرين، أحمده وأشكره، فما استجلبت نعمه إلا بذكره؛ ولا تتابع مدده إلا بشكر الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الذاكرين، وقدوة الشاكرين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، الحصن الحصين والدرع الواقي، والسلاح الذي لا يثلم، ذكر الله جل جلاله. والمرء - يا عباد الله - في هذه الحياة، محاط بالأعداء من كل جانب، نفسه الأمارة بالسوء، تورده موارد التلف، وكذلك هواه وشيطانه، فهو في حاجة إلى ما يعصمه، ويسكن مخاوفه، ويهدئ نفسه، ويطمئن قلبه - ألا وهو ذكر الله - ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (سورة الرعد: ٢٨).

ولقد كان فيما أوحى الله به إلى نبيه يحيى بن زكريا عليه السلام أن يأمر قومه بذكر الله؛ وضرب لهم مثلاً لرفعة منزلة الذكر وعظيم فضله، وصونه للذاكر، وإحرازه لنفسه، فقال: وآمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منه. وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى. وإن عمر المرء وأنفاسه المعدودة المحدودة سوف تكون حسرة عليه، إذا لم يعمرها بذكر الله كما جاء في الحديث: **«ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة»**.

وإن القلوب لتصدأ مما يغمرها من الغفلة. والغفلة عن الله أضر شئ على العبد، وجلاء الغفلة عن القلوب ذكر الله، وذكر الله بالإضافة إلى تعدد جوانب الكسب والمنافع فيه، وهو زاد روحي، كلما تزود منه العبد ارتفعت منزلته، حتى يبلغ درجة

العارفين بالله، ولا تسل عن درجة العارفين، ومنزلة المكرمين؛ وهو وسيلة للهداية والسداد، وبلوغ الرشاد، والوقاية من العثرة، والسلامة من الزلة.

يقول رسول الله ﷺ: **«إذا خرج - أي المرء - من بيته، فقال: بسم الله، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله - يقال له: كفيت وهديت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد كفي وهدي»**. أي: أن من تكفل الله بكفايته، وضمن هدايته ووقايته، فقد تحصن بأفضل عتاد، فكما أن السلاح في الحرب عدة المقاتل، وسبب من الأسباب الناجحة المشروعة لإحراز النصر، والتغلب على الأعداء، فكذلك ذكر الله تعالى هو سلاح المؤمن، في خضم الحياة الصاخبة المليئة بالملهيات والمغريات، والفتن والشبه والشهوات.

ولكل مناسبة من المناسبات أذكار واردة مأثورة، تشد أزر المؤمن في جهاده ضد أعدائه؛ وهي الركيزة التي لا يفنيها الزمان، والرصيد الضخم، الذي لا يعتريه النقص على مرور الأيام. فللصباح والمساء أذكار مسنونة، وللنوم واليقظة أوراد مشروعة، وللمحن ونزول الشدائد، ودفع الهم والغم، والحزن والفقر، وكل أمر ذي بال أو شأن، يرجو فيه المسلم النجاح والتوفيق، ولكل أزمة يأمل حلها، وكربة يطلب كشفها - لكل ذلك - ذكر مخصوص، وورد ثابت، من كتاب الله، أو من أذكار رسول الله ﷺ، وكلها توجيه للنفوس باللجوء إلى الله، والتعلق به دون سواه. فإذا كان في الناس من يتنافس في اكتناز الحطام، حطام الدنيا الزائل، فإن من حق أولي البصائر من عباد الله أن يتنافسوا في ذكر الله، ويبالغوا في بذل الجهد لتضخيم رصيدهم منه، فإنما تتفاضل درجات العباد يوم التناد بقدر تفاضلهم في ذكر الله، وأرفع الناس منزلة عند الله من كان لسانه رطبًا بذكر الله، سئل رسول الله ﷺ: **أي الناس أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة؟، قال: «الذاكرون كثيرًا». قيل: يا رسول الله؛ ومن الغازي في سبيل الله؟، قال: «لو ضرب الكفار والمشركين بسيفه حتى ينكسر ويختضب دمًا، فإن الذاكر لله تعالى أفضل منه درجة»**.

وليس لذكر الله - يا عباد الله - وضع مخصوص، أو طريقة معينة، أو ترتيلات جماعية، أو نغمات مشجية، وإنما هو خشوع وتضرع، وابتهال ومسكنة، وذل وانكسار. وقد أرشد الرب - سبحانه - العباد إلى أدب الذكر حيث يقول: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٠٥).

ألا وإن من أرفع درجات الذكر التجمع لاستماع العلم الشرعي وحضور مجالسه - فقد صح عن رسول الهدى أنه قال: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر**». وليست الحلق شرطًا في الاستماع والحصول على أجر الذاكرين، وإنما الغرض المجتمعات التي تقصد للعلم، سواء كانت مساجد أو مدارس، أو ندوات عامة لنشر العلم وإشاعته. فالذكر حياة القلوب، سواء كان وردًا مشروعًا، أو دعاء مأثورًا، أو قرآنًا يتلى، أو علمًا يذاع ويدرس، فمن أخذ به في أطرافه، أو اقتصر على بعضها حسب ظروفه، فهو من الذاكرين الله أهل الحظوة بالمغفرة والأجر العظيم، كما وعد بذلك رب العالمين حيث يقول: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥).

أما من أعرض عن الذكر في كل أبوابه؛ إما كبرًا وتعاليًا لأن الذكر في زعمه ديدن المساكين - وهو الوجيه العظيم - أو غفلة وصدودًا، أو لهوًا مع اللاهين، أو اشتغالاً كليًا بأمور الدنيا: من تجارة وصناعة، أو وظيفة، أو أي عمل لا يذكر الله فيه طرفة عين؛ كل أولئك وأمثالهم يشملهم الوعيد الشديد، في حق المعرض عن الذكر؛ المحروم من أسباب السعادة والأجر، الذين قال الله في أمثالهم متوعدًا زاجرًا: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (سورة طه: ١٢٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (سورة الزخرف: ٣٦-٣٧) - وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (سورة الكهف: ٢٨).

فاتقــوا الله عباد الله، واعــمروا أوقاتكم بذكــر الله؛ فالذكر مظــهر لشكر نعم الله، وأمان مــن الغفلة عن الله، وحــياة للقلوب، وقــد أفلح والله من كان لســانه رطبًا بذكر الله.

أعــوذ بالله من الشيطان الرجــيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٤١-٤٣).

نفعني الله وإياكم بهدي كــتابه. أقول قولي هذا، وأستــغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله، يسعد بذكره الذاكــرون، ويشقى بالغفلة عنه الغافلون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شــريك له، وأشهد أن مــحمدًا عــبده ورسوله الصــادق المأمون. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم - أي عند ربكم - وأرفعها لدرجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ذكر الله عزَّ وجلَّ»**. وليس بعد هذا البيان النبوي لواعظ أن يقول شيئًا.

٨- في الحث على المحافظة على كتاب الله
لمناسبة طبع اليهود للقرآن وحذف آيات منه

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، أحمده سبحانه، أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أكرم الخلق على الله، وأحسنهم خلقًا، وأوضحهم منهجًا. اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله؛ أرأيتم رأس المال حين تقل العناية به ويهمل أمره، أفلا يكون عرضة لسطو المعتدين، وانتهاب المنتهبين، إنه يا عباد الله مثل للقرآن العظيم؛ فهو رأس مال المسلمين، وزادهم الذي يتزودون به فيوصلهم إلى الغاية الحميدة. وإن من البوادر التي لا تبشر بالخير إعراض البعض من المسلمين عن القرآن وإهمال أمره، والشعور نحوه أنه مجرد رمز للدين الإسلامي، يكفي أن يعلق كتحفة في المساجد، لا أنه دستور وكتاب هداية وتشريع، فتحاكموا إلى القوانين الوضعية وطرحوه، وأضاعوا رأس مالهم؛ إذ تباعدوا عن القرآن وجانبوه، فكانوا ممن عناهم الله بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (سورة القصص: ٥٠).

وفريق من المسلمين كان حظ القرآن من عنايتهم به أن تكتب به تمائم وأحجبة، أو يقرأ على الأموات في القبور والمياتم، أو يستجدي به الناس، معرضين عن مواعظه وتذكيره، وبشائره ونذره، وعده ووعيده، فاستغلت الشرذمة الخاسرة - شرذمة اليهود - غفلة المسلمين عن القرآن، وتشاغلهم عنه، فحاولت محاولة فاشلة، حاولت أن تدس على المسلمين في قرآنهم، وأن تلبس عليهم في دينهم؛ لتمحو فضائحهم

التي نبه المسلمين إليها القرآنُ ليحـذروهم، ولئلا يركنوا إلى موالاتهم ومسالمتهم أبدًا، لأنهم أعداء ألداء للمسلمين في كل زمان، كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (سورة المائدة: ٨٢). وقال تعالى في نفـاقهم وممالأتهم لأعداء الإسـلام، ولعنته لهم، وغـضبه عليـهم، ومسـارعتهم في البـاطل، وأكلهم الرشوة، وغير ذلك من جرائمهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة المائدة: ٦٠-٦٢).

وقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة النساء: ١٦٠-١٦١).

وقال تعـالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ (سورة المائدة: ٤١-٤٢). إلى غير ذلك مما أوضحه القرآن من أخلاقهم ورذائلهـم. فهو الكتاب الخالد على مر الدهور، الذي يسـجل على اليهـود فضائحـهم ونقائصـهم؛ وهيهـات أن يفلحوا في خطـتهم الإجرامية، أو ينجحوا في التخليـط في كتاب الله، بالحذف منه، أو الزيادة فيه، وقد ضمن الله حـفظ كتابه من عبث العـابثين، وتحريف المضللين، كما قـال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩).

وتكفل ببقـائه إلى الأبد، نورًا يُهتدى به، وآية كـبرى لتأييد الإسـلام، وظهوره على سائر الأديان كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (سورة التوبة: ٣٣).

ولئن صح أن تمكن اليهود من طبع الكتاب العزيز، محذوفًا منه ما أرادوا حذفه من آياته، فلن يتمكنوا من محو القرآن من صدور الحفاظ، وهم بحمد الله في الأمة - رغم انصراف البعض عن القرآن - هم عدد كبير، وبهم تقوم الحجة، ويحفظ الله كتابه. غير أن الواجب يحتم على المسلمين أن لا يغتروا بذلك، وأن لا يستنيموا عن الأخذ بثأر هذه الطعنة التي وجهت إليهم في الصميم، وخاصة أبناء هذه المملكة السعيدة، التي شع فيها أول قبس للقرآن، وتتابعت فيها أنواره حتى اكتمل، والتي تعتز بتحكيم القرآن وباتخاذه دستورًا وإمامًا على مر الزمان، يجب أن تكون هي الطليعة في رسم الخطط للعناية بالقرآن، والمحافظة على كل آية فيه، وكل حرف من حروفه؛ والناس في ذلك تبع لهم.

ويجب أن تتضافر الجهود لفحص كل مصحف في مختلف الطبعات، فحصًا دقيقًا شاملاً للرسم والوضع والترتيب والشكل، بالإضافة إلى بذل المعونات السخية بقدر الإمكان، للتشجيع على حفظ القرآن والإكثار من المدارس الخاصة بتحفيظه وتلك هي الخطوة العملية، التي يجب أن تتخذ للمحافظة على القرآن من كيد الكائدين ودس المبطلين، وترتفع به عن أهواء المغرضين المضللين، وسوف يكتب الله عليها الأجر العظيم للعاملين؛ إذ هي من النصيحة الواجبة لكتاب الله ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (سورة الحج: ٤٠).

فأين أين من يستجيب؟ أين من يغار على القرآن الكريم؟ فهذا يوم الغيرة على القرآن، يا أهل القرآن فهل من أذن واعية؟ أما الانتقام العادل الذي سوف ينزله الله باليهود أعداء الله ورسوله، جزاء كفرهم وتماديهم في الطغيان، وجرأتهم على الله وكتابه والمسلمين، فهو واقع بهم لا محالة، وتلك سنة الله فيمن بغى وطغى ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** ﴾ (سورة فاطر: ٤٣)، وإن الله سبحانه يمهل ولا يهمل، كما في الحديث: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**».

فاتقوا الله عباد الله، وأعدوا للأمر عدته، واحـزموا أمركم للمحافظة على كتاب ربكم، ولتصـدق منكم النيات لعـمل كل ما في وسعكم للـذود عنه، وإحلاله المكان اللائق به، وحسبكم به دستورًا، وكتاب هداية ورشاد، وعلم وخير وبركة، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت: ٤٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ① قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ② مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ (سورة الكهف: ١-٣).

نفعني الله وإياكم بهدي كـتابه. أقول قولي هذا، وأستـغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العزيز الغفار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمـدًا عبده ورسوله، اهتدى بهديه المهتدون وضل عن سـبيله الفجار. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. عبـاد الله، صح من حديث أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: **سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنها ستكون فتنة. قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟، قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم؛ هو الفصل ليس بالهزل؛ من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله؛ هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم».** أو كما قـال ﷺ. وإن كتابًا هذا شأنه، من واجب المسلمين أن يعرفوا له قـدره، وأن يحافظوا عليه بكل ما يملكون من وسائل وأن يصونوه من عبث العابثين وكيد الكائدين.

٩ - في بيان أهداف الدين لإصلاح مظهر المسلم ومخبره

الحمد لله المطلع على السرائر والخفيات، أحمده سبحانه على ما أولاه من الإنعام وعظيم الهبات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، رسم مناهج الإصلاح، وحذر من الزلل وعواقب السيئات، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن المجتمع الإسلامي الرفيع، يتطلب من أفراده الكمال الذاتي مظهرًا ومخبرًا، والترفع عن الإثم والرذيلة، ظاهرًا وباطنًا، لأن الإسلام قد عني بتهذيب المظهر، كما عني بإصلاح المخبر، فأصلح العقائد بالتوحيد، ونظم به الصلة بين الخالق والمخلوق، يفرد المخلوق بالعبادة دون تشريك أو مزاحمة، وذلك اصلاح المخبر. كما أصلح الإسلام الروابط بين الجماعة الإسلامية، بتكوين الخلق القويم، نظم به الصلة بين الأفراد، بحيث لا يبغي أحد على أحد، وبحيث يرى المسلم لأخيه ما يراه لنفسه، من حقوق وواجبات والتزامات، في العقود والمعاملات وغيرها؛ وذلك إصلاح المظهر.

وإن من مناهج إصلاح المظهر والمخبر، وصلاح الدين والخلق معًا، ما رسمه رسول الله ﷺ بقوله: **«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»**. فالخيانة في الأمانة في أي شكل من الأشكال، وبأي وسيلة من الوسائل، هي دليل واضح على مخالفة الخائن لمخبره، وذلك خلق المنافقين.

من أجل ذلك، ارتفع الإسلام بأتباعه عن هذا الحق المشين، واستعاذ رسول الهدى بالله من الخيانة، لعظم خطرها على المجتمع، ولما يترتب عليها في الآخرة من سوء المصير، يقول رسول الله ﷺ : **«وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة»**، وليست الخيانة مقصورة على عدم أداء الودائع، ولكنها عامة شاملة، ففرائض الله التي افترضها على العباد، من صلاة وزكاة وصوم وحج، وغير ذلك كلها أمانات لا تصح الخيانة فيها وتكون الخيانة فيها بتركها، أو بالتقصير عن أدائها على الوجه المشروع؛ والتعامل بين الناس في مختلف الوجوه أمانة، وتكون الخيانة فيها بعدم القيام بالحق الواجب نحوه؛ فالغش والتدليس، والتطفيف في الكيل والوزن، والرشوة وأكل أموال الناس بالحيل والباطل، كل ذلك خيانة تفسد الصلة بين المسلمين، ويغدو بها العبد من الخاسرين.

أما الكذب فهو ظاهرة بينة بتفاهة الكاذب، وضعف نفسيته، وانحلال خلقه، ولقد نفى الرسول الكريم عن المسلم أن يكون كذابًا، قيل له: **يا رسول الله هل يكون المسلم جبانًا؟، قال: «نعم»، قيل: ويكون بخيلاً؟، قال: «نعم»، قيل: ويكون كذابًا؟، قال: «لا»**. وما ذاك إلا لأن الكذب وصمة عار تهدم شخصية المسلم في المجتمع، وتعرضه لعقاب الله يوم تبيض وجوه الصادقين وتغبر وجوه الكاذبين. كما قال تعالى: ﴿ **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ (سورة البقرة: ١٠). وقال أيضًا: ﴿ **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾ (سورة النحل: ١٠٥). وقال رسول الله ﷺ : **«إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار»**.

وأما الغدر بعد الأمان، ونقض العهد بعد توكيد الأيمان، وعدم الوفاء بما تعاقد عليه المرء والتزمه، فليس ذلك من خلق المسلم، بل هو خلق المنافقين، الذين يبطنون خلاف ما يظهرون. وقد أمر الله سبحانه بالوفاء بالعهد، ورعاية ما يلتزمه المسلم من حقوق، قال تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ (سورة الإسراء: ٣٤). وقال

أيضًا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (سورة المائدة: ١). وورد من الوعيد في حق الغادر، قوله ﷺ: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ... رجلاً أعطي بي ثم غدر». وقال أيضًا: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء يقال: هذه غدرة فلان بن فلان».

وأما الفجور في الخصومة، فهو مجانبة العدل فيها، والادعاء على الخصم بالباطل، وحشد شهود الزور لإقرار الحق المزعوم؛ ولقد ذم الله في محكم كتابه من يذهب إلى اللدد في الخصومة، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٤). أي شديد الخصومة كاذب في القول، مجادل بالباطل؛ كل ذلك انحراف عما رسمه الدين من مناهج إصلاح المظهر والمخبر، وتخلق بأخلاق المنافقين.

فاتقوا الله عباد الله وجانبوا الخيانة في الأمانة، والكذب في تصوير الواقع، والغدر بعد توثيق العهود، والفجور في الخصومة، يسلم لكم الدين، ويصلح بكم المجتمع، وتكونوا من المهتدين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٣١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: تصلح لجميع الخطب

الحمد لله الإله الحق المعبود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود والحوض المورود، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، فاهتدوا ـ يا عباد الله ـ بهديهما؛ والتمسوا خير السبل لسعادة الدنيا والآخرة في السير على نهجهما، فالسعادة بحذافيرها، في الاهتداء بنورهما، وصلوا على الهادي البشير، سيدنا محمد أكرم رسول وخير نذير، فلقد أمركم بذلك اللطيف الخبير: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب:٥٦). اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد نبي الهدى، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الآل والصحب الكرام النجبا، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك، يا خير من تجاوز وعفا. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر اليهود وأعوانهم من المسعتمرين، وألف بين قلوب المسلمين، ووحد صفوفهم، وأصلح قادتهم، واجمع كلمتهم على الحق يارب العالمين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا أرحم الراحمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحشر: ١٠). ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٣). ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

عباد الله . . . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠). فاشكروا الله على نعمه، واشكروه على آلائه؛ ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

١٠ - في مناسبة مولد المصطفى ﷺ

الحمد لله العزيز الحميد، أحمده سبحانه، خص الأمة الإسلامية بولادة خير الورى؛ وفضله على سائر العبيد؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب الخلق الحميد والنهج السديد.

أما بعد .. فيا عباد الله؛ إذا كان للمناسبات السعيدة أثرها في إحياء الشعور وإظهار السرور، فإن لإشراق شمس هذا الشهر على الوجود أثرها البارز، في إذكاء شعور الأمة الإسلامية وإعلان سرورها، لأنه يجدد لها مناسبة من أعظم المناسبات، ويعيد لها ذكريات من أروع الذكريات؛ إنها - يا عباد الله - مناسبة مولد المصطفى ﷺ، وذكريات اهتزاز إيوان الجبروت، وخمود جذوة الباطل، لإشعاع نور الحق، وإشراق شمس الهدى.

وإذا كانت عظمة العظماء دخيلة مستعارة، فإن عظمة المصطفى ﷺ أصيلة في أصوله، ممثلة في شخصه وخلقه ودينه، تقصر دونها عظمة كل عظيم، فسلالته كريمة، لم تنزل إلى مهاوي الرذيلة؛ ونشأته شريفة لم تتدنس بطيش الجاهلية وسفاهتها. سئل جده عبد المطلب عن تسميته محمدًا، ولم يكن يعرف هذا الاسم في أجداده، فقال: إني لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم. وقال عمه أبو طالب، في خطبة زواجه بخديجة رضي الله عنها: إن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به، شرفًا ونبلاً، وفضلاً وعقلاً، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل جسيم. ويقول ﷺ عن نفسه: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورأت أمي حين ولدتني أن نورًا خرج منها فأضاء قصور الشام».

إنه - يا عباد الله - نور الهدى أضاء الدنيا بولادة المصطفى ﷺ، فوضح الحق واستنار السبيل؛ ونشأ المصطفى يتيمًا، ولكنه لم يذق ذل اليتم ومرارة الحرمان؛ فلقد تولى رب العزة أمره، فأدبه وأحسن تأديبه، ونشأة على خير الخلال وحميد الخصال، ثم قال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم: ٤).

وشب المصطفى وترعرع، واستكمل دور النضوج، فبعثه الله هاديًا إلى الصراط المستقيم، وبشيرًا ونذيرًا ورحمة للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧)، فدعا الناس إلى ما فيه عز الدنيا وصلاح الدين، دعاهم إلى توحيد رب العالمين، فأذهل الطغاة من قريش أمره، حيث حطم كبرياءهم، إذ جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون. ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ (سورة المؤمنون: ٧١)، ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ٧١). فرموه بالسحر والكذب والجنون، فصبر وصابر، وجاهد أعداء الله بالسيف والسنان، حين لم تغن فيهم الحجة والتبيان، وكانت النتيجة نصر الحق وهزيمة الباطل. ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (سورة الاسراء: ٨١). وبعد أن أتم الله عليه النعمة بظهور الدين، ودخول الناس فيه أفواجًا، خُيِّر فاختار الرفيق الأعلى، ولحق بربه، ومات كما يموت البشر ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ (سورة الرحمن: ٢٦-٢٧).

مات ولم يمت دينه، إلا بين من يميت السنة ويحيي البدعة، لذلك كانت المجتمعات الإسلامية الواعية تحرص أشد الحرص على إحياء السنن، وإماتة البدع، فما أقيمت بدعة إلا وأميتت سنة؛ وكانت تحيي ذكرى مولد الرسول الأعظم، بأن تجدد عهدها لله، على إحياء ما اندرس من سنة رسول الله، وإماتة ما ارتفع من بدع الهوى والشيطان، مما لم يكن في خير القرون؛ لم تكن تحتفل بالمظاهر البراقة في شهر ويوم المولد، أو تعنى بإقامة الحفلات لقراءة قصة المولد، وبتعالي الأصوات بالترحيبات والموشحات، بالأصوات الشجية الندية، لأن في ذلك صرفًا عن سنة المصطفى وطاعة الرحمن، واتجاهًا إلى البدع لا يقره الإسلام.

فاتقوا الله عباد الله، واحرصوا على إحياء السنة وإماتة البدع، مما لم يأذن به الله، أو يشرعه رسول الله لتكونوا ممن عناهم ﷺ بقوله: «**طوبى للغرباء، الذين يتمسكون بالكتاب حين يترك، وبالسنة حين تطفأ**».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا** ﴾ (سورة الأحزاب: ٤٥-٤٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله؛ خلق الخلق لعبادته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله؛ لا يصح إسلام عبد إلا بمحبته، واتباع أمره واجتناب نهيه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، صح عن حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً**»، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة**»، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على هدى مستقيم. ويتضح من قول صاحب رسول الله ﷺ مبلغ حرص السلف على السنة، وتحذيرهم من البدعة؛ وكذلك يجب أن يكون المسلم، يعمل المشروع ويبتعد عن المبتدع.

١١ - في الحث على الدعـاء

الحمـد لله مجيب الدعـوات، وكاشف الكربات، أحمـده سبحـانه، يعلم السر والخفـيات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، وأشهـد أن سيدنا محـمدًا عبده ورسوله، خير من تضرع إلى الله في الشدة، وأرشد إلى صالح الدعوات. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله صحبه.

أما بعد .. فيـا عباد الله، عنـدما تشتـد الكروب، وتستحكـم حلقات المحن، وتتـابع الشدائد والخطوب، لن يكون أمـام المسلم إلا أن يلجـأ إلى الله ويلوذ بجانبـه ويضرع إليه راجـيًا تحقيق وعده، الذي وعد به عـباده المؤمنين إذ يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (سورة البقرة:١٨٦). ذلك لأن الدعاء وسيلة مشروعة يجب الأخذ بها إلى جـانب الوسائل المادية المحسوسة، لتبقى القلوب متعلقة بالله متجهـة إليه، ولئلا يتكل المسلم على الوسائل المادية وحدها، ويفتن بها، فتطغى الروح المـادية على الجانب الروحي، وينسى المرء أن الله سـبحانه فـوق تدبيره تدبيرًا، وأن وراء ما اعتمد عليه من الوسائل المادية فعلاً وتأثيرًا.

ولقد أوضحت السنة المطهرة، أن رسـول الله ﷺ كان إذا أهمه أمر رفع رأسه إلى السماء يلتـمس النجدة والفرج عند رب السماء - من ذلك أن ثقيـفًا عندما تجنت عليه، وهو يدعوها إلـى الله، جلس إلى ظل شجرة، ورفع رأسه إلى السمـاء ضارعًا إلى الله وقال: **«اللهم أشكو إليك ضـعف قـوتي وقلة حـيلتي وهواني على النـاس. يا أرحم الراحـمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى مـن تـكلني؟، إلى بعـيد يتجـهمني، أو إلى عدو ملـكتـه أمـري. إن لم يـكن بك علـيَّ غـضب فـلا أبالـي. ولـكن عـفـوك أوسـع لي. أعـوذ بـنور وجـهك الذي أشـرقت له الظلمـات، وصـلح عليـه أمـر الدنيـا والآخـرة من أن تُنزل بي غـضبك، أو**

تحل عليَّ سخطك. لك العتبى حتى ترضى. ولا حول ولا قوة إلا بك». وعندما نازلته قريش في بدر رفع رأسه ويديه إلى السماء وأخذ يدعو الله ويتضرع إليه، حتى أتم الله له النصر، وبعث ملائكة تقاتل في جيشه.

وكان إذا حزبه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك استغيث». ووجه أنظار الأمة إلى الدعاء بدعوة ذي النون، إذ دعا بها وهو في بطن الحوت قائلاً: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأنبياء:٨٧)؛ وقال: «إنه لم يدع بها مسلم في شيء إلا استجاب الله له». ففي هذا التوجيه النبوي الكريم بالقول والفعل ما يدفع النفوس المؤمنة الصادقة للأخذ بهذه الوسيلة الروحية، إلى جانب الوسائل المادية المشروعة، واللجوء إليها في معالجة البلاء، ودفع شر القضاء، كما ورد في الحديث: «إن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة»، وكما ورد أيضًا قوله ﷺ: «لا يرد القدر إلا الدعاء». وكما ورد أيضًا عنه ﷺ أنه قال: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل».

فعليكم - عباد الله - بالدعاء. ولكن المجتمع الإسلامي قد مني أخيرًا بفريق من الناس طغت عليهم الروح المادية فتنكروا لهذا المبدأ، مبدأ الإيمان بالأمور الروحية، وأخذوا يدعون إلى نبذ الاعتماد على الدعاء كوسيلة ناجحة، وإلى تعطيل هذا السلاح الروحي، بدعوى أنه سلاح العاجزين، ووسيلة العاطلين. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (سورة الكهف:٥). بل هو سلاح المؤمنين، ووسيلة الصالحين المهتدين؛ وحسب المسلمين فخرًا وأجرًا وهدى أن يقتدوا برسول الهدى ﷺ، حيث حث على الدعاء وأمر به ورغب فيه قولاً وعملاً - وخاصة في الشدائد، وهو لا ينطق عن الهوى، بل يرشد إلى الخير والهدى.

وإن من الأدلة الواضحة على نجاح هذا السلاح الروحي أن الذين يعتدون به قَلَّ أن يوجد بينهم من يبتلى بالعقد النفسية، ولا من يقدم على الانتحار تخلصًا من متاعب الحياة على زعمهم، لأنهم تدرعوا بهذا السلاح الروحي، فقوي إيمانهم، وتوسلوا به لسد المداخل على الشيطان، فقطعوا عليه الطريق إليهم.

فاتقوا الله عباد الله، خذوا بكل الوسائل المشروعة: روحانية ومادية، دعوات وابتهالات، أو أسبابًا ظاهرة مربوطة بمسبباتها، مع الاتكال على الله سبحانه؛ ففي ذلك صلاح أمر الدين والدنيا معًا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (سورة غافر: ٦٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله مالك الملك، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير؛ وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أكرم رسول وخير بشير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله؛ يقول رسول الله ﷺ: **«ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة، إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها؛ ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»، فقال رجل من القوم: إذن نكثر من الدعاء. فقال رسول الله ﷺ: «الله أكثر»،** أي أكثر إحسانًا وتفضلاً مما يسأله العباد. فأكثروا - يا عباد الله - من الدعاء للرب الكريم بحاجاتكم، فما خاب عبد سأل الكريم، وأنزل حاجته بالرب العظيم.

١٢ - في الحياة الزوجية السعيدة

الحمد لله الكريم المنان، أحمده سبحانه، خلق الإنسان من نفس واحدة، وهو الواحد الديان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، بعثه الله رحمة لأهل الإيمان، وحجة على أهل الظلم والعدوان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، في ميدان التعاون الإنساني شرع الإسلام أنواعًا من الشركات، تتضافر فيها الجهود والأموال، وتتحقق بها مصالح المجتمع؛ كما شرع شركة الزواج، لبناء المجتمع الصغير، والتعاون على تكوين الأسرة، والتضامن على كل ما فيه مصلحة الأولاد وسعادتهم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (سورة النحل: ٧٢).

هذه الشركة المباركة التي امتن الله بها على العباد من واجب كل من الشريكين أن يرعى فيها الحقوق الواجبة عليه بالنسبة للآخر، وأن يسير فيها بكل أمانة وإخلاص، وأن لا يأتي من الأمور ما فيه مضايقة لشريكه، وتزهيد له في مشاركته وأن لا يتأثر بأي مؤثر ضد هذه الشركة يحمل على الانفصال.

وقد رسمت التوجيهات القرآنية والتوصيات النبوية الخطة المثلى لضمان نجاح هذه الشركة، وتوفير الربح فيها، واغتنام الكسب في ظلالها، من ذلك قوله ﷺ في خطبة حجة الوداع التي وضع بها أسس العدالة، وعرض فيها لأمهات المسائل: «إن لنسائكم عليكم حقًا، ولكم عليهن حقًا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن - أي تحبسوهن - في البيوت، وتضيقوا عليهن، وتهجروهن في المضاجع،

وتضربوهن ضرباً غير مبرح ـ أي غير مجهد ـ فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان ـ أي أسيرات ـ لا يملكن لأنفسهن شيئًا؛ أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرًا». وفي التوصيات النبوية الكريمة ما يحمل الزوجين على حسن العشرة، وقيام كل منهما بما يجب عليه نحو الآخر، ليضمن كل منهما احترام الآخر، وتقديره ورعايته، واستدامة وده وعطفه، وبذلك تنجح شركتهما، وتربح ربحًا مضمونًا لا خسارة فيه ولا ندامة.

وأي ربح ـ يا عباد الله ـ أعظم من توفير السعادة في البيت، وتهيئة الفرص للتمتع بزينة الدنيا وبهجة الحياة؟، الذين قال الله عنهم: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (سورة الكهف:٤٦). أيُّ ربح أعظم من أن تنمو هذه الزهور المتفتحة، في جو مليئ بالمودة، عامر بالتفاهم، وتعيش في ظلال حدب الأبوة وحنان الأمومة، وينشأ تنشئة صالحة، يكون من ثمارها بر الأبوين، وصلاح الأبناء ونفع المجتمع؛ إنه ربح لا يعرف قدره، أو يدرك أثره، إلا من مُنِيَ بخسارة هذه الشركة، والإفلاس في هذه الرابطة، فيخسر بذلك بيته، ويفقد هدوءه واستقراره، ويفشل في تربية أبنائه تربية لها أثرها الطيب في مستقبلهم، إذ ينشأون في جو صاخب، يتمثل أمامهم على الدوام منازعات الأبوين واختلافهما، وتطاول كل منهما على الآخر، وتنغرس فيهم بذور الشر، ويتلقون دروسًا عملية في التجني على الغير، والإساءة إلى البعيد والقريب، ويخرجون إلى المجتمع بشرورهم التي نشأوا عليها، فيكثرون فيه الجرائم، ويكونون عبئًا ثقيلاً عليه.

من أجل ذلك، قامت تعاليم الدين برسم الخطط لشركة العمر، الممثلة في الحياة الزوجية، في كل وضع، وفي كل اتجاه، ففي الأوضاع السليمة وضعت الوصايا الكريمة لكلا الزوجين لتنظيم شركتهما، تنظيمًا يضمن الوفاق، ويباعد عن الشقاق. قال تعالى موجهًا خطابه للرجال: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (سورة النساء:١٩). أي: طيبوا أقوالكم، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم، كما تحبون ذلك منهن.

قال رسول الله ﷺ : **«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»**، وقال أيضًا ترغيبًا في المحافظة على حق الزوج وتقديره ورعايته : **«أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة. لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»**، لعظيم حقه عليها.

وعندما يتحول الوضع، وتتغير النفوس، ويتصدع صرح الوئام، عندئذ ندب رب العزة إلى الصبر والاحتمال أملاً في نتيجة الصبر وصلاح الحال، كما قال تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: ١٩). أي عسى أن يكون صبركم في إمساك النساء مع الكراهة فيه لكم في الدنيا والآخرة؛ وكما قال ﷺ : **«لا يفرك - أي يبغض - مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر»**؛ ألا وإن في الشركاء من ترتفع أسهمه ويمتاز بها، ويكون له الحظ الوافر في الربح وعليه القدر الأكبر في الخسارة لو خسرت الشركة، وذلك مثل للرجل، حيث جعله الله قيمًا على المرأة، يتميز عنها بحقوق لا يمكن أن تنازعه فيها، فيتولى إدارتها، وعليه وحده يتوقف نجاح الشركة أو فشلها، فإن كانت قيادته رشيدة قاد المرأة إلى سعادة الدنيا والآخرة، وإن كانت الأخرى كان عليه من الخسارة بقدر ما فرط، فهو الراعي المسؤول؛ كما جاء في الحديث: **«الرجل راع ومسؤول عن رعيته»**.

فاتقوا الله عباد الله، وحافظوا على شركة العمر، ورابطة الحياة، ففي المحافظة عليها توفير السعادة والهدوء والاستقرار في المجتمع الصغير، مجتمع الأسرة ورعاية الأبناء، وتربيتهم في عز الأبوين وعطف الوالدين، وذلك هو الربح الوافر لشركة الزوجين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (سورة النساء: ١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله؛ لا يؤمن عبد حتى يحبه أعظم من محبة الوالد والولد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسوك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، لقد كان من أخلاق النبي الكريم في عشرة نسائه أن كان دائم البشر، ضاحك السن، لا يعرف التعبيس لهن، ولا تقطيب الوجه وإظهار الكراهة، فضلاً عن السباب والشتائم، ووضع مشاكل الحياة ومصائب الدنيا عليهن؛ وقد قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (سورة الأحزاب: ٢١). فتأسوا - يا عباد الله - بأخلاق المصطفى ﷺ، وسيروا على نهجه، فإن السعادة بحذافيرها في انتهاج نهجه والتأسي به.

١٣ - في الحث على بر الوالدين والتحذير من العقوق

الحمد لله أحكم الحاكمين، أحمده سبحانه؛ أمر ببر الوالدين، وقرن الوصية بهما بالحق الواجب له على سائر العالمين؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد المرسلين وإمام المتقين، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، إن من توصيات الدين وما حث عليه من المحاسن والفضائل مقابلة الإحسان بالإحسان، وبذل الجزاء للمحسن؛ تقديرًا لإحسانه، واعترافًا بجميله - يقول رسول الله ﷺ في حديث طويل: **«من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له، حتى تروا أنكم قد كافأتموه»**. فإذا انعكس الوضع فقوبل الإحسان بالإساءة، وجوزي المحسن بالجحود، كان ذلك تنكرًا للجميل، وخروجًا على ما رسمه الدين لأتباعه، من المكافأة على المعروف، وضرورة مجازاة المحسنين - وإذا قيس كل جميل ومعروف، يبذله الناس لبعضهم في هذه الحياة، بجميل ومعروف الوالدين بالنسبة لأولادهم، فإن جميلهما يربو على كل جميل، ويفضل كل منه، من أجل ذلك وجه الباري جل وعلا الأنظار إلى عظيم منّتهما، بالوصية بهما، قيامًا ببعض حقهما، ورعاية لإحسانهما، وتقديرًا لفضلهما. فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ (سورة العنكبوت:٨). وقال أيضًا: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ (سورة لقمان:١٤). غير أن بوادر السوء، أن يكون في الناس من لا يرفع رأسًا بهذه الوصية الكريمة، ويغدو يتنكر لجميل والديه، مصعرًا لهما خده، شامخًا عليهما بأنفه، معتزًا بشبابه، أو بجاهه وماله، أو بثقافته وتعليمه، متناسيًا ماضيه، وقد كان فيه ملء

السمع والبـصر من والديه، وموضع الرعاية والعناية، طفـلاً رضيعًا، فـصبيًا فـغلامًا يانعًا، فشـابًا مكتمل النضوج، يمضي وكـأنه لا يذكر لحظة من لحظات ذلك الماضي، الحافل بالمنن والأيادي السابغة للوالدين، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداه إلى الإساءة إليهمـا، في أبشع صور الإساءة، بحيث تبلغ الضرب والإهانة، وقـد تقتصر على التأفف والتذمر.

ومن الإساءة إليهما التشهير بهما بشتى الأساليب، واستعداء الغير عليهما بالكتابة عن تصرفاتهما في الصحف، وأنهما لا يسايران ميول الأبناء، وأنهما لا يسمحان لهم ببناء مستقبلهم كما يريدون، ويصادران حـريتهم؛ فلا يصادقون أو يصاحبون إلا تحت إشرافهما ورعايتهما؛ وكل ذلك ـ يا عباد الله ـ عقوق محرم وخروج على أمر الله في الوصية بالوالدين، وسوف يلقى العاق جزاء عـقوقه، حيث يشقى في الدنيا، ويصلى في الآخرة عذاب الجحيم.

أما شقاء الدنيا فقـد أوضحه الرسول ﷺ بقوله: **«كل الذنوب يغفر الله منها ما يشاء إلا عقوق الوالدين، فإنه يعجل لصاحبه في الحياة قبل الممات»**. ومن شقائه في الدنيا أن يعقـه ولده جزاء وفـاقًا، كـما جاء فـي الحديث: **«بروا آباءكم تبـركم أبناؤكم»**. والعكس في ذلك مفـهوم من الحديث، أي إذا لم يكن منكم بر للآباء، فلا تـطمعوا في بر الأبناء. وأما عذاب الآخرة، فقد صوره رسول الهدى بقوله: **«يا معشر المسلمين، إياكم وعقوق الوالدين، فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجد ريحها عاق»**، وحسب العـاق نكدًا وخسرانًا أن يبوء بـسخط الله ويحرم من رضائه؛ فـرضا الله في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما، كما صح بذلك الحديث.

ثم إن السعـادة والمستـقبل بيـد الله، لا دخل للوالدين في ذلك، فقـد كتب الله للعبد رزقه وأجله، وشقاوته وسعادته وهو في بطن أمـه؛ فهو يسير في حياته على ما قدره الله له وكتبه له في الأزل. فدعوى أن الآباء يقـضون على مستقبل أبنائهم، هي مجرد وهم، يركـزه الشيطان في نفوس البعض من الشـباب ليستدرجـهم إلى العقوق

المحـرم؛ وعلى فرض أن الوالـدين أخطآ في التوجيـه واشتطا على الولد في طلب الطاعة العميـاء، فهما المسؤولان أمام الله عن تصرفهـما؛ فالأولاد أمانة في أيديهم، استرعـاهما الله اياها؛ وكل راع مسؤول عن رعـيته. أما الولد فـمن واجبه أن يذ عن ويستجـيب لوالديه، مهما كلفـه ذلك امتثالاً لأمر الله وطلبًا لرضوانه، إلا أن يأمراه بمعصية الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فاتقـوا الله عبـاد الله، واحرصوا كـل الحرص على رضا الوالـدين، وحذار من عقوقهما حذار، فهما جنة العبد وناره، كما صح بذلك الحديث.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (سورة الاسراء: ٢٣-٢٤).

نفعني الله وإياكم بهدي كـتابه. أقول قولي هذا، وأستـغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله يقبل التـوبة عن عباده، ويعفو عن السيـئات؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـهد أن سيدنا محـمدًا عبده ورسـوله، جاء بالهدى والآيات البينات. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عبـاد الله، صح من حديث رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا يجزي ولد والدًا، إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه ويعتقه»**. وفي ذلك ما يوجه الأنظار إلى عظم حق الوالدين، وإلى أن جمـيلهما لا يكـافأ بجميـل، وفضلهمـا على الولد لا يعدله فضل، فاعرفوا - يا عباد الله - لهما الحق بالمبالغة في برهما تكونوا من المفلحين.

١٤ - في ضرورة الأخذ على أيدي النساء المتبرجات

الحمـد لله ألهم كل نفس هداها. ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (سورة الشمس:٩-١٠). أحمده سبحانه، يذل العصـاة فلا عزة لمن أذله، ويعز المتقين فلا ذل لمن أعزه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، بيده الملك وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيـدنا محمدًا عبده ورسوله، البشـير النذير، والسراج المنير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، لقد ضرب رسول الله ﷺ مـثلاً لشفقته على أمته، والحرص على هدايتها، والحيلولة بينها وبين ما يهلكها، ويوردها موارد التلف، ضرب المثل لذلك برجل استوقد نارًا، فلما وضح الطريق، استبدل الناس بالهداية الوقوع في النار، فأخـذ يمنعهم شـفقـة عليهم من الحـريق والتلف، ولكنهم يأبون إلا التـهافت عليها، والاصطلاء بحرها والوقوع في جحيمها، يقول رسول الله ﷺ: «**إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارًا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحُجَزِكم، وأنتم تقحمون فيها**».

وأي نار - يا عباد الله - يقتحمها الأحبة من أبنائنا وإخواننا، والأكرمين علينا، أشد فتكًا من الكاسيـات العاريات، اللائي أخبر عنهن رسـول الله ﷺ فكان هذا الإخبار معجزة من أبرز المعجزات، تحققت كما أخبر؛ يقول رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كسايات عاريات، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها؛ وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**».

أما الكاسيات العاريات فهن اللائي يسترن بعض أجسادهن، ويكشفن البعض الآخر، إظهارًا للزينة المحرمة ـ وليفتتن بهن الشباب، فيلبسن الثياب القصيرة، تكشف عن الأذرعة والسيقان والنحور، وغير ذلك مما يجب ستره؛ أو يلبسن ملابس رقيقة تصف لون الجسم، ويدخل في ذلك الجوارب الشفافة. والمميلات المائلات: هن اللائي يمشين متبخترات، مميلات لأكتافهن، لإمالة قلوب الرجال إليهن، والافتتان بمحاسنهن؛ أما رؤوسهن التي شبهها رسول الله ﷺ: **«بأسنمة البخت المائلة»**، أي أسنمة الإبل العظيمة، فهي الرؤوس المكبرة بما يلف عليها، تصنعًا للزينة والإغراء والمخادعة. وقد أعد الله لهذا الصنف من النساء نار جهنم، يعانين من ألوان عذابها، كما أغرين الرجال في الدنيا بألوان من المغريات؛ فمن تطيب عند خروجهن من البيوت، إلى مزاحمة للرجال في المساجد والأسواق، إلى تحدث لغير المحارم، وكشف عما لا يجوز كشفه من أجسادهن؛ وكل ذلك ـ يا عباد الله ـ حرام وعار، ومصيره الدمار. ولقد كان أول جرم بني إسرائيل انطلاق نسائهن متبرجات للفتنة والإغراء ـ فكان ذلك سبب دمارهم، فابتلاهم بالطاعون، فتك بهم في ساعة من الزمن فتكًا ذريعًا.

فخذوا ـ يا عباد الله ـ العبرة من مصيرهم، واحذروا نقمة الله وأخذه، إن أخذه أليم شديد. لنحمل جميعًا حملة صادقة على هذا الانحلال الخلقي، لنحول دون وقوع الأحبة من أبنائنا وإخواننا، وجميع أفراد أسرنا في هذه النار المضطرمة، لئلا يصطلوا بها، فذلك عزيز علينا، ومؤلم لنا. لقد فضلنا الله معشر الرجال بأن جعلنا قوامين على النساء، فيجب أن نقوم بهذ الحق خير قيام، يجب أن نأمرهن بأمر الله، ونأخذ على أيديهن في كل مجاوزة وتعد لحدود الله، يجب أن نقودهن إلى الطريق الراشد، لتنجح المحاولات في تكوين الأم الصالحة، فالأم هي الدعامة لبناء المجتمع،

فإذا سلمت الدعامة من العطب سلم المجتمع من التخريب والدمار. أما إذا أهملنا هذا الحق الذي أوجبه الله علينا وجعله سلاحًا في أيدينا، فعلى المجتمع السلام، وغدًا سوف يندم المفرطون، وهيهات أن ينفع الندم بعد فوات الفرصة واتساع الخرق، سوف يندم المفرطون لأنهم خنعوا واستسلموا لناقصات العقل والدين، كما وصفهن بذلك رسول الله، فَعَلَوْن على أكتافهم، وسحبنهم بغير زمام، سوف يندم المفرطون عندما يقفون أمام الجبار يوم الحسرة والندامة، ويسألهم عن القيام بحقوق هذه الرعاية التي جعلها للرجال على النساء، وعن المسؤولية التي حملهم إياها بخصوصهن. فالرجل كما جاء في الحديث: «راع ومسؤول عن رعيته»، بما في ذلك النساء من بنات وزوجات وأخوات. ألا فاتقوا الله عباد الله واستمعوا لقول الله تعالى في تحديد ما ألزم به النساء من فروض الحشمة والواجبات المتعلقة بصيانتهن والمحافظة على عفتهن.

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة النور: ٣١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمـد لله الحكم العدل، فلا حكـم أعدل من حكمه، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، لا راد لأمره، ولا مـعقب لحكمه، وأشـهد أن مـحمدًا عـبده ورسـوله، نبي الهدى، والأمين المـبلغ لرسالات ربه. اللهـم صل وسلم على عبـدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عـباد الله، أثر عن أم المؤمنين عائشة ﵂، وقـد رأت ما أحدثه النساء على عـهدها، أثر عنها أنهـا قالت: **«لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدثه النساء بعده لمنعهن المساجد، كما مُنِعَت نساء بني إسرائيل»**. وإذا كان النساء في العـصر المفضل قد أحدثن أمورًا لم تكن مشروعة أنكرتهـا عليهن أم المؤمنين، فكيف بنساء قد تأخر بهن الزمن كثـيرًا، ولـم يجـدن من الأفكار ما يردعهـن، فليس بدعـًا أن نرى المنكر منهن معلنًا في المساجد والأسـواق، وكأنه شيء عادي مألوف لا منكر مفضـوح، سيؤاخذ الله عليه الخاصة والعامة.

أسأل الله لنا التوبة من التقصير، والمغفرة على التفريط.

١٥ - في التنفير من اليأس والقنوط والحث على تحسين الصلة بالله

الحمد لله أرشد أولي البصائر لطاعته، وتحسين الظن به؛ أحمده سبحانه يهدي من يشاء بحكمته، ويبعدهم عن مسالك القانطين من رحمته؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد العارفين بربه، وخير الهادين إلى صراطه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، شر ما مُنيت به النفوس يأس يميت الشعور، وقنوط تظلم به الدنيا وتتحطم الآمال؛ واليأس والقنوط بمعنى واحد، ذكرهما الله تعالى في آيتين من كتابه، في معرض الذم لهما والتنفير منهما؛ لأنهما من كبائر الذنوب، فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة يوسف:٨٧). وروح الله رحمته، ورجاء الفرج عنده. وقال في القنوط: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ (سورة الحجر:٥٦)، فأوضح سبحانه أن المؤمن لا يكون يائسًا قانطًا، بل يكون على الدوام مؤملاً راجيًا؛ يؤمل رحمة الله وعفوه، مع العمل بطاعته، ويرجو مغفرته ومثوبته. ولقد أطمع الله عباده في رحمته وعفوه، وعلق أملهم في مغفرته إذ يقول: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة الزمر:٥٣). وبقوله سبحانه: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (سورة الأعراف:١٥٦).

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «يابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي؛ يابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم

استغفرتني غفرت لك؛ يابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»، أي بما يقارب ملأها مغفرة.

وكل ذلك - يا عباد الله - وما في معناه، من آي الكتاب العزيز، وأحاديث المصطفى ﷺ لمما يفتح باب الأمل والرجاء أمام المسلم، ويصرفه عن اليأس والقنوط، ويجعله ينظر إلى مستقبله في حياته الأخرى نظرة المتفائل، الذي يحسن الظن بالله، ويغلب جانب عفو الله ورحمته ومغفرته على جانب مؤاخذته وعقابه وأليم عذابه، مع الخوف من ذلك، وذلك شأن المؤمنين.

حدث الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»، وتحسين الظن بالله - يا عباد الله - يجب ألا يكون مقصورًا على زمن دون آخر، أو على حالات معينة، وحوادث مخصوصة، فكما يجب أن يحسن العبد ظنه بالله وهو مقبل عليه، يرجو عفوه ومغفرته، كذلك يجب أن يحسن الظن بالله في كل ما يعرض له في هذه الحياة من متاعب وشدائد، ومحن ومصائب. فإذا ابتلي المرء بالمرض أو الفقر، أو بجائحة من الجوائح، أو اكتنفه الدين، وجب عليه ألا ييأس من فرج الله، وألا يقنط من رحمته، بل يجب أن يحسن الظن بالله، ويوقن أنه ما ابتلي بما ابتلي به إلا ليرفع الله درجاته، أو يدفع عنه شرًا أعظم مما ابتلاه به، أو ليعوضه عما فقده خيرًا في عاجلته أو آجلته، كما جاء في الحديث: «من يرد الله به خيرًا يصب منه» - أي يبتليه - وجاء في الحديث أيضًا: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم».

فالذين ينظرون إلى هذه الحياة بمنظارهم الأسود، إذا نزلت بهم نازلة، أو ابتلوا بفقر أو مرض، أو بغير ذلك مما يكدر صفو العيش، يئسوا من الفرج، وسكن في أنفسهم أن بلواهم سوف تطول، وأن أمراضهم سوف تأخذ بهم إلى القبور، وأن

الشدائد سوف تلاحـقهم، وأن المحن لا تفتأ تنزل بهم، أولئـكم - يا عباد الله- ممن لا يحسنون الظن بالله، فكم من فقير أبدله الله من فقره غنى وجاهًا عريضًا.

حدث عتبة بن غزوان ﷺ - في خطبة خطبها - وهو يقارن بين ماض كان يعاني فيه شظف العيش، وحاضر أبدله الله فيه بالنعمة فقال: **لقد رايتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، والتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتزرت بنصفها، واتزر سعد بالنصف الآخر؛ فما أصبح اليوم منا أحد إلا وكان أميرًا على مصر من الأمصار.**

كان ذلك - يا عباد الله - في الماضي وله من الأمثلة في الحاضر ما يفوق الحصر. فكم من مريض قطع الأطباء بموته، فمن الله عليه بالشفـاء والصحة الوافرة، وسبحان من يحيي العظام وهي رميم.

فاتقـوا الله عبـاد الله، واعلموا أن تحـسين الظن بالله في كل حال والأمل فـيه، ورجاء ما عنده من الفرج والعافية والعفو والمـغفرة، خير من اليأس من فرجه، وتأميل الخير عنده.

أعوذ بالله من الشـيطان الرجيم: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (سورة الإسراء: ٨٣). ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً﴾ (سورة الإسراء: ٨٤).

نفعني الله وإياكم بهدي كـتابه. أقول قولي هذا، وأستـغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: تصلح لجميع الخطب

الحمد لله واسع الفضل جزيل النعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير خلق الله من عرب ومن عجم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب - أي مرض - ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه»**. وفي ذلك - يا عباد الله - فتح باب الأمل العظيم، والرجاء في كرم الله؛ وهو مما يدفع المؤمن لتحسين الظن بالله، وعدم اليأس والقنوط من فرج الله وعفوه. فاقطعوا - يا عباد الله - جذور اليأس من قلوبكم، وحسنوا الظن بربكم، تكونوا من المفلحين. وصلوا على رسول رب العالمين، محمد النبي الأمين، فقد أمركم الله بذلك في كتابه المبين: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦).

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد نبي الهدى، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة - أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - أهل الصدق والوفا، وعن الآل والصحب الكرام النجبا، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك.

إلهنا المرتجى: اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر اليهود وأعوانهم من المستعمرين، وفرق اللهم كلمتهم، اجعل بأسهم بينهم، وألف بين قلوب المسلمين ووحد صفوفهم، وانصر قادتهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين؛ اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك.

١٦ - في بيان حقيقة التوكل والأخذ بالأسباب المشروعة والتحذير من الركون إلى الأسباب وترك المسبب

الحمد لله فاطر السموات والأرض، له الملك وله الحمد، وهو على كل شئ قدير. أحمده سبحانه، لا ولي من دونه ولا نصير؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد المتوكلين على الله ربه، فأعظم به من مرشد وبشير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، حصن حصين، وركن ركين، من اعتصم به عصم، ومن ركن إليه رشد، ذلكم - يا عباد الله - هو التوكل على رب العالمين، التوكل الصادق الذي تنبعث إشعاعاته من القلب، وتبدو آثاره واضحة على المؤمن، في تصرفاته واتجاهاته، وفي استسلامه لأقدار الله ورضائه بقضائه، وفي تفويض الأمور إليه. ولقد ذكر الله عباده المؤمنين في محكم التنزيل، ووصفهم بخير صفاتهم، وكان مما وصفهم به قصرهم التوكل على الله يقينًا به، وثقة بما عنده، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (سورة الأنفال: ٢). أي يعتمدون بقلوبهم عليه، ويفوضون أمرهم إليه، لاعتقادهم أنه المتصرف في الملك وحده، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وكان الجزاء على هذا التوكل الصادق عظيمًا ضافيًا، كان الجزاء هو كفاية الله بعبده المتوكل عليه، وتأمينه لمخاوفه ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (سورة الطلاق: ٣). أي: كافية، ومن تكفل الله بكفايته فلن يطمع فيه عدو، ولن يخيب له مطلوب ولا مرغوب.

على العكس من ذلك، التوكل المزعوم وهو الذي لا تنبعث أنواره من القلب، بل هو مجرد دعوى باللسان، ومن مظاهره فقد الثقة بالله، والاضطراب النفسي عند مواجهة الشدائد، بل لمجرد الظن والتخيل بأنها سوف تحدث أزمات وشدائد، ففي الناس من يبلغ به الاضطراب النفسي درجة تخرجه عن اتزانه، فإذا ما سمع ببعض المناورات في العالم، أيقن بضرورة نشوب حرب طاحنة، فاندفع إلى الأسواق يشتري السلع فوق حاجته، وخاصة الأقوات بأثمان مضاعفة، ليدخرها لليوم الأسود على زعمه؛ ويترتب على هذا التصرف اضطراب الأسواق، وارتفاع أثمان الأرزاق واحتكارها، ليطلب فيها أربابها في اليوم العصيب الذي يرتقبونه أرقامًا خيالية، ويذهب ضحية هذا التصرف الفقير والأرملة والمسكين، والعامل الذي لا يجد غير أجره اليومي، والموظف الذي لا دخل له غير المرتب الشهري.

وتلك هي النظرة المادية الطاغية، التي تقدح في توكل العبد على الله، واليقين به والاعتماد عليه، وليست هي من باب الأخذ بالأسباب المشروعة، ولا من باب اعقلها وتوكل، و لكنها من باب الاعتماد على الأسباب وترك المسبب، فحقيقة التوكل، وهو اعتماد القلب على الله، في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره؛ ولابد مع هذا الاعتماد على الله من مباشرة الأسباب المشروعة، وذلك كالتداوي من المرض، وكالسعي لكسب الرزق، وكزرع الأرض ابتغاء الثمرة، والاقتران بالزوجة طلبًا للولد، وليس من ذلك حشد الأقوات فوق الكفاية، وزيادة عن الحاجة، تأمينًا للمستقبل. فالمستقبل - يا عباد الله - يجب أن يترك لرب المستقبل، فالذي سخر للرضيع في حالة عجزه عن الأكل، سخر له ثدي المرضعة، وعندما اشتد وقدر على الأكل جعل فيه الأسنان، وسخر له الوالدين يحوطانه بالرعاية، حتى يصبح قادرًا على الكسب، الذي صنع ذلك ضمن لخلقه الرزق حتى الممات، وهو الحي الذي لا يموت، هو أرحم بعباده من الوالدة على ولدها، ولن يضيع عبد تكفل به مولاه وتولاه.

يقول رسول الله ﷺ لابن عمر في حديث طويل: «**فكيف يابن عمر، إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم؟**»، فوالله ما برحنا حتى نزلت: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ

رزقها اللهُ يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ (سورة العنكبوت: ٦٠). فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات، فمن كنز الدنيا يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله عزَّ وجلَّ، الا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهماً، ولا أخبأ رزقًا لغد».

فاتقوا الله عباد الله، واعرفوا الحق لأهله، وخذوا بالأسباب المشروعة، وتعلقوا بمسببها، تعلقوا بقلوبكم برب الأرباب وملك الملوك، من بيده ملكوت كل شيء، وهو القاهر القادر على كل شيء.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (سورة الطلاق: ٢-٣).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الحليم العظيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، النبي العربي الكريم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، جاء في أثر رواه الإمام أحمد أن الله عز وجل قال في بعض كتبه: «بعزتي إنه من اعتصم بي فكادته السموات بمن فيهن، والأرضون بمن فيهن، فإني أجعل له من ذلك مخرجاً؛ ومن لم يعتصم بي فإني اقطع يده من أسباب السماء،وأخسف من تحت قدميه الأرض، فأجعله في الهواء، ثم أكله إلى نفسه».

فاعتصموا - يا عباد الله - برب السموات والأرض، ليجعل لكم من كل ما يهمكم فرجًا ومخرجًا.

---

١٧ - في التحذير من شرب الخمر بكل ألوانه

الحمد لله الكريم الغفار، أحمده سبحانه، هو الحليم فلا يعجل بالعقوبة، القاهر الجبار؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، كريم السجايا، قدوة الأبرار؛ اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، أرأيتم اللؤلؤة الثمينة، كيف يحوطها العقلاء بالرعاية قيامًا بحقها، واعترافًا بفضلها وقيمتها، إنها - يا عباد الله - مثل للعقل فهو أثمن لؤلؤة، وهبها الله لعباده، وقد شرف العقلاء بالأمر والنهي والتوجيه، لاستعمال عقولهم فيما خلقت له، من طلب الحقائق بالتفكير والنظر والاستدلال، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الحديد: ١٧). ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الزخرف: ٣). ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الروم: ٢٨). ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الرعد: ٣).

هذه الدرة الثمينة، وهذه الأداة الصالحة، أداة التفكير والتبصر والتدبير، يوجد في الناس من لايعتني بأمرها، ولا يعترف بقيمتها، بل يسعى في إفسادها، بدافع من الشيطان، وحافز من الهوى المجانب لهداية الرحمن، فيضل بذلك عن سواء السبيل، ويخرج عن العقلاء الذين انتفعوا بعقولهم، واهتدوا بها إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم، أجل يوجد في الناس من يعمل على ضياع هذه الجوهرة، لمجرد متعة رخيصة محرمة، تفقد المرء توازنه، وتسقط كرامته وعدالته، إلى جانب ما يخسره من دينه وإيمانه، وما يجره على نفسه من نقمة الله وأليم عذابه؛ تلك المتعة - يا عباد الله - هي شرب الخمر بكل ألوانه، ولو سمي بغير اسمه، أو تشكل في غير أشكاله فالعبرة بالفعل لا بالمسميات.

والخمر: ما خامر العقل، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، أي ما خالط العقل وأفسده وأثر فيه وأفقد المتعاطي له اتزانه وسيطرته على نفسه، ومنه الحشيش والأفيون وغيرهما مما قذفت به المدنية الغربية الزائفة على بلاد الإسلام بأسماء مستعارة. لتفسد بها العقول والأديان، كما استعمرت وأفسدت الديار والأوطان، ولو لم يكن في الخمر إلا أنه رجس من عمل الشيطان كما أخبر الله بذلك في كتابه لكفى، ولكان للعقلاء عنه زاجر وفيه منفر، وكيف قد سماها رسول الهدى: أم الخبائث، لما تحدثه من الآثار السيئة في الفرد والمجتمع.

وصح عنه ﷺ مما ينفر منها ويحمل على الترفع عن شربها قوله: «**ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**». أي أن الخمر والإيمان لا يجتمعان، وما ذلك إلا لعظيم خبث الخمر، والإيمان شجرة طيبة، ولا يجتمع خبث وطيب في موضع واحد. وقد أوجب الإسلام على شاربها الحد فتمتهن كرامته، وتسقط في مجتمعه عدالته. وتوعد من تمادى في تعاطي الخمر حتى مات ولم يتب، توعده بأقبح ألوان العذاب، يقول رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يشرب الخمر كان حقًا على الله أن يسقيه من طينة الخبال**»، وهي عصارة أهل النار وقذارتهم، وقيحهم وصديدهم. وكل ذلك - يا عباد الله - مما يردع أصحاب العقول السليمة، والبصائر النيرة، عن المجازفة بدينهم، وفقد الكرامة في مجتمعهم، وتعريض نفوسهم لسخط الله وأليم عقابه في آخرتهم.

فاتقوا الله عباد الله، واستجيبوا لداعي الهدى، واربأوا بأنفسكم عن التدلي إلى الاستمتاع بالخبيث، وما يوجب سخط الرب جل وعلا، ولكم فيما أحله الله من الطيبات غنية عن كل ما حرم، وتوعد عليه كل من تجاوز حدوده واعتدى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ (سورة المائدة: ٩٠-٩١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم الوهاب، غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرشد إلى الهدى، وقمع بسيف الحق كل مبطل مرتاب. اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، صح من حديث رسول الله ﷺ أنه قال: **«لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه»**. وإن في هذا اللعن الشامل للخمر وكل من له صلة بها مزدجرًا لقوم يعقلون. ثم اعلموا رحمكم الله وأن الله أمركم بالصلاة والسلام على خير الورى، سيدنا محمد خير خلق الله نهجًا وخلقًا.

١٨ - في التحذير من شهادة الزور

الحمد لله الرقيب الحسيب؛ أحمده سبحانه، وهو الرب القريب المجيب؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل من دعا إلى الفضيلة، ورسم طريق الفلاح لكل عبد منيب. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، طريقان متغايران، ومسلكان مختلفان، فالطريق الأول طريق الفضيلة، وهو سبيل الله المستقيم، يسلكه البررة الصالحون على هدى وبصيرة. والطريق الآخر طريق الرذيلة، وهو طريق الشيطان، يسلكه الغاوون في تخبط والتواء ذميم، وكم للرذيلة من صرعى، خدعهم الشيطان بغروره فانخرطوا في حزبه، وحقت عليهم كلمة الله الموجهة لقدوة الغاوين ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة ص: ٨٥).

وإن من مسلك الرذيلة الجرأة على الله بشهادة الزور، يبذلها المرء لقاء أجر خسيس خبيث، أو لمحاباة قريب وصديق، أو لمجاملة رئيس والتزلف إلى عظيم أو لأي غرض من الأغراض الرخيصة التي لا تتحدد، يبذلها شاهد الزور فيقرر بها خلاف الواقع، ويتجنى بها على الغير، يتجنى بها على أخيه المسلم، الذي له في عنقه حق الرعاية والحرمة، إما بإثبات حق مزعوم، كمن يشهد لفلان على فلان بدين وهو كاذب، أو بخدشه وتجريحه وإسقاط عدالته، كمن يشهد أن فلانًا قذف فلانًا، أو ارتكب فاحشة من الفواحش وهو لم يفعل، بغمطه لحقوقه، كالتاجر حين يشهد على الآخر بالإفلاس، أو بعدم اتساع ثروته للاستيراد، ولم يكن كذلك؛ وكالرجل المسؤول حين يكتب لولي الأمر، أو للجهة المختصة تقريرًا بعدم صلاحية موظف من موظفيه، أو عدم كفاءته للعمل، والحقيقة على العكس.

كل أولئك ومن على شاكلتهم، ممن يقرر خلاف الواقع يبتغي بذلك كسبًا ماديًا، أو مركزًا ملحوظًا، أو منافسة رخيصة، أو يوقع شهادة الزور، لمجرد التجني على عباد الله، والإضرار بهم، كل أولئك شهداء زور، يلحقهم من الوعيد الوارد في حق شاهد الزور بقدر ما احتملوا من وزر الشهادة الكاذبة، وبقدر ما أسرفوا في قلب الحقائق وتقرير عكس الواقع. وشهادة الزور - يا عباد الله - لا تختلف باختلاف وقائعها وأحداثها عن كونها شهادة باطلة، تقع من الجماعة كما تقع من الواحد، فتكون إجماعًا على الشر والباطل؛ وتقع من صاحب الوجاهة والرجل المسؤول، كما تقع من رجل الشارع والساقط المغمور؛ وتكون بالقول مشافهة أمام الحاكم، كما تكون بكتابة التقارير واللوائح.

وهي - يا عباد الله - حرام، في كل صورة وفي كل اتجاه؛ وهي حرام مهما كانت الدوافع إليها، والحوافز عليها؛ حرام مهما تأول الناس في تسويغها، وهي فساد لضمير المرء ودينه، فساد في المجتمع وانحلال مشين، والله لا يحب الفساد، ولا يصلح عمل المفسدين. إنها - يا عباد الله - مزلة للأقدام، تجلب عار الدنيا، ويغدو بها المرء في الآخرة من الخاسرين. عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لن تزول قدم شاهد الزور»** - أي بعد أداء الشهادة المزورة - **«حتى يكتب الله له النار»**. وإنها - يا عباد الله - نار الآخرة، تزيد على نار الدنيا بتسعة وستين جزءًا، وقودها الناس والحجارة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل - أي كان كاذبًا فيها - فليتبوأ مقعده من النار»**. وصح عنه ﷺ أنه قال: **عدلت شهادة الزور الإشراك بالله. قالها ثلاثًا. ثم قرأ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾** (سورة الحج: ٣٠).

وكفى بها شناعة أنها تعدل الشرك بالله، وهو أعظم ذنب عُصي الله به في الأرض. وكفى بها شؤمًا على صاحبها أنها تجلب النار وغضب الجبار، وبئست النار

من جزاء ودار وقرار وكفى بشـهادة الزور من رذيلة وكبيرة أنها تلحق بصاحـبها العار والدمـار. فيـا لعظم الرؤية لشـاهد الرزية أيًا كان وضـعه، يـا لطول عنائه وحسـرته وندامته، يوم لا ينفـع الندم ولا تجدي الحسرة شيـئًا. فاتقوا الله عبـاد الله، واحرصوا على سلوك سبيل الـفضيلة، وحذار من مسلك الرذيلة، إنه مـسلك الغاوين، وطريق الهالكين، فخذوا منهم العبرة يا أولي الأبصار.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (سورة الأحزاب:٥٨). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١).

نفعني الله وإياكم بهدي كـتابه. أقول قولي هذا، وأستـغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله مالك يوم الدين، يوم لا تجزي نفس عن نفس شـيئًا، له الأمر وحده، لا راد لقـضائه ولا مـعقب لحكمـه؛ وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، وأشهد أن محمدًا عبـده ورسوله، خير خلق الله وأقربهم إليه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيـا عبـاد الله؛ لكل أجل كتاب، ومـصيـر الحياة الدنيـا إلى فناء، وخيركم من اتبع رضوان الله، وادخر من عاجلته لآجلته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (سورة الفرقان: ٧١-٧٦).

١٩ - في الحث على عدم الانصراف إلى الدنيا انصرافًا كليًا يمنع من التفكير في الآخرة

الحمد لله العلي القدير، أحمده سبحانه، له الدنيا والآخرة، وإليه المصير؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، مثلان عظيمان، ضربهما رسول الله ﷺ، جدير أن تعيهما القلوب المؤمنة، وتنتفع بما تهدف إليه النفوس المسلمة؛ يصور المثل الأول حقيقة الدنيا؛ حيث تبدو زاهية خلابة فاتنة، ويصور المثل الآخر حقيقة من يعيش فيها أمدًا مهما طال فهو محدود، ثم يرتحل عنها، يقول رسول الله ﷺ: **«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون»**. وصف الدنيا رسول الهدى بالبهجة والخضرة، وللبهجة والخضرة أثرهما في النفوس؛ حيث تأنس في جوارهما، وتكدح جاهدة للحصول عليها، والاستمتاع بها، وتنصرف إليها انصرافًا تختلف درجاته بين الناس، ففي الناس من ينصرف إلى الدنيا بقدر، ويستمتع منها بحذر، وذلك هو الفريق الناجي، الذي لم تشغله البهجة الحاضرة، والخضرة العاجلة، عن بهجة أكثر إمتاعًا، وأعظم ايناسًا، وأطول أمدًا، وأحسن أثرًا، وأرفع غاية؛ إنها بهجة الآخرة، ولون نعيمها المقيم في دار القرار، ولقد وضع هذا الفريق نصب عينيه الآخرة، يسعى إليها، ويتخذ من عمره المحدود في الدنيا وسيلة إليها يزرع خيرًا ليحصد ثمارًا طيبة، وليكون له بها العوض عن متعة الدنيا وزخرفها، وليحقق الله له الوعد الكريم، جزاء حسن صنيعه، واستقامته على نهج الهدى، كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ۝ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (سورة الكهف: ٣٠-٣١). كان لهذا الفريق في كل أبواب الخير مجال واسع، وسعي حثيث في أداء الفرائض، واجتهاد في الاتيان بالنوافل، وفضائل الأعمال، وبذل البر والإحسان، وإحجام عن انتهاك حرمات الله، خوفًا من الله، واشتغل عن الفضول بذكر الله، وإذا تليت عليه آيات الله ازداد بها إيمانًا، واعتمد في كل الأمور على الله، وإذا مرت به العبر وفواجع الزمان اتعظ بها واعتبر، ورجع إلى الله، فكانت له الدنيا خير معبر يوصله إلى رضوان الله، وكان من أولياء الله، الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وفريق طغى وبغى، واتبع الهوى وأعرض عن الهدى، فأهمل في أداء الواجب المفروض عليه، وانغمس في الرذيلة، وتكثر من الحرام، وجمع الحطام، فألَّه المادة، وأحلها من نفسه المكان الأسمى، وحلت الأثرة المذمومة محل الايثار، وقام الشح البغيض مقام البذل والإحسان، وتقطعت بين أفراده الصلات والروابط، فلا تعاون بينهم ولا رابطة. أما عِبَر الزمان فهو عنها في شغل شاغل، تمر به وقد تملكته الغفلة، وأعمته الشهوة عن الاتعاظ وأخذ العبرة. هذا الفريق - يا عباد الله - ممن استهوته خضرة الدنيا، وزهرتها العاجلة، فآثرها على متعة الآخرة، وانصرف إليها انصراف من أمِنَ الموت، وأسقط من حسابه مناقشة الحساب يوم الحساب، فهو ممن ذم الله صنيعه، وتوعده بقوله: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ (سورة التكاثر: ١-٢)، أي: حتى متم ودفنتم في المقابر ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝ ﴾ (سورة التكاثر: ٣-٨). وذلك ما يقصده رسول الهدى بقوله: «وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون». أي: كيف تكون اتجاهاتكم نحو العاجلة والآخرة، فمن

كان سعيه للآخرة ولم يشغله شاغل عنها، من تجارة أو صناعة، أو وظيفة أو مال وبنين، مع أخذه من الدنيا بنصيب فقد أصاب الغرض، وكان ممن شكر الله له سعيه، وأعظم أجره، كما قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ ﴾ (سورة الشورى: ٢٠). أي يريد بعمله الآخرة ﴿ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ . أي: يضاعف الله له أجر ما عمل، إلى أضعاف كثيرة، وكما قال. أيضًا: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (سورة الإسراء: ١٩). ومن كان سعيه للدنيا، وانصرف إليها، وانغمس فيها، ولم يرفع بثواب الآخرة رأسًا فيعمل لها، فقد ضل سواء السبيل، وكان حظه ما قدر له في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب، كما قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (سورة الإسراء: ١٨). وكما قال أيضًا: ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ (سورة الشورى: ٢٠).

أما المثل الثاني فهو يصور حال من يعيش في الدنيا، وأنه على خطر في كل يوم، بل في كل لحظة، مما يجعله على الدوام في أتم الاستعداد للقاء الله على خير حال، من الاستقامة والصلاح والتقوى. قيل لرسول الله ﷺ وقد نام على حصير فأثر في جنبه الشريف: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء - أي فراشًا واقيًا - قال: «ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها». وكذلك يجب أن يتصور المرء هذا الموقف على الدوام، لئلا تذهب به الغفلة بعيدًا عن التذكرة، ولئلا يتسلط عليه الشيطان، ويغريه بطول الأمل، حتى يفجأه الأجل، وهو منغمس في مشاغل الدنيا، لم يعمرها بصالح العمل.

فاتقوا الله عباد الله، واغتنموا فرص هذه الحياة، واكسبوا فيها عملاً صالحًا فهي مزرعة للآخرة، دار السعادة والنعيم المقيم، والرضا والكرامة من رب العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة الحديد: ٢٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أكرم الخلق على الله ربه وباريه، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا وقنعه الله بما آتاه**». وفي ذلك - يا عباد الله - توجيه نبوي كريم، للأخذ من الدنيا بقدر، والقناعة فيها بما قسم الله للعبد، فإنما هي دار نقلة، ولن يستصحب منها العبد شيئًا إلى الآخرة، إلا ما قدم من عمل صالح.

٢٠ - في الحث على التماس رضى الخالق

الحمد لله العليم القدير، أحمده سبحانه، وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، البشير النذير والسراج المنير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، موعظة بليغة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، جديرة بأن تنقش على صفحات القلوب، وأن يتعرف إلى ما تهدف إليه كل مخلص لدينه مهتد بهدايته. كتب معاوية رضي الله عنه لأم المؤمنين عائشة يقول: اكتبي لي كتابًا توصيني فيه ولا تكثري، فكتبت إليه تقول: أما بعد، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس؛ ومن والتمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس»**.

وليس من شك أن كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، وكل عاقل حصيف لا يفضل رضا أحد من الناس، مهما ارتفع قدره وعلا شأنه، على رضا الرب المعبود، من بيده مقاليد الأمور؛ غير أن بعض النفوس يغلب عليه الغفلة، ويأخذ به الهوى في الانحراف عن نهج الهدى، فيقدم رضا المخلوق على رضا الرب العلي الأعلى - وخاصة في أعقاب الزمن - عندما اتبع الهوى، وذلك لا يغني على أهله من الله شيئًا. ومن أمثلة ذلك - والأمثلة عليه كثيرة -: الإعراض عن إنكار المنكر، مجاملة لفاعله، وطلبًا لاسترضائه، إما لقرابة أو صداقة أو جوار، وإما خوفًا من بأسه وسطوته وحقده وايذائه، وإما لأي سبب متداع وعذر سخيف، وليس ذلك بسبيل المؤمنين، ولا طريق الصالحين. لقد أوجب الله إنكار المنكر، والأخذ على يد فاعله،

قريبًا كان أو بعيدًا، عظيمًا كان أو صعلوكًا، ضمانًا لسلامة المجتمع من أن ينتشر فيه الفساد، واستصلاحًا لحال الغاوين، وقطعًا لدابر المفسدين؟ يقول رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لتدعُنه فلا يستجاب لكم». وقال أيضًا: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

لم يفرق ﷺ في إنكار المنكر بين قريب أو بعيد، ولم يجعل الأمر والنهي مختصًا بجماعة من الناس، لا يأمر أو نهي غيرهم، وإنما جعله مشاعًا في كل أفراد المجتمع، عامًا في عنق كل مسلم بحسبه، فإذا أهمل الناس هذا الواجب الديني إرضاء لفلان، أو مجاملة لعلان، أو تأثرًا بأي عامل من العوامل، عم الفساد وانتشر البلاء، ووقع ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ: «يدعو الأخيار الصالحون فلا يستجاب لهم». وتحل النقمة بالجميع كما جاء في الحديث: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة». ولعل ما يلحظ من الشدة والبطالة، وتعسير أمر المعيشة وقلة الغيث، وغير ذلك من المحن والأمراض المستعصية، لعل ذلك من أسباب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس.

ولقد لعن الله بني إسرائيل على ما كان منهم من المعاصي، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينهم، فقال تعالى محذرًا من سلوك مسالكهم، واقتفاء آثارهم: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٧٨-٧٩).

فاحذروا - عباد الله - من مصير قوم لعنهم الله على لسان أنبيائه، واجتنبوا مسالكهم. ومن أمثلة التماس رضا المخلوق بسخط الخالق ممالأة الظالم على ظلمه،

وإضاعة الحق الصريح الواجب استيفاؤه، كمن يقتطع أرضًا للغير ظلمًا وعدوانًا، ويجد له في الناس على ذلك أنصارًا وأعوانًا، يقفون إلى جانبه، ويشهدون لصالحه، مجاملة له، وإرضاء لخاطره. أو كمن يمانع أو يماطل في تنفيذ الحكم الشرعي، بثبوت حق على متجن إرضاء لوجيه من الوجهاء، أو غني من الأغنياء، لما يبذله من رشوة ملعونة، وكطالب العلم حين يحجم عن الصدوع بالحق، إرضاء للناس وتمشيًا مع رغباتهم. كل أولئك وأمثالهم، ممن يحيدون عن الجادة، وينحرفون عن الحق إذ تبين، هم ممن التمس رضا المخلوق بسخط الخالق، يشملهم الوعيد الوارد في ذلك، وهو سخط الله وإسخاط الناس عليهم، فيؤتون من مأمنهم، ويعاملون بنقيض قصدهم.

فاحذروا ـ عباد الله ـ من سبيل الغاوين، وطرق الظالمين، واتقوا الله ربكم، المطلع على سركم وعلانيتكم، ولا يمنعنكم من إقرار العدل، والأخذ على يد الظالم، قرابة قريب أو صداقة صديق، أو مجاملة عظيم، أو مصانعة صاحب جاه أو سلطة، فالمجتمع الإسلامي الراشد السعيد لا يقوم إلا على أسس العدل، والأخذ بالقسطاس المستقيم، بالنسبة للناس جميعًا، وبذلك تكونون ممن أرضى الخالق، فأرضى عنه المخلوق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (سورة النساء: ١٣٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، شرفه الله برسالته وفضله على سائر العبيد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، صح من حديث أبي سعيد مرفوعًا: «**إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره**». وفي هذا البيان الشافي ما يحفز أرباب اليقين في الله أن يحرصوا كل الحرص على بلوغ رضاه، والتعلق به دون سواه، وحمده فهو المعطي المانع، الضار النافع، ولا يرزق الخلق إلا الله.

٢١ - في الحث على صلاة الجماعة

الحمد لله صاحب المنن الضافية والفضل العميم؛ أحمده سبحانه، أمر بإقام الصلاة، وجعلها نورًا تهدي إلى الصراط المستقيم؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، نبي الهدى والداعي إلى النهج القويم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، أرأيتم كيف يكون وقع البشارة في النفوس؟ إنها تخلق في النفوس البهجة وتفتح أمامها الآمال، ويسعد المرء بتحقيقها، وإن رسول الهدى ﷺ، قد بشر المؤمنين بخير ما يرجون، وأفضل ما يؤملون، بشر المؤمنين الذين يلتمسون رضوان الله، بالسعي إلى مساجد الله، لأداء فريضة الله، لا يقعدهم عن ذلك ظلمة الليل، أو تصدهم مشقة الطريق، بشرهم رسول الله ﷺ بقوله: **«بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»**. يالها من بشارة، بل يا له من وعد كريم صادق، بالأمن يوم الخوف والفزع الأكبر، والنور التام يهدي إلى جنان الخلد ومنازل الرضوان. وإلى جانب هذه البشارة والوعد الكريم، وعد آخر بمضاعفة أجر صلاتهم، تفضلاً من الله، وزيادة في الإحسان إليهم. يقول رسول الله ﷺ: **«صلاة الرجل في جماعة، تضعف على صلاته في بيته، وفي سوقه، خمسًا وعشرين ضعفًا»**. وفي رواية أخرى: **«صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»**.

ومن ذا الذي يرضى لنفسه الحرمان من جزاء المحسنين وأن يسبقه في ميدان التنافس في الخير أولو العزائم الصادقة، ليفوزوا بالجائزة دونه، وليكونوا من المهتدين. ولقد كان السلف رضوان الله عليهم، يجعلون المحافظة على صلاة الجماعة،

والتخلف عنها، معياراً لصدق إيمان المؤمنين، وزيف إسلام المنافقين. يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق». وكان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين - أي يتمايل من الضعف والعجز - حتى يقام في الصف، وما ذاك إلا للحرص على الجماعة. وللجماعة أثرها الطيب في النفوس، ولو كان في تركها رخصة لرخص رسول الهدى للرجل الأعمى، الذي جاء يشكو إليه ويقول: **قد كبرت سني، ورق عظمي، وذهب بصري، ولي قائد لا يلائمني، فهل تجد لي رخصة أصلي الصلوات في بيتي؟، فرد عليه الرسول ﷺ بقوله: «هل تسمع النداء - أي الأذان - في البيت الذي أنت فيه؟»، قال: نعم. قال: «لا أجد لك رخصة».**

ولم يقف الأمر عند عدم الرخصة، بل تعداه إلى توعد المتخلفين عن الجماعة بالجزاء الصارم، حيث يقول رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بالصلاة، فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال - أي لا يحضرون الجماعة - فأحرق عليهم بيوتهم»**. وكل ذلك - يا عباد الله - يوجه الأنظار إلى التزام الصلاة مع الجماعة، والحرص على عدم التهاون بها حتى تؤدى في آخر الوقت، وعدم التقليل من شأنها، أو الاعتذار عن ترك الجماعة بأن المذهب لا ينص على وجوبها، فكل سبيل للخير وكل طريق للفلاح، هو مذهب الأئمة جميعًا رحمهم الله.

فاتقوا الله عباد الله، واحرصوا كل الحرص على أداء الصلوات المكتوبة في جماعة، وفي أول أوقاتها، وخاصة من كان بجوار المسجد، يضاعف الله لكم أجرها، ويجعل لكم بها النور والنجاة يوم القيامة، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة التوبة: ١٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ما ضل وما وغوى وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالسًا فصلوا جلوسًا أجمعون**». فاحرصوا ـ يا عباد الله ـ على الجماعة تكونوا من الفائزين.

٢٢ - في الحث على الاستقامة ومجانبة الهوى

الحمد لله يهدي من يشاء برحمته، أحمده سبحانه، يضل من يشاء بعدله؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الهادي بهداية الله إلى صراط الله ربه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، صحة الإسلام، وصدق الإيمان، يفتقر ذلك إلى دليل وبرهان، دليل يُشعر بتغلغل الإيمان في القلوب، وبرهان يؤيد صدق الاستسلام، وكامل الانقياد لكل تعاليم الإسلام، قال إمام في التابعين: ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر - أي ثبت - في القلب وصدقته الجوارح، وقر في القلب فكان له إشعاع على الجوارح، وسلطان على كل تصرفاتها، فتتجه النفوس إلى الصلاح والتقوى في كل مجال، وتنصرف عن الفساد والإلحاد في كل وجه. وقد وصف الله سبحانه إشعاع الإيمان على الجوارح، وقوة سلطانه عليها، حيث جعل العمل الصالح من أبرز صفات المؤمنين فقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ١-٥). إلى آخر ما ذكره من صفاتهم، وبراهين إيمانهم، وصدق إسلامهم. وعلى العكس منهم من ينتسب إلى الإسلام، دون أن يبرهن على صدق إسلامه بالأعمال، ودون أن ينقاد انقيادًا تامًا شاملاً لكل ما يفرضه عليه الإسلام، من التزامات وتكاليف، وذلك مجرد انتساب لا أثر له ولا ثمر.

وإن مما يفرضه الإسلام على محتضنيه: الاستقامة على نهج الهدى، والبعد عن اتباع الهوى. قال رجل من الأنصار: **يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: «قل:آمنت بالله ثم استقم»**. ولقد حذر الله من اتباع الهوى، وأخبر أنه

وسيلة إلى الإضلال عن نهج الهـدى. فقال: ﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (سورة ص:٢٦). وأخبر سبحانه أن الحق واتباع الهوى على طرفي نقيض، فإما اتباع للحق، وإما اتبـاع للهوى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (سورة القصص: ٥٠).

ولاتباع الهوى صور واتجاهات للناس لا تحدها الأمثلة، وكلها خروج عن الجادة، وبعد عن نهج الهدى، فمن الناس من يزين له هواه انتهاج نهج المدنية الغربية الزائفة، ولو على حساب دينه، بدعوى أن المدنية الغربية تجديد وتقدم وحضارة - ليست رجعية شرقية، فيختـار في طليعة ما يختار من أوضار حكم القوانين الوضـعية، وهي حثالة أفكار البشـر، وغاية ما تمخض عنه الرأي العقـيم القاصر، يختـار حكم هذه القوانين على حكم الإسلام وشريعة القرآن - القـرآن الخالد - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حمـيد. وشريعة القرآن التي عالجت مـشاكل البشر، منذ أن أنزلها الله على خير البشر، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي صالحة لكل زمان ومكان، فيـها وحدها الإصلاح والدواء لأمـراض البشر. ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (سورة المائدة: ٥٠).

ومن الناس من يزين له هواه الانطلاق من قـيود الإسلام والتـزاماته، ويروج له الانخراط في حـزب الشيطان، ولذلك أمثلة لا يحـصرها البيـان، منها العكوف على مطالعة الكتب الرخيـصة في الأدب المكشوف الداعر الفـاجر، الذي يصور الرذيلة فى أبشع صورها، وأفظع أشكـالها، ويغري بالفسق والفجور، ويرسم الخطط للإباحـية والانحلال، ويستنيـر الغرائز؛ وأبشع من ذلك وأفظع وأشنع أفلام سينمـائية - تعرض على الشاشة - وهي تطبيق عملي، لما ترسمـه الكتب الجنسية والروايات الرخيصة من الإنحلال الخلقي والتـدهور الإنساني؛ يجتمع لمشـاهدتها الوالد مع ولده، والأخ إلى جانب أخيه، والشـباب والشيب، وكل من يعشق الانطلاقية - والحـرية المزعومة، وما هي في الواقع إلا جريمة سافـرة. وكل ذلك من اتباع الهوى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة القصص: ٥٠).

ألا هل من رجعة إلى الله - يا عباد الله -؟، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة الحديد:١٦). ألا هل من توبة صادقة من مزالق الهوى، نصحح بها الإسلام ويسلم لن بها الدين، ونعطي بها الأدلة والبراهين، على صدق الإيمان، والانقياد الشامل الكامل لكل ما يرسمه الإسلام. فاتقوا الله عباد الله، والتمسوا النجاة من غضب الله ونقمته، باتباع الهدى والبعد عن مزالق الهوى، فقد أفلح عبد استجاب لله واستقام على نهج الهدى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأحقاف:١٣-١٤).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الولي الحميد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، شرفه الله بالرسالة، واصطفاه من بين سائر العبيد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، يقول الله سبحانه في معرض الذم لمن يعطل مواهبه عن الانتفاع بها فيما خلقت له: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (سورة الأعراف:١٧٩). فارتفعوا - رحمكم الله - بأنفسكم عن صفات من ذمهم رب العزة، وتوعدهم بعذابه تكونوا من الراشدين المفلحين.

---

٢٣ - في الحث على الصبر والتسليم للقضاء

الحمد لله كاشف البلاء، ومسدي النعماء؛ أحمده سبحانه، لا إله إلا هو المقصود لدفع الضر والبأساء؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد البررة الأتقياء. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، شدائد الزمان ومحن الأيام، وكل ابتلاء يبتلى به العبد في دنياه، هو محك لإيمان المؤمنين، ومخبر لصبر المحتسبين، ووبال على الساخطين ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (سورة محمد: ٣١). وعلى قدر إيمان العبد يكون بلاؤه، فأشد الناس بلاء رسل الله وأنبياؤه - صلوات الله عليهم أجمعين - فكم أوذوا في الله، وكم تجنى عليهم أقوامهم، فصبروا واحتسبوا، ورسموا بذلك الطريق للصابرين والمحتسبين ممن أوذي في الله، وامتحن من أجل استقامته على صراط الله. ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٢-٣).

ويتنوع البلاء، وتتشكل المحن والأرزاء، فمن الناس من يبتلى بفقد الأحبة البارزين في حياته، الذين يكونون له بعد الله عدة، وأعوانًا على الشدة، من إخوان وأقربين، وأبناء وأصدقاء مقربين، ومن الناس من يبتلى بالفقر بعد الجدة، والعسر بعد الإيسار، وضنك العيش وقلة الحيلة بعد ناعم الحياة وبسطة الرزق، وسعة التدبير والبصيرة، ومن الناس من يبتلى بكساد تجارته، أو فساد عشيرته، أو خراب بيته وتنكر أهله، ومنهم من يبتلى بنقيض ذلك. يبتلى بالبسطة في المال والجاه والرفعة، وسعة

النفوذ والسلطان، والإمداد في متع الحياة ولذائذها، استدراجًا وإمهالاً، لاسيما إذا كان ممن يستعين بنعم الله على معصيته، ويترك أمره ويرتكب نهيه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٤٤). وكل هذه الابتلاءات من واجب المسلم أن يصبر عليها، ويحتسبها عند الله، فذلك خير له من الضجر، وأنفع من التسخط وأعظم أجرًا، وأوفى عند الله جزاء، ومن واجبه إذا ابتلى بالنعم أن يشكر فلا يكفر، وأن يسأل الله أن لا تكون نعمه عليه استدراجًا وإمهالاً.

يقول رسول الله ﷺ: **«عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له، وليس ذلك إلا للمؤمن»**، وجاء في الحديث أيضًا: **«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»**. أي: من رضي بقضاء الله النافذ؛ فله الرضا من الله، ومن سخط على الله فيما دبره وقضى به عليه من نكبه وبلاء، وشدة وعناء، فله من الله السخط جزاء سوء ظنه بالله، وعدم الرضا بقدر الله.

وإن مما يعزي النفوس في شدائدها، ويصرف عنها موجة التأثر من نكباتها وابتلاءاتها الأمل في فرج الله القريب، والثقة برحمته وعدله، فهو أرحم الراحمين، وأعدل الحاكمين، أرحم من الوالدة على ولدها؛ ومن رحمته بعباده أنه لا يتابع عليهم بالشدائد، ولا يكرثهم بكثرة النوائب، بل يعقب الشدة بالرخاء، والابتلاء بالرحمة وسابغ النعماء. كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (سورة الشرح: ٥-٦). تكرر اليسر بعد العسر مرتين، ولن يغلب عسر يسرين، وحيثما يوجد العسر على تنوع ألوانه ومختلف أشكاله، يوجد إلى جانبه يسر يفرج الكربة، ويجبر القلب الكسير، ويواسي الجراح، وينسي الآلام والأحزان، وخاصة إذا لجأ العبد في شدته وبلائه إلى ربه، وسأله أن يبدله من شدة رخاء، ومن مجالب أحزانه وأسباب همه فرجًا ويسرًا. ومصداق ذلك قول الرسول الكريم ﷺ: **«ما أصاب عبداً هم ولا**

حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن امتك، ماض فيَّ حكمك، عدل في قضاؤك، اسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب همه وغمه، وأبدله مكانه فرحًا».

فاتقوا الله، ولا تيأسوا من روح الله، وأيقنوا بالفرج القريب، فالشدائد والابتلاءات والمحن ـ بالإضافة إلى أن فيها التمحيص والتكفير للسيئات ورفع الدرجات ـ فهو خطوة إلى تحسين الأحوال، وقفزة إلى رخى العيش، وبلوغ الآمال. واذكروا على الدوام قول الملك العلام: ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (سورة الشرح: ٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، نبي الرحمة صاحب المعجزات، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، روى أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا». أي يصيبه من البلاء والمصائب في الدنيا ما يكون به تكفير سيئاته ورفع درجاته. «وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه، حتى يوافي به يوم القيامة». أي: أخر عنه العقوبة إلى يوم القيامة، حتى يعظم ذنبه، ويتضخم جزاؤه.

فلا تجزعوا ـ عباد الله ـ من الابتلاء في الدنيا على اختلاف ألوانه، فما هو إلا خير يريده الله بكم ويخفف به عنكم.

٢٤ - في ضرورة رسم مناهج لمدارس البنات متمشية مع الدين

الحمد لله خلق الإنسان من نفس واحدة، وجعل منها زوجها ليسكن إليها. أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، هدى الناس بهداية الله إلى صراط الله ربه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، العلم أكبر عامل للتهذيب، وتقويم المعوج، والهداية إلى أقوم سبيل يوصل إلى الغاية الحميدة، ومن أجل ذلك يجب أن يكون مشاعًا كالهواء، يستنشقه القريب والبعيد، والرجل والأنثى، والصغير والكبير، وكالنور يشع في الدنيا فينير السبيل، ويرشد إلى الجادة، ويمنع من التردي في الهاوية، ومن أجل ذلك أيضًا عني به الدين عنايته بكل شيء فيه الصلاح والفلاح والخير، فحث رسول الهدى على تعلمه، حيث يقول: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة**»، ورفع رب العزة درجة المتعلمين على القاعدين عن طلب العلم بقوله: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة الزمر: ٩). وضرب المثل للمفاضلة بين المتعلم وغيره فقال: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ**﴾ (سورة الأنعام: ١٢٢)؟. والمراد بالعلم: العلم الشرعي، الذي يرسم مناهج السعادة في الدارين، ويصل بطالبه إلى الغاية.

أما العلوم التي تستخدم لعمارة الدنيا، وللتعرف على أساليب الكسب فيها، فهي كالعرض بالنسبة للجوهر، حصيلة المرء فيها النجاح الدنيوي. ولا تثريب على الرجل أو تجريح أن يأخذ منها إلى جانب علوم الدين ما يفتح له في الدنيا أبواب الخير، ويصلح له وسائل الكسب ويرفع به رأس أمته، كعامل ومجاهد. كما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ (سورة الملك: ١٥).

أما المرأة وإن كانت شقيقة الرجل، وهي في حاجة إلى العلم والمعرفة، كحاجتها إلى الهواء والنور، إلا أن لها مجالاً غير مجال الرجل، بحكم طبيعتها كأنثى، فيجب أن توجه إليه عملاً بقوله ﷺ: «اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له»، ومجال المرأة البيت، تدير مملكته، وتصلح من شأنه، وتربي فيه أبناء المستقبل، وتنشئهم تنشئة إسلامية راشدة، وتقوم بما افترض الله عليها نحو زوجها، من الرعاية والعناية، حتى تحقق معنى الآية الكريمة: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الروم: ٢١). فيجب أن تأخذ من علوم الدين ما ينير لها السبيل في عبادتها، وفي صلتها بربها وصلتها بالناس، ويبصرها بأداء الحقوق الواجبة عليها كمسلمة، وأن تأخذ من علوم الدنيا ما يبصرها بإدارة بيتها، والقيام فيه بمسؤولياتها، لتوفير الراحة، ولتجعل منه مجتمعاً صغيراً، يكفل السعادة لكل مواطن فيه، من زوج وأبناء وخدم وما إليه، وذلك ما تهدف إليه الآية الكريمة، من أن المرأة سكن للرجل، يأوي إليها، ويجد في رحابها الهدوء والاستقرار، والحياة السعيدة.

فإذا ارتفعت الأصوات من كل الجهات مطالبة بإنشاء مدارس للبنات، فيجب أن يرتفع إلى جانب ذلك صوت الدين، يرسم الاتجاه الذي يجب أن تسير فيه مدارس البنات، ويرشد إلى المناهج، التي تكون المرأة الصالحة المتدنية، التي تهيئ في مجتمعها الصغير العيش الرخي، والسعادة والهناء.

أما إطلاق تعليم البنات دون هدف معين، والاقتداء بمناهج الغير، التي لا تتفق وتعاليم الإسلام، والتي تبيح للمرأة أن تزاحم الرجل بالأكتاف في مجالاته، وفي ميادين عمله؛ فيصبح منهن نائبات عن الأمة، وقادة يرسمن للشعوب سياسة الدولة، وخطيبات وموظفات في شتى ألوان الوظائف، و غير ذلك مما يجب أن يكون وقفًا على الرجل وحده؛ فذلك خروج على الوضع الإسلامي، في جعل المرأة سكنًا للرجل، وجعل الزوج قوامًا عليها، يحوطها برعايته، ويصونها بقوامته، ويكفل لها العيش والنفقة حسب إمكانياته، وتعيش في كنفه وحياطته، لا تمتد إليه الأعين الخائنة، ولا تتسلط عليها الأضواء.

وتلك هي شريعة الإسلام، التي قامت عليها الأسر الصالحة، في عصور الهداية، وعاشت في ظلالها البيوت الشريفة؛ فعلى نهجها يجب أن تقوم السياسة التعليمية في الممالك الإسلامية لتعليم البنات، أما التقليد الأعمى والجري وراء محاكاة الغير، دون تبصر في العواقب، ودون مراعاة للأوضاع الإسلامية، بالنسبة لحماية المرأة وعدم الخروج بها عما خلقت له بحكم طبيعتها، فذلك نهج غير سديد، ومسلك غير رشيد، وسوف يعض أنصاره على بنان الندم، حين لا ينفع الندم، وحين تخرج المرأة إلى الشارع تطالب بحقوقها المزعومة في مساواتها بالرجل.

فاتقوا الله عباد الله، وابتنوا الأسس الصالحة لتعليم البنات، وارسموا المناهج المستوحاة من تعاليم الدين وتوجيهاته، لا من مقتبسات الغرب وانحلالاته؛ تملكوا زمام الأمر، وتشيدوا الأسرة الصالحة، وتحققوا الوضع الطبيعي الصحيح للمرأة؛ الذي أرشد إليه رب العزة، حيث يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الروم: ٢١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العظيم المتعال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، كريم المزايا والخصال. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله؛ يقول رسول الله ﷺ: **«من ابتلي - أي: اختبر - من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»**. ومن الإحسان إليهن الإحسان في تربيتهن وتعليمهن وتوجيههن التوجيه الصالح الرشيد، الذي يجمع لهن بين صلاح الدين والدنيا.

٢٥ - في الحث على العطف على الفقراء والمساكين ومواساتهم بإخراج زكاة الأموال

الحمد لله باذل العطاء والجود؛ أحمده سبحانه، وهو الرب الكريم المعبود؛ وأشهد أن لا له إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، مشكلة اجتماعية ليست وليدة اليوم، ولكنها ولدت مع البشرية، إنها مشكلة الفقر إلى جانب الغنى؛ مشكلة الفقير المعدم الذي لا يجد قوت يومه، أو الفقير المتعفف، الذي لا يسأل الناس إلحافًا، إلى جانب الغني المتخم؛ إنها - يا عباد الله - مشكلة ضمن لها الإسلام الحلول، لو عمل المسلمون بتعاليم الإسلام، ومن الحلول بل وفي طليعتها فريضة الزكاة، فهي إسهام من الأغنياء لتحسين وضع الفقراء، والتخفيف من متاعبهم، وندب الإسلام إلى البذل والإنفاق في أوجه البر وراء الزكاة، لتضميد جراح البؤساء والمساكين. ووعد على ذلك الرب العظيم بالأجر الكريم: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الحديد: ١٨). ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٤).

فلو قام المسلمون بهذا الواجب الإنساني الديني، وهذا التكافل المشروع المحمود، لما رأى الناس جائعًا بين متخمين، ولا عاريًا بين مكتسين. وعندما قصر المسلمون في هذا الواجب، نشأت مسألة السؤال والمتسولين، نتيجة لذلك، وغدوا قذى في عيون المتعاظمين، ونظروا إليهم نظرة اشمئزاز واحتقار ووصفوا بؤسهم وفاقتهم بأنها مناظر

مؤذية، واستعدوا عليهم الجهات المسؤولة، وكل ذلك - يا عباد الله - ظلم واضح صريح، «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»، إنه ظلم بالنسبة لإخوان لنا، كان من حقهم علينا أن ننقذهم من براثن الفقر، ونواسي جراحهم، ونشعرهم بالكرامة، ونرتفع بهم عن ذل السؤال، بطريقة منتجة، لا بالظلم والجبروت؛ لو شيدت الأمة دورًا عديدة للأيتام واليتيمات، وعددًا من الملاجئ ودور العجزة، وأقامت صناديق البر والإحسان، في كل جزء من أجزاء الوطن، ومدت يد العون إلى الأسر التي لا عائل لها، وأوجدت أعمالاً للكاسدين، لو فعلت ذلك لأصبح من حق أفرادها أن يحاسبوا السائلين، وأن يأخذوا على أيدي المحترفين بالسؤال، ليحجبوا منظر البؤس عن الناظرين، وإذا لم يكن من الناس رعاية للفقير، وتحسين لوضعه، بل شحوا بزكاة أموالهم، وبما وراء الزكاة من أوجه البر والإحسان، والعطف والعون على نوائب الزمان، فليكن منهم تأدب بآداب الإسلام، فلا إساءة للفقير، ولا إذلال ولا امتهان. ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ (سورة البقرة: ٢٦٣) ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (سورة الضحى: ١٠).

ومن أبرز الأذى ضرب السائل، والسخرية من وضعه، وإسماعه قوارص الكلم، كمن ينتهره بقوله: اذهب أنت لص ولست بمسكين، من شؤم هذا اليوم أن نرى هذا الوجه، أو بنحو ذلك من الكلمات الجارحة، التي تحدث في نفس الفقير انكسارًا، وتزيده كربًا وآلامًا. ألا وإن صفو العيش - يا عباد الله - لا يدوم أبدًا، وإن متاعب الحياة وفقرها وأرزاءها، ليست وقفًا على قوم دون آخرين، فكم من فقير بعد طول البؤس ابتسمت له الأيام، فأصبح في رخي العيش، ووافر النعيم، وكم من غني غدا بعد النعمة والثروة في فقر مدقع، وبؤس عظيم.

فاتقوا الله عباد الله، وأنفقوا مما رزقكم الله، واقضوا على التسول من أساسه، وعالجوا مشكلته بإخراج زكاة الأموال، والإحسان فيما وراء الزكاة، لإيجاد تكافل محمود في المجتمع، يعيش في ظلاله الفقير إلى جانب الغني، إخوانًا متحابين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة المنافقون: ١٠-١١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المنان؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير من دعا إلى الإحسان. وقد نقل من دعائه: **«اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين»**. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، لقد قرن الله سبحانه في كتابه الإيمان بالله ورسوله بالإنفاق في سبيله، مما يوحي بأهمية الإنفاق، وعظيم أجر المنفقين، وأوضح سبحانه أن صاحب المال ما هو إلا مستخلف فيما بين يديه، فيجب أن ينفقه في الحقوق الواجبة عليه، قال تعالى: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (سورة الحديد: ٧).

٣٦ ـ في تقدمة لخطبة نبوية
في الحث على ضروب الخير والتقوى

الحمد لله عمت آلاؤه جميع مخلوقاته، أحمده سبحانه على نعمه وتتابع خيراته. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أوتي جوامع الكلم، فبهر الخطباء والبلغاء برفيع بيانه وعامر توجيهاته، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، مظهر تمجيد العظيم، وآية التقدير والرعاية لحق الكريم، أن تمجد النفوس أعماله، وتتخذ منها مثالاً يحتذى، وأن تعنى بدراسة أقواله، وتلبي دعوة الخير، في كل اتجاه يرسمه، وفي كل طريق للفلاح يدعو إليه. وإن العظيم الذي وقفت عند عظمته درجة عظماء البشر، هو سيد الأولين والآخرين، وصاحب لواء الحمد بين العالمين، محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه. هو الذي يجب أن تمجد أقواله وأعماله، وأن يتخذ الناس منها الأمثلة الرفيعة، التي تحتذى، والأضواء الكاشفة لإنارة الطريق، سواء ما كان منها من الأحاديث المروية بالأسانيد الصحيحة، أو الخطب والتوجيهات التي قيلت في مناسبات معينة، كل ذلك يجب الأخذ به بعين الاعتبار، والسير على ما رسمه من مناهج الخير، من ذلك خطبته ﷺ في أول جمعة صلاها بالمدينة، عرض فيها لماضي الجاهلية المظلم، ولإشراق نور الهدى بعد طول الظلام، وأوصى المسلمين فيها بتقوى الله وبإصلاح ما بينهم وبين الله، ورغب فيها وحذر، وأنذر وبشر، فقال:

«الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى

والنور والموعظة، على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط، وضل ضلالاً بعيداً. أوصيكم بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً. وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره، في السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلا وجه الله، يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رؤوف بالعباد، والذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول عزَّوجلَّ: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (سورة ق:٢٩).

فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً. وإن تقوى الله يوقي مقته، ويوقي عقوبته، ويوقي سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجوه، ويرضي الرب، ويرفع الدرجة. خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا، ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، ولا قوة إلا بالله. فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك لأن الله يقضي على الناس، ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه. الله أكبر، ولا قوة إلا بالله العظيم».

تلكم - يا عباد الله - هي أقوال نبيكم وتوجيهاته، رسم بها طريق الفلاح والسعادة، وهي جديرة بأن تمجدها النفوس، وتعنى بدراستها الأجيال. فإذا اعتز الناس بأقوال وأعمال عظمائهم، واحتفوا بإبرازها كأثر للعظمة، فإن من حق المسلمين أن يعتزوا بأقوال وأعمال المصطفى ﷺ، الذي تحطمت تحت قدميه عظمة العظماء،

وأن يقتبسوا منها الضياء، ليشرق على ربوعهم بالهداية، وأن يحتفوا بها كدستور خالد، لا يضل من اتبعه، ولا يزيغ من انتهجه.

فاتقوا الله عباد الله، وابتغوا أقوم السبل في اتباع وصايا رسول الله. وتنافسوا في الخير، وتسابقوا في العمل، بتحقيق ما رسمه المصطفى حبيب الله، يرفع الله لكم بذلك الدرجات في دار الكرامة، وتنعموا بمجاورة البررة الصالحين، والهداة المهديين من عباد الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (سورة النساء: ٦٩-٧٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، سيد ولد آدم، وشفيع الموحدين بعد الإذن إلى الملك الديان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، جاء في خطبة المصطفى ﷺ بالخيف من منى أنه قال: **«نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»**. فانشروا عباد الله ما تسمعونه من أقوال نبيكم وفعاله، لتنالوا بذلك دعوته، ولتربحوا المغنم، فنعم العبد ينشر الخير، ويهدي بهداية البشير إلى التذكرة والتبصير.

٢٧ - في الحث على صلاة الجمعة

الحمد لله الحكم العدل اللطيف الخبير؛ أحمده سبحانه، وهو على كل شيء قدير؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أكرم رسول وخير بشير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، لقد هيأ الإسلام لأتباعه فرصًا ذهبية، يربحون فيها التجارة، ويكسبون فيها الوقت لصالحهم، ومن تلك الفرص يوم الجمعة، فهو عيد الأسبوع، كما جاء في الحديث أن هذا اليوم جعله الله عيدًا للمسلمين، ومن شأن العيد أن يعيد البهجة للنفوس، ويشيع فيها الفرحة والبهجة التي يعيدها للنفوس، هي البهجة بالذكرى الخالدة، ذكرى خلق آدم أبي البشر، وهي نعمة كبرى على البشرية، لإيجاد أصلها من العدم تستحق الشكر للمنعم العظيم. والفرحة التي يشيعها يوم الجمعة في النفوس، هي لتهيئة الفرصة للاتجار في الأعمال الصالحة، حيث تلتقي جموع المسلمين في بيوت الله لذكر الله، والعمل بما يرضيه، ففيه مجال واسع لذلك.

وتتفاوت درجات الناس في اغتنام هذه الفرصة، بقدر تنافسهم في الخير، وبقدر تسابقهم إلى المساجد، وتبكيرهم للجمعة، فمن الناس من يروح إليها في أول ساعات النهار، لتكون له الحظوة بالأجر الكبير، والربح الوفير، ولا يزال في ذكر وعبادة، وصلاة على المصطفى ﷺ، حيث تتأكد الصلاة عليه في هذا اليوم، لقوله ﷺ: «فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ»، وينصت للخطبة، وسماع الموعظة، ويلبث حتى ينصرف الإمام. فهذا الصنف من الناس هو الذي اغتنم الفرصة، وأشرقت نفسه بالفرحة لهذا اليوم، وهو ممن بشرهم الرسول الكريم بالمغفرة، حيث يقول: «من اغتسل يوم الجمعة، ثم لبس أحسن ثيابه، ومس طيبًا إن كان

عنده، ثم مشى إلى الجمعة وعليه السكينة، ولم يتخط أحداً ولم يؤذه، ثم ركع ما قضي له، ثم انتظر حتى ينصرف الإمام، غفر له ما بين الجمعتين».

ومن الناس من يأتي الجمعة متأخرًا، ويؤذي الناس بتخطيه لرقابهم، واعتدائه على حقهم في السبق بفضيلة التبكير، وقد يشتغل بالحديث والإمام يخطب، فيخسر المغنم، ويوزر بدلاً من أن يؤجر، ففي الحديث: «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة، اتخذ جسرًا إلى جهنم». وفي الحديث أيضًا: «من قال لصاحبه يوم الجمعة: أنصت فقد لغا، ومن لغا فليس له في جمعته تلك شيء».

ومن الناس من لا يقيم لهذا اليوم وزنًا، ولا يشعر به إلا أنه يوم فراغ وعطلة، فيملأ الفراغ باللهو والعبث؛ كالذين يخرجون إلى خارج البلدة؛ بقصد النزهة والرحلة، فلا يصلون الجمعة، ولا يحضرون جماعة المسلمين، في أفضل يوم من أيام الله، ويتأولون لسوء صنيعهم بأنهم مسافرون، وليس على المسافر جمعة؛ وذلك خداع من الشيطان، ليصد به العباد عن طاعة الرحمن، وليستكثر به من حزبه، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون.

إن الجمعة ـ يا عباد الله ـ هي فريضة الله على العباد، لا تسقط بحال، إلا لعذر شرعي، من مرض أو سفر مباح؛ لا أن يكون السفر للعبث. وإن الرحلة والنزهة في يوم الجمعة هي مظهر من مظاهر التهاون بالجمعة، فيجب أن لا يخدع الناس أنفسهم، وأن لا يستجيبوا لتزيين الشيطان وخداعه، فلقد ورد من الوعيد الشديد في ترك الجمعة ما فيه مزدجر لقوم يعقلون، من ذلك قوله ﷺ: «لينتهين أقوام عن تركهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين». ومنه قوله ﷺ: «من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه». وفي رواية: «من ترك ثلاث جمع من غير عذر كتب من المنافقين»، ويشمل هذا الوعيد كل من ترك الجمعة لغير عذر شرعي، سواء قام برحلة أو نزهة، أو انزوى في البيوت، كالذين يشتغلون من الرجال بتجهيز الموائد للآكلين، والذين يلبثون في انتظار المدعوين، ممن يدعون بالمباشرين والمستقبلين، كل أولئك يشملهم الوعيد في ترك الجمعة، ولا عذر لهم أمام الله

على تهاونهم بفـريضة الله، وهم ممن أضاع الفـرصة، ولم يشعـر بيوم البهـجة، ولم تغمـر نفسه الفرحـة، ولم يحظ بما حظي به الصالحـون من السعادة والخيـر، والأجر الكريم والمغفرة.

فاتقوا الله عبـاد الله، واحرصوا على أداء الجمعة، واملأوا الفـراغ فيها بواجب الذكر، والشكر للمنعم العظيم، **«فخيـر يوم طلعت فيـه الشمس يوم الجـمعة»**؛ كما صح بذلك الحديث: **«وفيـه ساعـة لا يسأل العبـد فـيها ربه شيـئًا إلا آتاه الله إياه، ما لم يسأل حرامًا»**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (سورة الجمعة: ٩-١٠).

الخطبة الثانية

الحمد لله رفـيع الدرجات، بفضله تبدل السـيئات، وبجوده تضـاعف الحسنات. ﴿ **مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٠). وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محـمدًا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. عباد الله، يقول الرسول الصـادق الأمين في منزلة يوم الجمعة: **«خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه ادخل الجنة وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»**، وعنه ﷺ أنه قال: **«نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا - يوم الجمعة - يومهم الذي فرضه الله عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدًا والنصارى بعد غد»**.

هذا شأن يوم الجمـعة الذي فرض الله فيه صـلاة الجمعة ليكون عـيدًا للمسلمين ولذريتهم من بعدهم يتلاقون فيه على الود والإخاء والحنيفية السمحاء.

٢٨ - في التحذير من الغفلة عن الله

الحمد لله الولي الحميد، أحمده سبحانه، وهو على كل شيء شهيد؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، شرفه الله برسالته، وفضله على سائر العبيد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن شر ما أصيبت به النفوس الغفلة عن الهدى، والإعراض عن مسلك الرشد، اتباعًا للهوى، ولقد وصف الله الغافلين أقبح وصف، حيث يقول في كتابه متوعدًا: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٩). كالأنعام لأنهم قصروا همتهم على الأكل والشرب، وعلى التمتع بالشهوات والملذات؛ بل هم أضل من الأنعام، لأن الأنعام تميز بين الضار والنافع.

والغافلون أعمتهم الغفلة عن التمييز بين ما فيه شقاؤهم، وما فيه سعادتهم دنيا وأخرى، فهم - كما وصفهم رب العزة - لهم قلوب وأعين وأسماع معطلة لا ينتفعون بها، فلا يتعظون ولا يتذكرون، تمر بهم العبر وهم لاهون غافلون، وتطرقهم القوارع، وتنزل بساحتهم الفواجع، وهم بلهوهم مشتغلون. خدعهم طول الأمل عن الاشتغال بصالح العمل، فانغمسوا في المعاصي في مختلف ألوانها؛ فمن خمر يتعاطون كأسها، وقد سماها رسول الهدى أم الخبائث، تدفعهم إلى ارتكاب أقبح وأفظع الجرائم وكبائر الذنوب، إلى أفلام سينمائية قذرة تصور الإثم وتدعو إلى

الفساد والتحلل، يحيون في مشاهدتها الليل أو أكثره، إلى إذاعات ترتفع منها الأصوات بالأغاني الخليعة الرقيعة، والتمثيليات الأثيمة، التي تفسد الأخلاق، وتصور الميوعة والانحلال، إلى غير ذلك من مظاهر الغفلة عن الله؛ إلى ألوان من المعاصي، التي لا تتحدد أو تنحصر بالأمثلة، والتي يدعو إليها الشيطان، ليصرف بها العباد عن طاعة الرحمن، وليستكثر من حزبه الغافلين، الذين حقت عليهم كلمة الله، فكانوا من الهالكين.

إن المعاصي - يا عباد الله - بالإضافة إلى أنها برهان واضح على الغفلة، فهي نكران للجميل، وكفران لنعمة المنعم العظيم، فالنعم من حقها أن يشكر عليها المنعم ولا يكفر، وأن يحمد ويعبد، فلا يعصى. فإذا انعكس الوضع، فقامت المعصية بدلاً من الطاعة، كان ذلك نكرانًا للجميل، وكفرانًا للنعمة؛ فحلت النقم ونزل البلاء، وعظم الخطب، كما قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ (سورة الأنفال: ٥٣). وذلك هو مقام العدل ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ (سورة يونس: ٤٤).

ولعل ما يلحظ من المحن والشدائد، التي ابتلي بها الناس، كالجدب، ونضوب المياه من الأرض، وتعسر أسباب المعيشة، وغلاء الأسعار، والأمراض المستعصية؛ هو أثر من آثار الغفلة عن الله، والتمادي في معصيته، والانصراف عن طاعته.

وأن البلاء - يا عباد الله - إذا نزل بساحة قوم عَمَّ الصالحَ والفاسدَ، كما جاء في الحديث، عن أم سلمة ﵂ قالت: **سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده، فقلت: أما فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: بلى، يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان».**

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا الغفلة عن الله، وعن سلوك سبيل الهدى، في كل ما يرضي الله، واعملوا بطاعة الله، وصاحبوا أولياء الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (سورة الكهف: ٢٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم الحليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، نبي الهدى، والداعي إلى صراط الله المستقيم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، عَدَّد بعض العارفين ما يتولد عن الغفلة والمعصية فقال: قلة التوفيق، وفساد القلب، وخمود الذكر، ونفرة الخلق، ومنع إجابة الدعاء، ومحق البركة في الرزق والعمر، وضيق الصدر وطول الهم والغم. كل ذلك مما يتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله.

٢٩ - في الحث على اتباع السنة وبيان بدعية الزيارة الرجبية

الحمد لله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم؛ أحمده سبحانه، وهو الرب الحليم الكريم؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب النهج القويم، والخلق الكريم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، آية الإيمان وبرهان صدق الإسلام محبة الرسول الأعظم سيد الأنام، محمد بن عبد الله ﷺ، كما جاء في الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**». غير أن الأفهام تختلف في هذه المحبة، فمن الناس من يرى المحبة في الانتساب والشكل والصورة، فمتى انتسب إلى أمة محمد، وتزيى بزي المسلمين، وصلى وصام، وأتى بشعائر الإسلام، فقد أعطى الصورة لمحبة سيد الأنام.

ومن الناس من يرى المحبة في همهمات يهمهم بها، وترتيلات وأناشيد ينشدها، وصلوات على الرسول ﷺ يحصي عددها، وفي الناس من يرى المحبة في التمسح بالقبر النبوي الشريف، وشد الرحل إليه في زمن مخصوص، ودعاء الرسول في كل أزمة، والاستغاثة به عند كل كرب وشدة. والعاقل الحصيف - يا عباد الله - من يتجه في كل مذهب يذهب إليه، وفي كل مسلك يسير فيه، يتجه نحو المعين الصافي يشرب منه فيرتوي، ويقصد مصدر النور ليقتبس من إشعاعه فيهتدي، وما المعين الصافي والنور الوضاء غير كتاب الله وسنة رسوله، اللذين قال عنهما رسول الهدى ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنتي**».

ولقد جاء كتاب الله أن محبة الرسول الأعظم ﷺ، في طاعته واتباعه. قال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (سورة النساء: ٨٠). وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (سورة آل عمران: ٣١). وأخبر رسول الهدى ﷺ أن معيار محبته أن يجعل المسلم هواه تبعًا لما جاء به، ولو كان في ذلك مصادمة لشهواته، أو مصادرة لعادات قومه وعشيرته. يقول رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به». وإذن فمجرد الانتساب للأمة المحمدية والتزيي بزي المسلمين، أو مجرد أداء الشعائر الدينية، أو الهمهمات وترتيل الصلوات وقراءة الأناشيد، كل ذلك لا يكفي في إعطاء الصورة الصحيحة لمحبة الرسول ﷺ، حتى يضاف إليه العمل والاتباع لما جاء به الرسول ﷺ، دون أن يكون في النفس من ذلك شيء، ودون أن يأخذ المسلم ببعض ما جاء به الرسول ﷺ ويطيعه فيه، ويترك البعض الآخر، إذا كان على غير مزاجه، أو مخالفًا لما درج عليه أهل زمانه، أو في الأخذ به قدح وتشهير بمن أخذ به.

وإن مما صح به النقل عن المصطفى ﷺ، ومما يجب الأخذ به تدليلاً على محبته، قوله: «لا تجعلوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». ومعنى اتخاد قبره عيدًا: اعتياد المجئ إليه في أزمنة معينة، كما يعتاد الحجاج زيارة بيت الله في أزمنة مخصوصة. فاعتياد المجئ إلى القبر النبوي الشريف في زمان معين، يعود بعود السنة، أو بعود الشهر أو اليوم، بالإضافة إلى أنه غير مشروع، فيه مضاهاة لزيارة بيت الله، وفيه أيضًا خروج على أمر رسول الله ﷺ، وتقديم لهوى النفوس، وما درج عليه الناس، على ما جاء به رسول الهدى ﷺ، وهدم لدعوى المحبة للرسول؛ فإن أبرز أدلة الحب، طاعة المحبوب. وذلك ما تؤيده العقول السليمة، وبدون ذلك ـ فالحب مجرد دعوى لا يرتكز على أساس.

ولقد أشار رسول الهدى ﷺ ، إلى اختلاف الأمة بعده، اختلافًا يلتبس فيه الحق بالباطل، ووجه الأمة إلى طريق السلامة فقال: **«من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**. أفلا يجدر بالمسلمين وهم على مفترق الطرق أن يستجيبوا لوصية رسول الله ﷺ في اتباع سنته، وقد أوضح فيها نهيه عن اتخاذ قبره عيدًا؛ وسنة خلفائه، وقد كانوا لا يترددون على القبر الشريف للسلام - وهم في المدينة - لأن ذلك من اتخاذ القبر عيدًا.

ولم يكن صحابة رسول الله ﷺ ممن سكن الأمصار، وتفرق في الديار، لم يكونوا يقصدون زيارة القبر الشريف في زمن معين، كرجب، وإنما كانوا يكثرون الصلاة عليَّ الرسول ﷺ ، في كل وقت وحين، في المدينة وغير المدينة من الأقطار والأمصار، في بقاع الدنيا، استجابة لأمره ﷺ حيث يقول: **«وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**. فهل كان الخلف في أعقاب الزمن - وعندما التبس الحق بالباطل - أصح أفهامًا من السلف في عصور الهداية؟ أم كان الخلف أكثر حبًا منهم للرسول ﷺ ؟، وقد كان للسلف الحظوة باجتلاء أنوار الرسول الكريم؛ والأخذ عنه دون واسطة أو حجاب.

إن كل أمر - يا عباد الله - له صلة بالدين، ويرجى من ورائه الأجر من رب العالمين، يتحتم فيه التقيد بالوارد عن الله أو عن رسوله، أو فعل خلفائه وصحابته، لأن العبادة توقيفية، يشترط أن تكون سليمة من المآخذ، مشروعة لا مبدوعة، لأن الخطر على الأمة، أن تؤتى من جهة الدين، لتفقد ثمار كدحها، ونتائج أعمالها، كما قال ﷺ : **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**، أي مردود على صاحبه مأزور على فعله غير مأجور. ولقد اشتبكت حلقات المحن بالأمة من كل جانب، وتقاذفتها الفتن من كل صوب، ولم يبق لها غير الدين من معتصم، وهو في الحاضر كما كان في الماضي، لأن الحق واحد لا يتعدد ولا يتجدد بمضي الأزمنة، فإذا تسرب إلى الدين

الخلل، وتدخلت في العبادة الأهواء، وشرع الناس في الحاضر من العبادات ما لم يكن معروفًا في الماضي في عصور النور، إذا صنعوا ذلك فقد خسروا الدين كما خسروا الدنيا، وأفلسوا في رأس المال.

فاتقوا الله عباد الله، واعبدوا الله على هدى وبصيرة، وتقيدوا في عباداتكم بما صح عن المعصوم ﷺ، ودرج عليه أصحابه من بعده، فهم أعلم الأمة، وقد كانوا على هدى مستقيم. قال الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: **«كل عبادة لم يتعبدها أصحاب محمد فلا تتعبدها، فإن الأول لم يترك للآخر مقالاً»**. وقال الإمام مالك رضي الله عنه: **«لا يصلح آخر هذه الأمة، إلا بما صلح به أولها»**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الحشر: ٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله عالم الغيب والشهادة؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفلح عبد اتَّبعه، وأخلص لربه في العبادة. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قيل: ومن يأبى؟. قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»**. وفي ذلك - يا عباد الله - أوضح الأدلة، على أن من أطرح أمر رسول الله ﷺ وراء ظهره فقد عصاه، ومن عصاه عرض نفسه للحرمان من نزول دار الرضا والرضوان.

٣٠ - في الحث على اتباع نهج السلف الصالح

الحمد لله فاطر السموات والأرض رب العالمين، أحمده سبحانه ولي المؤمنين، ومؤيد المتقين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خاتم النبيين والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، فضل السابقين الأولين، وشرف الصالحين من سلف هذه الأمة - رضوان الله عليهم أجمعين - يبدو واضحًا، في مسالكهم واتجاهاتهم الخيرة، وفي حرصهم على الخير ورغبتهم في سلوك منهاجه، وبلوغ أقصى درجاته، فكانوا إلى جانب حرصهم الشديد على مجالس رسول الهدى ﷺ، والاستفادة من تعليمه وتوجيهه وتهذيبه، كانوا كثيرًا ما يسألونه عن جملة من أبواب الخير رغبة في المزيد منه، بل كان حذيفة رضي الله عنه يسأل عن أبواب من الشر، خشية الوقوع فيها يقول حذيفة: **«كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»**. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: **«يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار، فقال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه؛ تعبد الله لا تشرك به شيئًا»**. إلى آخر الحديث.

وقال سهل بن سعد رضي الله عنه: **جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: دلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس؛ قال: «ازهد في الدنيا، يحبك الله؛ وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»**. إلى غير ذلك من مسالكهم الراشدة، واتجاهاتهم إلى الخير؛ فرسموا بذلك السبيل للسالكين من محبي الخير. فأين في الناس من يسلك مسلكهم؟، أو يحرص على الخير كحرصهم أو قريبًا من ذلك؟.

يا حسرة على العباد؛ لقد انعكس الوضع في أعقاب الزمن، وأصبح الفارق بين الماضي والحاضر كبيرًا، وبعد الخلف عن مناهج الخير، بقدر ما اقترب منها سلفهم، أعرضوا عن العلم الشرعي والانتفاع به، والحرص عليه، كما كان سلفهم، وأضحى النصح بينهم غريبًا، وركب البعض منهم رأسه، فلو سمع نصح ناصح أعرض ونأى بجانبه، قائلاً: إليك عني، لست ربي ولست عني بمسؤول، وأصبح جزاء الناصحين الهمز واللمز، ورميهم بالرجعية والجمود والتأخر، وإن هذا الواقع لمرير - يا عباد الله - لا يبشر بخير، ولقد أخبر عنه رسول الهدى، فكان علمًا من أعلام النبوة، حيث وقع كما أخبر، يقول رسول الله ﷺ لأصحابه: **«إنكم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف، وتنهون على المنكر، وتجاهدون في سبيل الله، ولم يظهر فيكم السكران، سكر الجهل، وسكر حب العيش، وستحولون عن ذلك، فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين. قيل: منهم. قال: بل منكم»**.

فلقد أصبح في الناس من أعماه الجهل، فلا يحاول أن يرتفع بنفسه عنه ليكتمل بالعلم النافع، كما كان سلفه، وظهر في الناس من أشغله طول الأمل في الدنيا بأمل الخلود فيها ليحصل على الحطام الفاني، وليظفر من الدنيا بأكبر نصيب، وإن كان في ذلك نقص دينه. من أجل ذلك، كان التمسك بالدين، والمتفقه فيه، في مثل هذا المجتمع المخمور، والعامل بكتاب ربه وسنة نبيه، الحريص على الخير، الآمر بالمعروف، يعظم أجره، حتى يحصل على مثل أجر خمسين من صحابة رسول الله ﷺ، لأنه ارتفع عن الجهل، وقبض على دينه، في زمن ساد فيه الجهل، وقل فيه من يحرص على الدين، وتمسك بكتاب ربه وسنة نبيه، ونصح للأمة في مجتمع عز فيه الناصح، وانحرف فيه الناس عن سواء السبيل، فكان غريبًا في منهجه ومسلكه، غريبًا بين أهله وقومه وعشيرته، غريبًا في مجتمعه كغربة الإسلام بين أهله. **«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء»**، الذين يتمسكون بالكتاب حين يترك، وبالسنة حين تطفأ.

فاتقوا الله عباد الله، واسلكوا مسالك الراشدين من سلف هذه الأمة، احرصوا على الخير في كل أبوابه، وخاصة فيما يتصل بالعلم والتفقه في الدين، «فمن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»، وأقيموا للنصح وزنًا، وللأمر بالمعروف مقامًا، فذلك نهج الصالحين، وقد أفلح من سلك سبيل الصالحين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة الحديد: ١٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الغفور الودود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، يقول بعض العارفين، في معرض الوعظ والتذكير: يا من انحرف عن جادة الصالحين، كن في أواخر الركب، ونم إذا نمت على الطريق. وقيل للحسن البصري ـ رحمه الله ـ: لقد سبقنا القوم على خيل دهم، ونحن على حمر معقرة، فقال: إن كنت على طريقهم، فما أسرع اللحاق بهم. فكونوا ـ عباد الله ـ على طريق الصالحين سائرين، تبلغوا الغاية، وتنزلوا منازل المقربين.

٣١ - في الحث على الأخذ بالمأمور، وعدم الجزع عند نزول المقدور

الحمد لله الذي اهتدى بهديه المهتدون، وبعدله ضل الضالون؛ أحمده سبحانه، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الصادق المأمون. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، أمران محظوران، وخلقان منكوران: عجز عن المأمور، وجزع عند نزول المقدور، فالعجز عن المأمور يشمل القعود عن الأخذ بالأسباب التي فرضها الله على العباد، والتي هي سبب في صلاح الآخرة، ونجاة العبد من العذاب، ووسيلة للارتفاع به إلى منازل القرب والرضوان، كما يشمل العجز القعود عن طلب الرزق، والتواني في الأخذ بأسبابه، وفي طلب الرزق والسعي من أجله، صلاح حال العبد في دنياه، وصلاح مجتمعه، فالعاجز الكسول نقمة على نفسه ومن يعول، وعبء ثقيل على مجتمعه. وقد جمع الله سبحانه لعباده بين ما فيه صلاح أمر المعاد والمعاش حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (سورة الجمعة: ٩-١٠). ففي السعي لأداء الفريضة صلاح المعاد، وفي الانتشار لطلب الرزق صلاح المعاش.

أما الجزع عند نزول المقدور أي: عند نزول المصائب على اختلاف ألوانها، سواء كانت في النفس، أو في الأهل والمال والولد، كالفقر والمرض، وموت الأولاد، وفقد

المال بجائحة من الجوائح، فليس الجزع على ذلك من خلق المسلمين، ولا من سبيل الصالحين، لأنه مظهر لعدم الرضا بقدر الله النافذ، وباعث على التسخط والتبرم. ولقد رسم رسول الهدى ﷺ للأمة الطريق السوي، الذي تبلغ به ما تصبو إليه، من صلاح أمر الدين والدنيا حيث يقول: **«احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزنَّ، وإن أصابك شيء - أي تكرهه - فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن، قل: قدر الله وما شاء فعل. فإن - لو - تفتح عمل الشيطان»**.

فيجب على المسلم أن ينتهج هذا المنهج الذي رسمه رسول الهدى، يحرص على الأخذ بالأسباب المشروعة مستعينًا بالله، ومعتمدًا عليه في نجاح المطلوب، وبلوغ المرغوب، فإن نزل به ما يكره، مما لم يكن له في دفعه حيلة فلا يجزع، ولا يلومن نفسه على فعل شيء أو تركه، ليدرأ عن نفسه القدر النازل به، قائلاً: لو فعلت كذا أو تركت كذا لما أصابني ما أكره، فإن هذا الظن الذي اشتغلت به نفسه، والذي أفصح عنه بـ «لو»، يفتح عليه أبواباً من الشر، تدفعه إلى التسخط والتبرم والتحسر، وعدم الرضا بقدر الله النافذ، وذلك استدراج من الشيطان، ليوقع العبد في المحظور، بل عليه أن يصبر ويحتسب ليؤجر، وليكون له من الصبر على البلاء خير الجزاء، كما جاء في الحديث: **«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء»**.

فاتقوا الله عباد الله، وانهجوا في حياتكم خير نهج رسمه لكم رسول الله ﷺ واحرصوا على الأخذ بالنافع، مما يكون به صلاح الدين والدنيا، كما قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (سورة القصص: ٧٧). واصبروا على قضاء الله وقدره المحتوم، فلقد امتدح الله الصابرين، وجعل لهم البشرى، وعدهم من المهتدين حيث يقول: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الملك العظيم الوهاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل رسول أنزل الله عليه خير كتاب؛ اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، جاء عن بعض العارفين أنه قال: إن الإنسان في هذه الدار بين أمرين، بين أَمْرٍ أُمِرَ بفعله، فعليه أن يفعله، وأَمْرٍ أصيب به من غيره فعليه أن يصبر عليه ولا يجزع منه. وذلكم هو النهج السديد الرشيد.

٣٢ - في الوعظ والتذكير

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (سورة عبس: ٣٤-٣٦). أحمده سبحانه، بيده الملك، وأمر الخلائق صائر إليه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله؛ صاحب المقام المحمود، وشفيع الموحدين - بعد إذن الله - يوم العرض عليه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن في النظر في سير الماضين من سلف هذه الأمة خير درس للسالكين، وخير نهج للمنتهجين، من عباد الله الصالحين، وإن من سيرهم الصالحة أنهم كانوا يستمعون للمواعظ بقلوب واعية، وأعين بالدمع مدرارة ساخنة، ونفوس تتململ تململ العابد في محرابه، خشية من الله وخوفًا من عذابه، أولئك قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، فرضي عنهم وأرضاهم، أولئك هم المفلحون. حدث الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه، فقال: **«خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال: لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»**. زاد أبو ذر رضي الله عنه: **«ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»**. وفي رواية، فقال ﷺ: **«عرضت عليَّ الجنة والنار، فلم أر كاليوم من الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»**. فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه، غطوا رؤوسهم ولهم خنين، أي: بكاء مع صوت يرتفع من الأنف.

أجل - يا عباد الله - إنهم أدركوا ما عناه رسول الله ﷺ بقوله: **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»**. ولعله خطرت لهم صور شتى، لأحداث

كانت هي الباعث لتأثرهم وطول بكائهم، لعله خطرت لهم صورة الدنيا، وقد ذوت زهرتها، وكأنها لم تكن ناضرة فاتنة، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٥). أو خطرت لهم عظمة الجبار، في انتقامه من الظالمين والعصاة ممن اتبع هواه وكان من الغاوين: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (سورة إبراهيم: ٤٧). أو خطرت لهم صورة للنهاية المحتومة لكل حي، وما يكون في آخر المرحلة من نزع واحتضار، ومعاناة سكرات، يا لها من سكرات، ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الواقعة: ٨٣-٨٥). أو خطرت لهم صورة القبر والسؤال والفتنة فيه. والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار. أو خطرت لهم صورة البعث وقيام الناس من قبورهم لرب العالمين، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (سورة يس: ٥١-٥٢). أو خطر لهم موقف القيامة وأهواله، ودنوّ الشمس من الخلائق، وتطاير صحائف الأعمال، ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (سورة الإسراء: ١٣-١٤). أو خطرت لهم صورة المرور على الصراط منصوبًا على متن جهنم، وهو أدق من الشعر وأحد من السيف، يجتازه الناس على قدر أعمالهم، حتى يكون منهم من يجتذب إلى النار، ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (سورة مريم: ٧١-٧٢). أو خطرت لهم صور لعذاب الجحيم، من حر وسموم، وزقوم وزمهرير، وزبانية غلاظ شداد، ما حكاه الله تعالى عن أهل النار قائلين: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (سورة الزخرف: ٧٧-٧٨).

لعله مرت بأذهانهم هذه الصور وأمثالها، فأخفوا وجوههم بين أيديهم، واندفعوا يبكون خشية من الله، وليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين، قطرة دموع من

خشيــة الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله. فــاتقوا الله ـ عباد الله ـ واغــتنموا فرص هذه الحياة الدنيا؛ فاليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.

أعوذ بــالله من الشيطان الرجــيم، بسم الله الرحمن الرحــيم: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ (سورة الزلزلة).

نفعني الله وإياكم بهدي كــتابه. أقول قولي هذا، وأستــغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: تصلح لكل الخطب

الحمد لله غــافر الذنب سريع الحســاب شديد العقاب، وأشــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرحيم الغفور لمن تاب من عباده وأناب، وأشهد أن محمدًا عبده ورسولــه، خاتم النبــيين، وأفضل المرسلين، من غــير شك ولا ارتيــاب. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». فأعدوا ـ يا عباد الله ـ الجواب ليوم الحساب، واستفرغوا الجهد للحصــول على مرضاة الرب التواب، بالعمل على طاعتــه، وعدم التمادي في معصــيته، واسألوه التخــفيف في الحساب، فمن نوقش الحــساب هلك. وصلوا على النبي عظيم القدر رفيع الشأن، محمــد الهادي إلى صراط الملك المنان، فقد أمركم الله بذلك في محــكم القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦).

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، وارض اللهم عن خلفائه البررة الأعلام، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن جميع الصحابة والآل الكرام، وعنا معهم بعفوك وكرمك، يا ذا الجلال والإكرام. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واجمع كلمة المسلمين، ووحد صفوفهم، وانصرهم على أعداء الدين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واعصمنا من الزلل في أعمالنا، وارحم اللهم موتانا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحشر: ١٠). ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١).

عباد الله... ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠). فاذكروا الله على نعمه، واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

٣٣ - في الإرشاد إلى دعاء مقبول مع التوجيه إلى الله

الحمد لله كاشف الهم فارج الكرب مجيب الدعاء، أحمده سبحانه وأشكره، والشكر واجب له على السراء والضراء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الرسل خاتم الأنبياء. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، عندما تشتبك الهموم، ويسود ليل الأحزان، وعندما تتابع المحن، وتظلم الدنيا باشتداد الأزمات والنكبات، وتنعدم الحلول وتطيش الأحلام، عندئذ يأتي المدد من السماء، فيتبدد ظلام المحن، وتنفرج الأزمات، وتبتسم الدنيا فتذهب الأحزان، وتدبر الهموم، وتشفى الآلام، ذلك لأن الشدائد وعجز المرء عن دفعها عامل يحفز المسلم للتوجه إلى الله، واللِّياذ بجنابه، والإخلاص له في دعائه، والتضرع إليه، وسؤاله تفريج كربه، وإذهاب همومه وأحزانه، وعندئذ يحقق الله له الوعد في الإجابة، حيث يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (سورة غافر: ٦٠). ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (سورة البقرة: ١٨٦). ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (سورة النمل: ٦٢).

وإن مجالب الهموم - يا عباد الله - وبواعث الأحزان في هذه الحياة لا تحصرها الأمثلة، ولا يسلم منها عظيم لعظمه، ولا غني لماله وإيساره وجاهه، فضلاً عن الفقير والبائس المحروم. إن اللجوء إلى الله عون المرء في شدته، وعدة في تخفيف المصائب وتفريجها والتغلب عليها. دخل رسول الله ﷺ المسجد، فوجد أبا أمامة الأنصاري جالسًا فيه، فقال له: «مالي أراك جالسًا في غير وقت صلاة؟». قال: هموم

لزمتني، وديون يا رسول الله، فقال: «ألا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهب الله همك، وقضى دينك؟»، فقال: بلى، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال». قال أبو أمامة: فقلت ذلك، فأذهب الله همي، وقضى ديني.

فالهم والحزن اضطراب نفسي، يفوت على المرء فرصة السعي لكسب الوقت في صالحه، ويغلق عليه باب الأمل، والعجز والكسل بادرتا فشل، وعاملا هدم لشخصية المرء، يغدو بهما مرزأ منكودًا، والجبن شح بالنفس عن بذلها فداء للدين، ولجهاد أعداء الله، والبخل شح بالمال عن بذله في أوجه الخير، وفي كل ما فيه نفع للأمة، أما غلبة الدين فذل بالنهار وهمٌّ بالليل، وأما قهر الرجال، فمظهر للهزيمة في ميادين كان يرجو المرء فيها النصر وتحقيق الآمال. ومن مجموع هذه المحن أرشد رسول الهدى أبا أمامة، أو أرشد الأمة الإسلامية في شخص أبي أمامة، أن يستعيذوا بالله منها، وأن يلجأوا إلى الله في تفريجها، وهي مثل لألوان من متاعب الحياة ومنغصاتها، الجالبة لهمومها وأحزانها، فإذا استجاب الله فيها للعبد دعائه صلح حاله، واستقام أمره.

فاتقوا الله عباد الله، وأديموا اللجوء إلى الله، واتخذوا من الأدعية المأثورة ـ إلى جانب الأخذ بالأسباب المشروعة ـ خير عون لبلوغ الآمال، بشرط أن تقترن بصالح الأعمال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٥٥-٥٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله عالم السر والنجوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، نبي الرحمة والهدى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن امتك، ناصيتي بيدك، ماض فِيَّ حكمك، عدل فِيَّ قضاؤك، أسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرحًا»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتعلمهن؟، قال: «بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن».

٣٤ - في استقبال رمضان

الحمد لله المعبود في كل زمان، أحمده سبحانه، وحمده واجب على كل إنسان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو المتفرد في الملك والسلطان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نبي قام لعبادة ربه، حتى تورمت منه الأقدام. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، في تجدد المناسبات السعيدة إحياء للشعور، وفي عود أيام السرور فرحة في النفوس وبهجة وحبور، وإن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ليستقبلون جميعًا بفرحة بالغة مناسبة من أعظم المناسبات، ويجددون عهدًا لهم فيه أطيب الذكريات. إنهم يستقبلون شهر الصوم المبارك ويجددون فيه عهد الطهر والعفة، حيث يقطعون فيه الصلة بماضي الآثام، ويترفعون فيه عن مزالق الإثم والخطيئة، يستقبلون شهر القرآن، وحسب رمضان فضلاً أن ينزل الله فيه القرآن كتاب الله فيه الهدى والنور؛ من تمسك به فقد هدي إلى صراط مستقيم. يستقبلون شهر الطاعة، على اختلاف ألوانها واتجاهاتها، صوم وصلاة، قيام وذكر لله، وتلاوة للقرآن.

وللطاعة أثر محمود في حياة العبد، وعليها يترتب فلاحه ونجاحه، في دنياه وآخرته، و ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٧).

إنهم يستقبلون شهر الخير والبركات، شهر تتنزل الرحمات، شهر المغفرة والعتق من النار، كما جاء في الحديث. وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة، وآخره عتق

من النار. فيا لسعادة من أدركه، وقام بما افترض الله عليه من صومه، وأدى ما تيسر له من قيامه، ففاز برحمة الله ومغفرته، وحظي برضوان الله وكرامته. يقول رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه». وقال أيضًا: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه». ولقد كان رسول الهدى ﷺ يسميه: سيد الشهور، وكان يبشر به أصحابه ويقول: «قد جاءكم رمضان شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم». وكان يقول أيضًا: «لو يعلم العباد ما في رمضان - أي من الخير - لتمنت أمتي أن تكون السنة كلها رمضان». وكان السلف - رضوان الله تعالى عليهم - يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، وذلك لما يعلمونه من فضله، وعظيم شرفه، وجزيل مثوبة الله فيه.

فاتقوا الله عباد الله، واستقبلوا شهر الصوم بالتوبة الصادقة والرجوع إلى الله، وجددوا فيه العهد بالله، وشدُّوا العزائم للطاعة، فنعمت الطاعة في رمضان، واحمدوا الله أن بلغكم هذا الشهر المبارك، فكم من مؤمل ذلك خانه الأمل، فأضحى رهين القبور.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الإله الحق المعبود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**صوموا لرؤيته، وافطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا**». ومعنى ذلك عدم الترخيص في صيام يوم قبل رمضان بدعوى الاحتياط. قال عمار بن ياسر ﷺ: «**من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ**». فاهتدوا - يا عباد الله - بهدي الراشدين، تكونوا من البررة المفلحين.

٣٥ - في فضائل الصوم

الحمد لله الكريم المنان، واهب الفضل، قديم الإحسان؛ أحمده سبحانه، خص بالفضل والتشريف شهر رمضان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل صيام رمضان أحد أركان الإسلام، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير من صلى وصام، وقام لطاعة الملك العلام. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله؛ جلال رمضان وجماله وروعة الشهر العظيم وبهاؤه، كل ذلك يبدو واضحًا فيما يلتزمه المسلمون في هذا الشهر، من مظاهر الطاعة في كل اتجاهاتها، وفيما يجنحون إليه من مسالك راشدة، ابتغاء الزلفى، وأملاً في المغفرة والرضوان، في شهر العفو والغفران؛ إنهم يؤدون فريضة من فرائض دينهم، فيها كل معاني السمو النفسي، والكمال الروحي؛ يؤدون صوم رمضان الذي كتبه الله عليهم.

والصوم أكبر عامل يكبح جماح النفس عن نزواتها، ويحد من هفواتها وشطحاتها، ويرتفع المرء فيه إلى مستوى أعلى، تتغلب فيه الروح على البدن، وتكون النفس أكثر استعدادًا لقبول نفحات الرب جل وعلا، وفيض بركاته، وعظيم تجلياته ورحماته؛ وما أكثر نفحات الرب في رمضان، وما أعظم تجلياته وفيض بركاته. يقول رسول الله ﷺ: **«أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرًا»**. فالشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل.

والصوم إلى جانب أنه عامل فلاح وسعادة، فهو حافز على الخير، يجد به المرء من نفسه تحولا محسوسًا، حيث يحمله على الصبر والتحمل، ويشعره بعاطفة الرحمة نحو البؤساء والفقراء، فيمدهم بعونه، ويغدق عليهم من خيره وبره، ويساويهم بنفسه، فهو خير درس، يدرك به المرء مرارة البؤس وألم الحاجة، ويدفع إلى البر ابتغاء كريم الأجر الذي وعد الله به المحسنين.

يقول رسول الله ﷺ: **«وهو شهر الصبر؛ والصبر جزاؤه الجنة؛ وشهر المواساة، من فطر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجره شيئًا، ومن سقا صائمًا سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها أبدًا»**.

أما الجزاء على الصوم، فهو مما استأثر الله بعلمه، وحسب الصائم أن يعلم أن أجره وجزاءه فوق كل جزاء؛ ذلك لأن الله تعالى اختص هذه العبادة لنفسه، وشرفها بنسبتها إليه، ووعد عليها الجزاء الأوفى دون حصر أو تقييد. يقول تعالى في حديث قدسي: **«كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به؛ إنه ترك شهوته وطعامه من أجلي»**. فيا له من جزاء عظيم؛ ادخره الله للصائمين، وحرم منه أقوام، زلت بهم الأقدام، واتبعوا الهوى والشيطان، واجترأوا على المعصية والفطر في رمضان دون عذر مبيح، فباؤوا بالخيبة والخسران، يوم يجزي الله الصائمين إحسانًا بإحسان. يقول رسول الله ﷺ: **«من افطر يومًا في رمضان، في غير رخصة رخصها الله له، لم يغن عنه صيام الدهر وإن صامه»**.

فاتقوا الله عباد الله، واغتنموا فرص هذا الشهر، في الطاعة إذ قامت لها السوق، وابذلوا الجهد في مصابرة النفوس، وقسرها على الصبر، وتحمل مشقة الصوم، رغبة في كريم الأجر؛ أجر الصابرين؛ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٨٣-١٨٤).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوبة، مجيب الدعوات؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أكرم الخلق صاحب المعجزات. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ، أنه قال في حديث طويل: **«فاستكثروا فيه - أي في رمضان - من أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما؛ فأما الخلصتان اللتان ترضون بهما ربكم، فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما، فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار»**. فأكثروا - يا عباد الله - من ذلك، أملاً في رضوان الله، ورغبة في دخول الجنة، دار الكرامة والرضوان، والبعد عن النار، دار المذلة والهوان.

٣٦ - في الحث على انتهاج المسلك الراشد في الصوم

الحمد لله الحليم الكريم، أحمده سبحانه، يعطي الجزيل، ويتجاوز عن الذنب العظيم؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعد الصائمين بالفضل السابغ والخير العميم، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل من قام لعبادة ربه، وسار على النهج القويم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، في نعيم الصوم متعة الصائمين، وفي جنان الخلد منزل المحسنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ (سورة الكهف:١٠٧-١٠٨). ولقد بلغ من إحسان الصائمين، أنهم اتجهوا بصومهم نحو مثل أعلى، حيث جانبوا فيه كل مأخذ، وترفعوا به عن كل إسفاف، فكان لهم في نعيمه المتعة، وكانوا بذلك محسنين، ترفعوا به عن الكذب والبهتان، والبذاءة وفحش القول، وعن الغيبة والنميمة، وعن الباطل في كل صوره وأشكاله، مستجيبين لداعي الهدى إذ يقول: **«ليس الصيام من الأكل والشرب، وإنما الصيام من اللغو والرفث»**. ولقوله إذ يرسم نهج الصيام الزاكي: **«إذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله، أو شاتمه، فليقل: إني صائم، إني صائم»**.

غلبوا في صومكم جانب التسامح، والصفح الجميل، والعفو والمغفرة لزلات الجاهلين، امتثالاً لأمر الرب العظيم، وطمعًا في الحصول على أجر المحسنين، الذين بلغوا مراقي السالكين، وارتفعوا إلى درجات المتقين، الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة آل عمران:١٣٣-١٣٤).

خافوا من الحرمان وضياع الأجر، وأن يكون حظهم من صيامهم الجوع والعطش - كما جاء بذلك الحديث - فاستقاموا على نهج الهدى، فوعدهم الله على صومهم خير الجزاء «الصوم لي، وأنا أجزي به»، أكرمهم بمزايا لم تكن لغيرهم من الأمم، منها أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك لأنه أثر الطاعة، والطاعة سبيل الرضوان، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا؛ ويغفر لهم ربهم في آخر ليلة، صح بذلك الحديث عن سيد الأنام، فهنيئًا للصائمين بالمغفرة والرضوان.

أما النهاية ومسك الختام، فالفرحة عند لقاء الملك العلام، والأمن يوم الفزع الأكبر، كما جاء في الحديث: «للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه»، وتوضع لهم مائدة تحت العرش، يأكلون منها والناس ما برحوا في الحساب، ثم يدعون إلى دخول الجنة، دار السلام، من باب يقال له: الريان، جاء في الحديث: «فإذا دخلوا أغلق، من دخل منه شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً». وهناك في روضات الجنات، المستقر والمأوى، يسبغ الله عليهم فيها من عظيم الرحمة والرضوان، ويغدق عليهم من سابغ الفضل والإكرام، ويقال لهم: كلوا واشربوا، هنيئًا بما أسلفتم فى الأيام الخالية؛ فيا لعظم الفضل ويا لسعادة الصائمين.

فاتقوا الله عباد الله، وترفعوا بصومكم عن كل ما يغضب الله، تفوزوا بالمغفرة ورضوان الله، واذكروا على الدوام قول رسول الله ﷺ: «إذا كان أحدكم صائمًا، فلا يرفث، ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله، أو شاتمه، فليقل: إني صائم، إني صائم».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (سورة الشورى: ٢٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الرؤوف الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد المرسلين، وإمام المتقين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، نقل من قول الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنه قال: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار يوم صومك، ولا يَكُنْ يوم صومك ويوم فطرك سواء». ذلكم - يا عباد الله - مثل للصيام الزاكي، الذي يرتفع بالنفوس إلى درجات المقربين، فاعملوا للسير على نهجه، فقد ربح بالسير على نهجه السالكون.

٣٧ - في الحث على الأخذ بطرق الخير

الحمد لله الذي اهتدى بهديه المهتدون، أحمده سبحانه، يعلم ما تسرون وما تعلنون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الصادق المأمون. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، التاجر النشيط، والصانع المجد، دأبهما الحرص على جلب المغانم، والبعد عن المغارم، لضمان العيش الرخي والحياة السعيدة، وإن من يطلب غرضًا أرفع وطلبًا أسمى من رخاء العيش والسعادة في هذه الحياة الدنيا لا بدع أن يكون أكثر نشاطًا، وأعظم كدحًا في ميادين الخير، أملاً في عيشة راضية، وطمعًا في بلوغ منازل المقربين في دار الخلود، حيث لا شقاء ولا كد ولا عناء، إن هو إلا الروح والريحان، والفسحة في رياض الجنان، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ (سورة الواقعة: ٨٨-٨٩).

وإن من وافر حظ هذه الأمة المرحومة أن جعل الله لها في ميادين الخير مجالاً واسعًا، في استطاعته كل من أخذ بأطرافه أن يبلغ القصد، ويصل إلى منازل الرضوان. وقديمًا شكا الفقراء الأغنياء إلى رسول الله ﷺ لمشاركتهم إياهم في مجالات الخير، وخشية أن يفضلوهم في الأجر وكسب الدرجات العلا، وهي خير ما كانوا يتنافسون فيه، لا كما يصنع الخلف في أعقاب الزمن، يتنافسون في الزخرف والبهرج، ويتبارون في اللهو واللعب، قالوا: «**يا رسول الله، ذهب أهل الدثور** - أي الأغنياء - **بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضل أموالهم**»، أي بالفاضل منها عن حاجتهم. فأوضح لهم الرسول ﷺ أن سبل الخير

لا تقتصر على الصلاة والصوم والصدقة، بل هي من الكثرة بحيث تصبح في مقدور كل مسلم - مهما كان وضعه - أن يأخذ منها بنصيب، وقال لهم: «أو ليس الله قد جعل لكم ما تصدَّقون به؟، إن لكم بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة». وفي حديث آخر، يقول: «تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته، فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة». ولقد تابع بعض أصحاب الرسول الكريم السؤال عن أوجه البر والخير، عندما سمع رسول الله ﷺ يقول: «على كل مسلم صدقة»، قال: أرأيت إن لم يجد؟، قال: «يعمل بيديه، فينفع نفسه ويتصدق»، قال: أرأيت إن لم يستطع؟، قال: «يأمر بالمعروف أو الخير»، قال: أفرأيت إن لم يفلح؟، قال: «يمسك عن الشر، فإنها صدقة».

تلكم - يا عباد الله - هي بعض مجالات الخير، تختلف في الأخذ بها عزائم الناس، وتتفاوت في قسر النفوس عليها درجاتهم.

فاتقوا الله عباد الله، واغتنموا فرص الحياة، واعملوا جاهدين لكسب الغنائم، والبعد عن المغارم، فاليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل. وتنافسوا في الخير، وتعاونوا على البر، تحظوا بالمغفرة، والأجر العظيم، كما وعد بذلك الرب الكريم، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الهادي إلى صراطه المستقيم؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير من دعا إلى الله، وهدى إلى النهج القويم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، في الحديث عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»، أي: من عمل صالح أو سيء، وذلك ما يوجه الأنظار إلى ضرورة تغليب جانب الخير على الشر، حتى إذا ما فرغ الأجل بعث المرء على خير ما يرجو، من صلاح واستقامة، وبعد عن الزلل، ونال عن ذلك الأجر الكريم، لقاء ما قدم من صالح العمل.

٣٨ - في بيان فضل العشر الأواخر من رمضان والحث على إحيائها في العبادة

الحمد لله شرح صدور المؤمنين للإقبال على طاعته، أحمده سبحانه، خص هذه العشر من رمضان بمزيد فضله؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير من احتفى بهذه العشر، وأطال فيها القيام لعبادة ربه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، في زمان القرب يتم الوصال، وفي فترات السعادة تبلغ الأنفس غاية الآمال، فهلموا - عباد الله - إلى القرب من الرب الكريم بالطاعة، فقد آن أوان الوصال، ولئن كانت الطاعة في سائر أيام الشهر المبارك - بل وفي سائر الأزمان - فضيلة ومحمدة، فهي في هذه العشر الأخيرة من رمضان أعظم فضلاً وأرفع قدرًا، وأكثر حمدًا وأكرم أجرًا، ذلك لأنها عشر التجليات والنفحات، عشر إقالة العثرات، وتكفير السيئات، واستجابة الدعوات، عشر تصفو فيها الأوقات، للذيذ المناجاة، والانكسار والذل والتضرع وسكب العبرات بين يدي بارئ الأرض والسموات، فكم وكم فيها لرب العزة من عتيق من النار، وطليق من عذابها، وكم أسير للذنوب وصله الله بعد القطع، وكتب له السعادة بعد طول العناء والشقاء، ببركة ما قدم في هذه العشر من توبة صادقة، وبفضل ما بذل من جهد في الباقيات الصالحات.

فيا لسعادة السعداء، الذين شقوا الطريق إلى الجنة بعمل أهل الجنة، وهاجروا في هذه العشر إلى الله، وهجروا من أجله كل محبوب ومرغوب ومطلوب، واشتغلوا فيها بنيل رضاه، فتمت لهم الفرحة يوم الجوائز، وكانوا من أكرم القادمين على الله.

ولقد رسم رسول الهدى ﷺ للأمة في هذه العشر خير نهج يوصل إلى الغاية الحميدة، ومنازل السعداء، ففي «الصحيحين» عن أم المؤمنين عائشة ﵂: **«أن رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله»**، وذلك ما يشعر بالاهتمام العظيم بالعبادة، والتفرغ لها، والانقطاع إليها عن كل شاغل. وعنها أيضًا: **«أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله»**. أي: يلزم المسجد لا يبرحه، ولا يشتغل بغير العبادة فيها، اغتنامًا للفرصة، وسيرًا على نهج الصالحين. فإن الفرصة إذا أفلتت كانت حسرة وندامة. وليس لأحد علم بطول العمر ليستدرك في المستقبل ما فاته في الماضي، وليشتغل بصالح العمل ليدرك الأمل، إنما هي أنفاس معدودة، وآجال محدودة، فمن اغتنم فيها الفرصة الحاضرة، وتاجر في الأعمال الصالحة ربح المغنم. ألا وإن من الغبن الواضح أن ينصرف البعض عن العبادة في هذه العشر، وأن ينشغلوا عنها بإعداد اللباس والرياش، والاستعداد للعيد بالمباهج والزخرف والجديد، وأن ترتفع نسبة اللاهين الغافلين الذين يذرعون الأسواق طلبًا للمتعة، أو يحيون هذه الليالي المفضلة في اللهو والعبث، والاستماع إلى الأغاني الرقيعة، والتفكه بالتمثيليات الساخرة الماجنة، وليس ذلك بالمسلك السديد، ولا النهج الرشيد.

وحسب هذه العشر فضلاً - يا عباد الله - وشرفًا، أن خصها الله بليلة القدر، التي تفضل العبادة فيها عبادة ألف شهر، ليلة تجري فيها أقلام القضاء والتقدير، بإسعاد السعداء، وشقاوة الأشقياء، ورفعة منازل الأبرار، وخفض درجات الفجار، إنها ليلة الشرف العظيم، فيها يفرق كل أمر حكيم، فهي حرية بالتعظيم والتكريم، جديرة بإحيائها بالعبادة، وطول القيام والركوع والسجود لعظمة العظيم، وطاعة الرب المنعم الكريم. يقول رسول الله ﷺ: **«من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه»**. ومن منا - يا عباد الله - لا تتطلع نفسه إلى هذا الجزاء العظيم، والفيض العميم، والتخلص من تبعات الذنوب؟.

وقيام ليلة القدر إنما يكون بـالتهجد فيها، والصلاة والدعـاء. وقد أمر رسول الله ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تدعو فيها، وتسأل الله العفو كشأن المقصرين، والله سبحانه هو الـعفو الكريم، وجميع الذنوب صغيـرة في جنب عفو الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر: ٥٣).

فاتقوا الله عباد الله، واعرفوا لهذه الليلة المفضلة قدرها، بالعمل على إحيائها في العبادة، والتمـسوها في أفراد هذه العشر كمـا جاء في الحديث: **«تحروا ليلة القدر، في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»**. فحـري بمن التمسهـا فيه ألا يخـيب، وأن يظفر بمرغوبه ومطلوبه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

أعوذ بـالله من الشيطان الرجـيم، بسم الله الرحمن الرحـيم: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ⑤﴾ (سورة القدر: ١-٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كـتابه. أقول قولي هذا، وأستـغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم الوهاب، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيـدنا محمـداً عبـده ورسوله، خيـر من قام بالأسحـار، ودعا إلى عـبادة الملك الغفار. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، جاء في الحديث الشـريف عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا إلى النبي ﷺ: **«إن الله ينظر ليلة القـدر إلى المؤمنين من أمـة مـحـمـد ﷺ، ويعـفـو عنهم ويرحمهم إلا أربعة: مدمن خمر، وعاقًا، ومشاحنًا، وقاطع رحم»**.

فاحـذروا ـ يا عباد الله ـ من مـجالب سخـط الله ، وعوائق العفـو والرضوان، لتفوزوا بالمغفرة، والنجاة من عذاب النيران.

٣٩ - في الحث على التمسك بالمثل العليا

الحمد لله المقصود في كل حال، المعروف بصفات الكمال؛ أحمده سبحانه، أحل الحلال وحرم الحرام، وحث على كريم الشمائل، وفضائل الأعمال؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، في بحر هذه الحياة الممتلئة بألوان من المغريات والملهيات، وأمواج الفتن والشبهات، تتلمس النفوس المؤمنة الراشدة وسيلة تنقذ موقفها، وسفينة نجاة تجعلها في مأمن من الغرق، وتصل بها إلى ساحل الأمان، ولن تعدم ما تريد، فإن ما رسمه رسول الهدى ﷺ من مثل عليا، يكفل إنارة الطريق، والهداية إلى أقوم سبيل، من ذلك ما وجه إليه الأمة في شخص الفرد وهو يقول: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**». فتقوى الله في كل اتجاه للمرء، في السر والعلن، في الخلوة أو بين الناس، وفي معاملته لهم، ومحو السيئة بالحسنة، يتبعها بها كلما زلت به القدم، كل ذلك عامل للنجاة، وطريق يأمن فيه السالكون، حيث يسلم لهم فيه الدين.

ويا لسعادة من سلم له دينه، وسط بحر المغريات، وبين أمواج الفتن والشبهات، ثم في مخالفة الناس ومعاشرتهم بالإحسان إليهم، وكف الأذى عنهم، والعفو عن زلاتهم، والتسامح عن هفواتهم، وخفض الجناح لهم، وعدم الكبر والتعاظم عليهم، في ذلك صلاح أمر الدنيا، حيث يسود التفاهم، ويحل الوفاق بدل الشقاق، وتقصر مسافة الخلف. يقول رسول الله ﷺ: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق**». ويقول: «**أوحى الله إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على**

أحد، ولا يبغي أحد على أحد». أما لو انعكس الوضع بالنسبة لهذه التوجيهات النبوية الكريمة، فحلت الرذيلة موضع الفضيلة، واشتغل الناس بالملهيات والمغريات عن تقوى الله وعن محو السيئات بالحسنات، واحتضنوا الخسيس الأدنى من الأعمال والأخلاق، وأطرحوا المثل العليا، إذا كان ذلك فقد انحرفوا عن سواء السبيل، واستحوذ عليهم الشيطان ليكونوا من حزبه، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون.

فحذار - عباد الله - من سبل الهوى، واتباع خطوات الشيطان، ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (سورة فاطر:٦). واتقوا الله ربكم، والتزموا في هذه الحياة نهجًا يصلح لكم به الدين والدنيا معًا، ويعصمكم عن تفريط الجاهلين ومزالق الخاطئين، واذكروا على الدوام قول الرسول الكريم: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة القصص: ٧٧).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي الكبرياء والعظمة؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين نبي الرحمة. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، فقد أفلح والله عبد سار على هديهما، والتمس النجاة فيما رسما من تعاليمهما، وصلوا على خير الورى.

٤٠ - في الحث على شكر النعم وعدم جحودها بالمعاصي

الحمد لله المتفضل على عباده بترادف نعمائه؛ أحمده سبحانه على سرائه وضرائه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل رسل الله وأنبيائه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، الشكر قيد للنعم، ووسيلة لدوامها، وعامل على المزيد منها، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (سورة إبراهيم:٧). وعلى العكس من ذلك كفران النعمة، فهو نكران للجميل، وجحود لفضل المنعم، وعامل على زوال النعم أو قطع تتابعها؛ وهو ظلم للنفس، يجر عليها أسوأ العواقب، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (سورة الشمس:٩-١٠). أي دنسها بالمعاصي، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (سورة يونس: ٤٤).

وإن من أبرز الأدلة على جحود النعم وعدم تقديرها العصيان والطغيان، والخروج عن طاعة الملك الديان، وخاصة إذا كان العبد متجهًا إلى الخير، مزدلفًا إلى مولاه بصالح الأعمال، كمن سلك نهج الهدى في رمضان، وكان مثال الطهر والعفة والاستقامة، متشبهًا بملائكة الرحمن، صاعدًا في درجات السعادة، إلى جانب أولياء الرحمن، فإذا أصيب بعد ذلك بالنكسة، وعدل عن الطاعة إلى المعصية، فقد خسر الربح، وأضاع حظه من الأجر، وخرج صفر اليدين. قال بعض العارفين: مقابلة نعمة التوفيق إلى الخير كصيام شهر رمضان بارتكاب المعاصي بعده، هو من فعل من بدل نعمة الله كفرًا، فنعمة التوفيق إلى الطاعة من دلائل تقديرها مواصلة الإحسان

بالإحسان، ومن براهين كفرانها اتباع الحسنة بقبيح الأعمال. نقل عن بعض السلف أنه قال: من عمل طاعة فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى، وعلامة ردها أن يعقبها بمعصية.

وما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (سورة هود:١١٤). وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها، لأنها ضلال بعد الهدى، واتباع للهوى، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة القصص: ٥٠).

ولقد ضرب الله الأمثال لعباده بمصير الظالمين، وما جره عليهم عصيانهم لله، وتجاوزهم لحدود الله، ليرتدع بعاقبتهم، وليأخذ العبرة من مصيرهم، وأولو البصائر أرباب النهى، قال تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ (سورة الدخان:٢٥-٢٧). - أي: عيش رخي كانوا فيه متنعمين - ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ (سورة الدخان:٢٨-٢٩)، أي: لم يكن لهم عمل صالح يرفع تبكي السماء لفقده، وليس لهم عمل صالح في الأرض، تبكي الأرض عليه. ولم ينظرهم الله حين أنزل بهم بأسه لتوبة يقبلها، أو معذرة يعتذرون بها، بل أخذهم دون هوادة، وتلك سنة الله تعالى في إمهاله للعصاة، ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر. وقال أيضًا موضحًا عاقبتهم وهلاكهم لكفرهم وظلمهم: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة النمل:٥٢) أي: لعبرة؛ وقص سبحانه خبر الظالمين حين معاينتهم للعذاب يوم الحساب، وطلبهم الرجعة إلى الدنيا لتدارك الماضي، واتباع الرسل وطاعتهم: ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾ (سورة إبراهيم: ٤٤). فرد الله عليهم بقوله: ﴿ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴾ (سورة إبراهيم: ٤٤-٤٥).

وإن القرآن - يا عباد الله - في وعده ووعيده، وفي قوارعه وزواجره، وفي ترغيبه وترهيبه، إنما يعني المبدأ، فمبدأ العصاة والظلمة واحد، وإن اختلفت درجات العصيان، وتنوعت أساليب الظلم والطغيان، وتقدم أو تأخر الزمان. فالمبدأ هو الخروج على أمر الله، ومبدأ المؤمنين واحد، وإن تفاوتت درجات الإيمان، واختلفت الجهود في اكتساب صالح الأعمال. فالمبدأ هو طاعة الرحمن، ومدار الجزاء على مبدأ الطاعة أو العصيان، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴾ (سورة طه: ٧٤). والإجرام كما يكون بالكفر بالله، يكون بالمعصية والخروج على أمر الله، والجزاء على الكفر أو المعصية بحسبه، كما أن الجزاء على الإيمان والعمل الصالح بحسب الدرجات العلى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (سورة طه: ٧٦).

فاتقوا الله عباد الله، وكونوا ممن لا تزيده النعم إلا طاعة لله واستقامة على أمره، ولا تكونوا ممن أبطرته النعمة، واستعان بها على المعصية، أولئك هم الفاسقون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة الحشر: ١٨-١٩).

الخطبة الثانية

الحمد لله الغفور الشكور؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير الحامدين الشاكرين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . . فيقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (سورة لقمان: ١٢). فاهتدوا - يا عباد الله - بهدي القرآن الكريم، واشكروا الله على آلائه، واحمدوه على نعمائه، إن الله يحب من عباده الشاكرين.

٤١ - في الحث على الأخذ بأركان الإسلام والصدقة، وذكر الله

الحمد لله، لم يخلق الخلق عبثًا، ولم يتركهم سدى؛ أحمده سبحانه، شرف أرباب العقول بالأمر والنهي، وجعل في آياته عبرًا لأولي النهى؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله نبي الهدى، والشافع المشفع لكل من آمن واهتدى. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن من سبل الهدى، ووسائل النجاة في الآخرة والأولى الأخذ بالمفروض من طاعة الله استجابة لأمره، والكف عن المنهي عنه، خشية من عذابه؛ ولن يكون أمر أو نهي إلا عن طريق أنبياء الله ورسله، فهم المبلغون عن الله، والهادون إلى صراطه، وهم النجوم المتألقة، ينيرون السبل للساري، وينصبون المعالم للمهتدي؛ صلوات الله عليهم أجمعين.

ولقد كان مما نقلته سنة رسول الهدى من أخبار نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام أنه جمع قومه وقام فيهم مذكرًا بأوامر الله، محذرًا من نهيه، وقال: «**إن الله أمرني بخمس كلمات، أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن؛ أولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به أحدًا، فإن مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله، بذهب أو وَرِق، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده؛ فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟، وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا؛ وآمركم بالصلاة، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت؛ فإذا صليتم فلا تلتفتوا؛ وآمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة - أي جماعة - كلهم يجد المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح**

المسك؛ وآمركم بالصدقة؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟، فجعل يفتدي نفسه بالقليل والكثير حتى فك نفسه؛ وآمركم بذكر الله كثيراً، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره، فأتى حصنًا فتحصن فيه؛ وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله».

تلكم - يا عباد الله - هي أوامر الله لنبيه يحيى بن زكريا وقومه، وهي أيضًا في شريعة خير الورى، ومما أمر الله به المصطفى ﷺ: فتوحيد الله جل جلاله، وتنزيهه عن الشرك له في العبادة، وأداء الصلوات المكتوبة جماعة في المسجد لا في البيوت، مع إقامة أركانها والخشوع فيها؛ والصوم بآدابه والتزاماته؛ كل أولئك أركان للإسلام، لا يستقيم الإسلام إلا بها؛ والصدقة على الفقراء والبائسين والمحرومين هي برهان واضح على صدق الإيمان، وطاعة الرحمن، واستدامة ذكر الله أمان من الغفلة، وحصن منيع من الشيطان.

فاتقوا الله عباد الله، والتمسوا النجاة من فتن الدنيا وعذاب الآخرة باتباع أوامر الله، واجتناب معصية الله، وتأسوا بفعل الهداة المهتدين رسل الله، تكونوا في رعاية الله وفضل سابغ من الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، كتب على نفسه ليجمعنكم إلي يوم القيامة لا ريب فيه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يغفر الذنب لمن تاب من عباده في حاضره وماضيه، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير من دعا إلى الهدى، وقام لربه يعبده ويناجيه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، في «الصحيح» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»**. على هذه الأسس - يا عباد الله - قام الإسلام واستقام، وكلها متلازمة مترابطة، فمن أخذ بها في مجموعها فقد أقام الإسلام.

٤٢ ـ في شرح خمس وصايا نبوية كريمة

الحمد لله الموصوف بصفات الكمال والجلال؛ أحمده سبحانه، وهو الكبير المتعال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، كريم السجايا والخلال. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، آية رجحان العقل، ودليل استنارة الرأي العمل بنصح الناصحين، والسير على نهج المرشدين، الذين لا يتهمون في نصحهم، ولا يسألون الناس أجرًا على إرشادهم وهدايتهم؛ وإن خير الناصحين وسيد الهداة والمرشدين هو محمد بن عبد الله ﷺ الذي وصفه الله بقوله في محكم كتابه، وهو أصدق القائلين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٢٨). ولقد كان مما نصح به الأمة، في جملة هدايته وإرشاده خمس وصايا كريمة، في الأخذ بها صلاح أمر الدين والدنيا والفلاح في الآخرة والأولى. يقول رسول الله ﷺ: **«اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم لك تكن أغنى الناس، فأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»**.

فالمحارم التي أمر رسول الهدى باتقائها هي حقوق الله التي يجب القيام بها، وعدم التفريط فيها؛ كالصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما أوجبه الله على العباد. فترك هذه الفرائض حرام يجب أن يتقى، وكذلك كل ما نهى عنه من كبائر الذنوب وصغارها، فإن الإقدام عليه حرام يجب أن يتقى؛ ومن فعل المأمور به وترك المحظور والمنهي عنه فقد اتقى محارم الله، وكان من

أعبد الناس وأولياء الله الذيـن وصفهم الله بقوله: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (سورة يونس: ٦٢-٦٣).

والرضا بقسمة الخالق مظهر التسليم بقدر الله، والقناعة بتدبيره والاعتراف بعدله، فقد اقتـضت حكمة الله أن يكون في الناس أغنياء وفقراء، فيـجب أن يرضى الجميع بهذه القسمة العادلة، التي اقتضـتها حكمة العليم الخبير؛ على أن الغنى غنى النفس؛ فكم من غني بلغ حد التخـمة، ومع ذلك يشعر بالحاجـة الملحة إلى جمع المال، وكم من فقير رزقه الله الكـفاف أو بعضه، ولكنه سعيد برزقه، راض بقـسمة ربه فهو من أغنى الناس، ومصداق ذلك قول الرسول الكريم ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض - أي المال - ولكن الغنى غنى النفس».

والإحسان إلى الجار، في كل أوجه الإحسـان حق مشروع، صوره رسول الهدى في أوضح صورة حيث يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». وإذا لم يوفق المرء للإحسـان، فلا أقل من أن يكف أذاه عن جاره، فرعـاية حق الجار بالإحسان أو كف الأذى دليل الإيمان، ويكون بها الجار من خيـر الجيران كما جاء في الحديث: «خير الجيران عند الله خيرهم لجاره».

أما تسوية المرء غيره بنفسـه، بحيث يحب للغير من الخير ما يحـبه لنفسه، فتلك هي العاطفة الكريمة، التي تحـجز عن الأنانية، وتباعد عن الحسـد الذميم، ويغدو بها المرء مسلمًا كامل الإسلام، يتجلى في روحه وأخلاقه وسلوكه حب الخير والرغبة في إشاعته بين الناس، العدو والصديق منهم على حد سواء.

وأما كثرة الضحك والإسراف فيـه فهو ظاهرة لفراغ القلب من الاشتغال بالنافع، مما فـيه الصـلاح والإصـلاح لحال العـبد فـي دنياه وأخـراه، فالـقلوب الفارغـة من المسؤوليـات - سواء كـانت مسؤوليـات دينية أو دنيـوية - يشتغل أصـحابهـا بالهزل، ويبـحثـون عن المضحكات على اختلاف ألوانهـا، رغبـة في الإغراق في الضـحك

والإسراف فيه، وفي ذلك إماتة للقلب بالغفلة، والإعراض عن التذكرة، وحسب المسلم من ذلك زاجرًا قول الرسول الكريم ﷺ : **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا»**.

تلكم - يا عباد الله - هي وصايا خير الناصحين وسيد المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ، وهو الحريص على هداية الأمة، والأخذ بها إلى ما فيه صلاحها، واستقامة أمرها. فاتقوا الله عباد الله، واعملوا على هديها، وابتغوا الخير في السير على نهجها، فالسعيد والله من أخذ نفسه بها، ولقد امتدح الله من عباده في محكم كتابه الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فقال عز من قائل:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ (سورة الزمر: ١٧-١٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، النبي العربي، ذو الخلق الكريم، والنهج القويم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، فالتمسوا - عباد الله - الهداية من نورهما، وابتغوا الخير في السير على نهجهما، فقد أفلح عبد طلب النجاة بالسير على ضوئهما، وصلوا - عباد الله - على الهادي البشير، سيدنا محمد أكرم رسول، وخير نذير، فقد أمركم بذلك اللطيف الخبير.

٤٣ - في الحث على سؤال الله صلاح الدين والدنيا والآخرة مع توضيح ذلك

الحمد لله، مجيب الدعوات؛ أحمده سبحانه، يغفر الذنب ويعفو عن السيئات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل رسول جاء بالهدى والبينات. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، غاية أمل المسلمين، ومحط رجاء المتقين، صلاح أمر الدين والدنيا، وصلاح أمر المعاد في الآخرة؛ فأما صلاح الدين فمداره على صلاح المعتقد، بحيث تتعلق القلوب بالله، وتصرف الوجوه عما سواه، إجلالاً له، ورغبة فيما عنده، إلى جانب الأخذ بالأعمال الصالحة، والتحلي بالفضائل، والترفع عن الرذائل. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (سورة الشمس: ٩-١٠). أي: أفلح عبد زكا نفسه بإصلاح دينه، وطاعة ربه، وسلوك سبيل الصالحين من عباده، وخاب عبد دنس نفسه بالمعاصي والانحراف عن مرضاة خالقه.

وأما صلاح أمر الدنيا فمدار ذلك على تيسير سبل الرزق، وأن يكون الكسب حلالاً، يحصل به المرء على الكفاف فيما يحتاج إليه، كما جاء في الحديث: «قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا، وقنعه الله بما آتاه»، ومن صلحت له دنياه إلى جانب صلاح دينه فقد أدرك السعادة بحذافيرها.

وأما صلاح الآخرة: فحاصله أن يكون المرء في زمرة السعداء، يأخذ كتابه بيمينه، ويحاسب حسابًا يسيرًا، ويعبر الصراط إلى الجنة دار الكرامة والنعيم. كما قال

تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (سورة الحاقة: ١٩-٢٤). وبصلاح الدين والدنيا، وصلاح أمر المعاد في الآخرة، يستكمل العبد أسباب السعادة، لذلك كان من حرص نبي الهدى على هداية أمته لجميع سبل الخير، أن جمع لها عوامل السعادة في دعاء واحد، تتجه به إلى بارئها، ولتضرع إليه أن يجمع لها بين صلاح الدين والدنيا، وحسن العاقبة في الآخرة؛ فقال: **«اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي»**.

ولما كانت الحياة في هذه الدار محدودة بأجل نهايته الموت، وكان على العبد أن يتزود فيها من الخير ما استطاع؛ وأن يباعد بينه وبين الشر ما وجد إلى ذلك سبيلاً، أرشد رسول الهدى ﷺ أن يسأل العبد ربه، في أن يجعل الحياة مجالاً يزداد فيه من الخير، وأن يجعل الموت راحة من الشر في مختلف طرقه؛ يقول رسول الله ﷺ: **«واجعل الحياة زيادة لي من كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»**.

فالحياة مع التزود من العمل الصالح خير يحرص عليه البررة الصالحون، كما جاء في الحديث: **«خير الناس من طال عمره وحسن عمله»**. والموت راحة للمسلم من فتن تعرض له في حياته، أو شرور وآثام تكتنفه؛ وفي طلب الراحة بالموت إشارة إلى دعاء الرسول ﷺ حيث يقول في حديث آخر: **«وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»**.

فاتقوا الله عباد الله، واسألوا الله صلاح الدنيا، وحسن العاقبة في الأخرى؛ فصلاح الدين والدنيا، وحسن العاقبة في الأخرى، غاية أمل المتقين، ومحط رجاء الصالحين، كما أخبر بذلك رب العزة، عند المقارنة بين مطلب المنحرفين والمهتدين، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي

الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٠-٢٠٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله القادر القاهر؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، إمام المهتدين، وقدوة البررة من كل حامد لله شاكر. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله؛ لقد أثر عن رسول الله ﷺ مجموعة كبيرة من الدعوات، في شتى المناسبات، وفى أدبار الصلوات، وعند اشتداد الكرب والأزمات، وفي جلب الخير، ودفع الشر والنكبات، فاحرصوا - رحمكم الله - على الأخذ بها، فهي وسيلة صالحة لبلوغ الأماني، وتحقيق الرغبات.

وصلوا عباد الله على الهادي البشير، سيدنا محمد أكرم رسول وخير نذير، فقد أمركم بذلك رب العالمين.

٤٤ - في الحث على مواساة الفقراء لمناسبة الشتاء

الحمد لله قديم الإحسان؛ أحمده سبحانه، وهو الكريم المنان؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الثقلين من إنس وجان. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، بذل المنفقين، وإحسان المحسنين، وسيلة من وسائل الرضوان لرب العالمين، وعامل لتحقيق وعد الرب الكريم، بالخلف على المنفقين، ومحبته للمحسنين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سورة سبأ:٣٩). وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة البقرة:١٩٥). ولقد ذكر الله المتقين في كتابه بكريم صفاتهم، وجليل فعالهم، وأوضح عظيم جزائهم، قال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (سورة الذاريات: ١٥-١٦).

وأنزل سبحانه الإنفاق في سبيله منزلة القرض الذي لا يتخلف أداؤه، ترغيبًا فيه، وطلبًا لمضاعفة أجره. قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الحديد:١١). وبالغ سبحانه في الحض على الإنفاق، حيث جعل الأمر به قرينًا للأمر بالإيمان بالله ورسوله، وأضاف إلى ذلك الوعد الكريم بالأجر الكبير، فقال: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (سورة الحديد:٧).

بل لقد ذهب الإسلام إلى أبعد من الأمر بالإنفاق، فأوجب التكامل بين عموم أفراد المجتمع الإسلامي، بحيث يتساند الجميع على رفع كابوس المحنة عن المعوزين، وحمل ثقل الفقر عن المحتاجين، يبدو ذلك واضحًا في قول الرسول الكريم ﷺ:

«من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، ومن كان له فضل ظهر - أي مركب زائد عن حاجته - **فليعد به على من لا ظهر له»**. وتبالغ التعاليم الإسلامية في كفالة المجتمع لفقرائه، فتحمله مسؤولية عظمى، لو بات فقير طاويًا بين ممتلئين، أو عاريًا بين مكتسين، يقول رسول الله ﷺ: **«أيما أهل عرصة** - أي ساحة دار - **أصبح فيهم امرؤ جائعًا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى»**.

والعري - يا عباد الله - آخ للجوع، بل لقد يستر الفقير جوعه عن الناس، ولكنه لا يتمكن من ستر ثيابه البالية. وإن الشتاء - يا عباد الله - قد مد رواقه، والشتاء يرهق الكاسب، ويفتن الكاسد، فالكاسب تتضاعف عليه النفقة في الشتاء، فكيف بالكاسد المعدم؟، وما أكثر المعدمين في ثياب المتعففين. إنهم كما وصفهم رسول الهدى ﷺ بقوله: **«ليس المسكين بهذا الطواف، الذي ترده التمرة والتمرتان، واللقمة واللقمتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئًا»**. يؤيده قول العليم الخبير: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾ (سورة البقرة: ٢٧٣) أي: يحسبهم الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لتعففهم وعدم سؤالهم.

ومن هذا الصنف: الأرملة التي تضم أيتامًا لا عائل لهم، ولا تستطيع الكسب فتنفق عليهم، ومنهم الشيخ الكبير وهن منه العظم، وليس لديه مال يستعين به في هرمه، أو ولد بار يسعفه في شيخوخته، ومنهم العاطل الذي كسدت صناعته، والعاجز الذي أقعدته عن الكسب زمانته، وصاحب المورد الضئيل، الذي لا يقوم مورده بسد نفقات من يعوله، كل أولئك - يا عباد الله - ومن على شاكلتهم، في حاجة إلى التخفيف من متاعبهم، ومد يد العون إليهم على الدوام، وفي هذا الشتاء خاصة، إما يدًا بيد، كصدقة سر، لا تعلم شمال المنفق ما أنفقته يمينه، أو عن طريق الأيدي التي توصل الخير إلى المعدمين والكاسدين، دون منٍّ على فقير، أو أذى في المواساة والإحسان.

فاتقوا الله عباد الله، وأنفقوا مما رزقكم الله، واذكروا في هذا الشتاء إخوانًا لكم في الله، عضهم الفقر، وأثقلت كواهلهم متاعب الحياة، واسوهم بالقليل من أموالكم، ولا يحقرن أحدكم من المعروف شيئًا، أسعفوهم بالعيش الرخي، والثوب الرضي، وكونوا لهم عونًا في الشدة، وعضدًا في المحنة، «**فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ⑩ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (سورة المنافقون ١٠-١١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المتفضل على عباده بجزيل النعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير خلق الله من عرب ومن عجم. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، سأل رسول الله ﷺ مرة أصحابه فقال: «**أيكم مالُ وارثه أحب إليه من ماله؟**»، **قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر»**. وفي هذا التوجيه النبوي الكريم ما يحفز إلى البذل والإنفاق في أوجه الخير، وإعانة المعدمين. فأحسنوا - يا عباد الله - إن الله يحب المحسنين، وصلوا على النبي الأمين.

٤٥ - في الحث على نصرة الأخ المسلم، ظالمًا أو مظلومًا

الحمد لله الرقيب الحسيب؛ أحمده سبحانه، حرم الظلم على نفسه، ونهى عن التظالم بين البعيد والقريب؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وضع أسس العدل، فاستقام به الأمر بين كل راشد مستجيب. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، أرأيتم الصحراء المترامية الأطراف، هل من الحزم سلوكها دون أخذ الأهبة من السلاح والرفيق؟. ألا وإن الحياة بمتاعها، تشبه إلى حد كبير صحراء مترامية الأطراف، فمن الحزم بل ومن المفروض أيضًا لمن يخوض غمار هذه الحياة أن يأخذ فيها الأهبة، من سلاح يعتد به، ورفيق يعينه على أمره.

أما السلاح الذي يجب أن يعتد به المسلم فهو الدين. وحسبكم - يا عباد الله - قوة ومناعة أن تتسلحوا بالدين؛ فهو الوسيلة الفعالة لصد عدوان المفسدين، ورد كيد المفترين المضللين. وأما الرفيق في هذه الحياة، فهو الأخ المسلم الصالح، إن ركنت إليه في شدة أعانك، وإن لجأت إليه في دفع الظلم والعدوان عنك انتصر لك وشد أزرك، وحمل سلاح المقاومة إلى جانبك، ودافع كدفاعه عن نفسه بالمال والجاه، أو بالرفع إلى السلطان، أو بحمل القلم أو حمل السنان، لو دعا الأمر إلى ذلك، حتى يعود الحق إلى نصابه، وحتى يشعر الأخ المسلم المظلوم بالعزة والكرامة والقوة تعود إليه، وبالحيف والظلم والجبروت يرتفع عنه.

وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : **«من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط، يوم تزل الأقدام»**. وهو ما عناه ﷺ إذ يقول: **«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»**، أي: كن وإياه يدًا واحدة في دفع الظلم عنه إن كان مظلومًا؛ لا تتركه وحده يسلك الطريق فتعدو عليه الضواري، ولا تخذله لو كان في حاجة إلى نصرك،

في موضع يمكنك أن تنصره فيه؛ فمن خذل مسلمًا في موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه خذله الله في موضع يحب فيه أن ينتصر. ولذلك صح الحديث عن الصادق المصدوق ﷺ وفي رواية: **«من أذل عنده مسلم فلم ينصره، وهو يقدر أن ينصره، أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة»**.

أما لو انعكس الوضع، فكان المسلم بحكم بشريته وعدم عصمته ظالمًا متجنيًا، فإن نصره يكون بالأخذ على يديه، ومنعه من الظلم والتجني، والحيلولة بينه وبين ما يريد؛ كما أوضح ذلك رسول الهدى لمن سأله عن نصرة الأخ الظالم، قال: **«تحجزه وتمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه»**. وفي منعه من الظلم إبقاء عليه وحفظ لكرامته وشرفه من أن يمتهن بالإدانة والقصاص؛ وسلامة لنفسه من أن تحمل نتيجة الظلم، وتستوجب عقوبته في الآخرة. **«فالظلم ظلمات يوم القيامة»**، كما جاء في الحديث. والظلم يشمل جميع أنواعه، سواء كان في النفس أو في المال أو في العرض.

ذلكم - يا عباد الله - هو الأخ المسلم الصالح، الذي يعين أخاه على أمره في خضم هذه الحياة الزاخرة بالمتاعب: وتلكم هي أهداف الأخوة في الإسلام، التي جعلها الدين فوق كل اعتبار، وفوق كل رابطة للجنس أو القبيلة، أو العصبية أو المصالح المتشابكة، هي - يا عباد الله - عون على الخير وحمل عليه ودفع عن الشر وهدم له.

أما المسلم الذي يعيش لنفسه، ويترك أخاه يقطع الطريق وحده تلم به المحن فلا يمده بعون؛ وتنتقص أطرافه، ويستباح ماله وعرضه فلا يظاهره أو يثأر له، وكأنه لا يعنيه ذلك في قليل أو كثير. ذلكم - يا عباد الله - هو المسلم الأناني. والأنانية علة التفرقة، وعامل العزلة؛ وما ضعف المسلمون وهانوا على أنفسهم، واستخذوا لأعدائهم، إلا بعد أن دب إليهم داء الأنانية، وأصبح كل فريق بل كل فرد في كل مجتمع يعيش لنفسه، ويسعى لمصلحته الخاصة، ولو كانت على حساب أخيه ومضرته، ويضع يده في يد عدوه، ويخذله وهو أحوج ما يكون إلى نصره، وتلك هي هزيمة المسلم لأخيه، بل هزيمة المسلمين جميعًا في شخص المسلم المظلوم والأخ

المنتقص المهضوم. فالمسلمون جميعًا كما وصفهم رسول الهدى ﷺ كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

فاتقوا الله عباد الله، وكونوا يدًا واحدة، وصفًا متراصًا لنصرة المظلوم، والأخذ على يد الأخ الظالم، ففي ذلك سلامة المجموع، وعليه الوعد الكريم من رب العزة بالأجر العظيم؛ فاستمعوا له إذ يقول، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (سورة الشورى:٣٦) ـ إلى أن قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة الشورى: ٣٩-٤٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الولي الحميد؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير من دعا إلى الدين، وكل نهج سديد. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، صح من حديث رسول الله ﷺ عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تكونوا إمعة** ـ أي: لا رأي لكم ـ **بل تقلدون الناس، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا»**. وذلكم ـ يا عباد الله ـ أعدل مسلك يرسمه رسول الهدى لحفظ التوازن في المجتمع الإسلامي، فعلى نهجه فليعمل المهتدون.

٤٦ - في الصبر على الطاعة

الحمد لله معين الصابرين، وكاشف الغم ومزيل الهم عن المكروبين؛ أحمده سبحانه، وهو للحمد أهل، أشكره على السراء والضراء؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الصابرين والشاكرين، وشفيع الموحدين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن لكل أمر عدة، وإن عدة الشدائد الصبر، وإن أفضل ما تحلى به العبد من خلال الخير - صبر يضفي على صاحبه الأمن والطمأنينة، ويربط على قلبه، ويرتفع به إلى درجات المقربين، وينزله منازل الصالحين.

ويشمل الصبر أمورًا ثلاثة:

الأمر الأول - الصبر على طاعة الله، ويدخل في ذلك كل مشقة يلاقيها العبد أثناء قيامه بالطاعة.

الأمر الثاني - الصبر عن محارم الله، ويشمل صرف النظر عن المنهيات والشهوات، والكف عن الذنوب كبيرها وصغيرها، والترفع عن الإثم والخطيئة.

الأمر الثالث - الصبر على أقدار الله المؤلمة، ويشمل الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره، وحلوه ومره، ويدخل في ذلك كل ما يعترض العبد من متاعب هذه الحياة الدنيا، من شدة وكرب، بعد رخاء ويسر، ومن مرض واعتلال بعد صحة ونضارة، ومن بؤس وفقر، بعد غنى وإيسار.

وهكذا فليست الدنيا - يا عباد الله - لتصفو أبدًا، وكل ذلك جار بقضاء الله وقدره، وهو ما يجب الصبر عليه، واحتساب أجره عند الله، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (سورة محمد: ٣١). قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له». والمرء - يا عباد الله - بحكم بشريته عجول ضجر، يستعجل الأمور، ويضجر بالمقدور، ويود أن يبقى سليمًا معافى، دون بلوى تصيبه، أو محنة وشدائد تصهره وتمحصه، وليس على ذلك في دار البلاء معول.

فاتقوا الله عباد الله، وتذرعوا بالصبر في كل ما ادلهم من أموركم، أو عرض لكم من جهد ومشقة في أداء الطاعات، أو غالبكم فيه الهوى وساورتكم فيه الشهوات؛ فما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المحمود على كل حال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير هاد إلى المثل العليا وكريم الخلال. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، ابتلى الله نبيه يعقوب بفراق ابنيه، فتذرع بالصبر وكانت عاقبته حميدة، حيث جمع الله شمله بحبيبيه، وقرت عينه بهما، بعد الشدة وطول الحزن والفرقة.

وابتلى الله نبيه أيوب، فكان صبره مضرب المثل في الماضي والحاضر، حتى كشف الله عنه البلاء والشدائد؛ وصبر سيد الخلق رسول الله ﷺ على ما لا يحتمله بشر من أذى قومه، وكان عاقبة صبره النصر والتأييد. وكذلك تكون عاقبة الصبر على الدوام حميدة. فعوِّدوا ـ يا عباد الله ـ أنفسكم الصبر وتخلقوا به، فرحم الله عبدًا اتخذ من الصبر مزدلفًا إلى مولاه طلبًا لرضاه، فكان بذلك في عداد البررة من عباد الله، الذين عناهم الله بقوله: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (سورة الزمر: ١٠).

٤٧ ـ في الحث على التواضع والتنفير من الكبر

الحمد لله الحكيم الخبير؛ أحمده سبحانه، له الكبرياء في السموات والأرض، وهو السميع البصير؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أكرم رسول وخير بشير. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، ضدان لا يجتمعان، وخلقان لا يلتقيان، تواضع كريم محمود، وكبر بغيض مذموم، ذلك لأن التواضع تطامن في النفس، وترفع عن الأنانية، ورفق في المعاملة، وسماحة في الخلق، كل ذلك ـ يا عباد الله ـ من المحامد التي يرعاها الإسلام ويدعو إليها، ويرغب في التخلق بها؛ توثيقًا للصلة بين المسلمين، واستدامة للألفة، كما جاء في الحديث، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوحى الله إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد».

والمجتمع الإسلامي الصالح هو الذي يتعارف أفراده على خصال الخير، ومن بينها: التواضع، التواضع لله في أرضه، بحيث يظهر أثره في التحدث بنعمه، وعدم التعالي على خلقه، ولين الجانب، وخفض الجناح لعباده؛ وبذلك يعظم الأجر، ويحمد الذكر؛ كما جاء في الحديث: «من تواضع لله درجة رفعه الله بها درجة، حتى يجعله في أعلى عليين». وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يا أيها الناس تواضعوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تواضع لله رفعه الله، فهو في نفسه صغير، وفي أعين الناس عظيم».

[illegible]سب المتواضع ـ يا عباد الله ـ محمدة ورفعة أن يسلك بتواضعه سبيل المرسلين [illegible]يتحلى بأخلاقهم؛ فلقد أمر رب العزة أكرم الخلق عليه بخفض الجناح لمن اتبعه،

ليكون لهم به الأسوة وفيه القدوة، قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الشعراء: ٢١٥).

أما الكبر فعلى العكس من ذلك، عرَّفه رسول الهدى وتحدث عن اتجاهاته بقوله: **«الكبر بطر الحق وغمط الناس»**، فبطر الحق: دفعه ورده على قائله، وعدم الاستجابة له، فإذا سمع المتكبر نصح الناصحين وتذكير الواعظين أعرض ونأى بجانبه، وتمادى في كبريائه، وكأنه لم يكن معنيًا بالموعظة والتذكير، أو كأنه أرفع من كل نصح وتقويم. وأما غمطه للناس: فاحتقاره لهم، وتعاظمه عليهم، إما بحطام الدنيا الفاني، الذي هو عارية في يده، أو بحمله مؤهلاً علميًا قد لا يكون مع غيره، أو بارتفاعه إلى منصب يرى الناس فيه دونه. وذلكم - يا عباد الله - فساد في العقل والدين، أما فساد العقل فدليله أن المتكبر تجاهل وضعه كعبد ذليل، مقهور لصاحب الكبرياء والعظمة رب العالمين، وتناسى أصل خلقه، ومادة تكوينه، وتناسى أن أصله التراب، وأن مادة تكوينه السلالة والماء المهين. وأما فساد الدين: فآيته دفع الحق والاستنكاف عن قبوله، ومضي المتكبر في تيهه وإعجابه بنفسه، واتباعه لهواه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ (سورة القصص: ٥٠).

وإذا كان موقف العدل يقضي بالجزاء، فإن الله جلت عظمته قد أعد للمتكبرين في الآخرة جزاء يتحطم به كبرياؤهم، فيتضاءلون وينكمشون، بقدر ما انتفخوا في الدنيا، وبقدر ما تعاظموا على عباد الله، وتكبروا على الحق، يقول رسول الله ﷺ: **«يحشر المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان»**. ولهم وراء ذلك - يا عباد الله - وعيد بالامتهان في دار الهوان؛ كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جَوَّاظ مستكبر»**. فالعتل: هو الغليظ الجافي، والجواظ: من معانيه المختال في مشيته، والمستكبر: الذي يرى نفسه أكبر من غيره، فهو مدع متكلف، ولئن كان له في هذا الادعاء والتعالي سلف وقدوة - فسلفه وقدوته إبليس، حيث زعم أنه خير من آدم

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (سورة ص: ٧٥-٧٦). ألا بئس إبليس من قدوة لمن سلك سبيله، وكان من المتعاظمين المستكبرين.

فاتقوا الله عباد الله، وعليكم بالتواضع فهو نهج المرسلين، وسبيل الصالحين وحذار من الكبر والتعاظم، فإنه مسلك الجبارين، وطريق الغاوين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة القصص: ٨٣).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله مالك الملك إله العالمين؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رسم للسالكين منهاج السعادة وحذرهم من كبر المتكبرين، وعظمة المتعالين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، يقول رسول الله ﷺ: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه - أي يترفع ويتكبر - حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم». وجاء في الحديث أيضًا: «احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون. وقالت الجنة: فيَّ ضعفاءُ الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي، أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي، أعذب بك من أشاء، ولكليكما عَليَّ ملؤها».

جعلني الله وإياكم ممن رحمهم الله بالجنة دار الكرامة، ووقاهم من النار، دار الهوان والمذلة.

٤٨ ـ في بعض مقاصد الحج وأهدافه

الحمد لله، شرع للحج مقاصد سامية، وأهدافًا كريمة؛ أحمده سبحانه على نعمه العظيمة؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الهادي إلى شريعة الله المستقيمة، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، إن للحج مقاصد سامية، وأهدافًا لا تقتصر على المظهر: من لبس الإحرام والتلبية، والسير بين مشاعر الحج المعظمة لأداء النسك؛ ولا تقف عند حد التعارف والتآلف، وتجديد الروابط الإسلامية بين الأخوة في الله؛ ولكنها ـ إلى جانب ذلك ـ تهدف إلى إعطاء صورة من لقاء الله يوم العرض عليه، في جموع محتشدة، تشبه إلى حد كبير ـ الصورة التي يكون عليها الناس في الحج ـ ولئن كان لهم اليوم في لباس الإحرام ما يسترهم، فإنهم يحشرون إلى ربهم حفاة عراة، يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر، ويلبون الداعي دون تلكؤ أو تسويف، وفي موقف عرفة حين ينزل الحجيج بساحة الغفران، مؤملين خائفين، مؤملين التمحيص وتكفير السيئات، والعفو عن الزلات، وخائفين من تبعات الذنوب وجرائرها، لئلا تحول دون القصد وبلوغ الرضوان، إلى أن يشملهم الله برحمته، ويباهي بهم ملائكته، ويقول لهم: أفيضوا عبادي مغفورًا لكم. إنهم بهذا الموقف، الذي يجمع بين الخوف والرجاء، يمثلون موقفهم يوم العرض على الله، حيث يكونون أيضًا بين الخوف والرجاء، يرجون رحمة الله التي وسعت كل شيء، ويخافون من مناقشة الحساب، «ومن نوقش الحساب هلك»، كما جاء بذلك الحديث ـ حتى يقضى بينهم ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ

مَسْرُوراً ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيراً ﴾ (سورة الانشقاق: ٧-١٢).

ثم في الإقامة العابرة بمنى، بعد أن بلغوا المُنى، تغـمرهم الفرحة بقضاء الواجب عليهم، وأداء ركن الدين، وهم في ضـيافة الله، بين أكل وشـرب وذكر الله، يمثلون بذلك فرحتهم بنزولهم الجنان، وقيامهم فـيها أبدًا، في نعيم مقيم، وغبطة بالنظر إلى وجه الرب الكريم، جزاء إحسانهم، وقيامهم بطاعـة ربهم، كما قال تعالى مخبرًا عن واقعهم: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة يونس: ٢٦).

وهكذا يجمع الحج بين الأغراض السامية، والأهداف الكريمة، التي تكون بها سعادة الدارين، والعز والرفعة في الحياتين، فـيرجع الحاج من حجه إلى بلده، قرير العين لأداء النسك وقضاء التفث، قوي النفس، عزيز الجانب بالترابط الإسلامي، والتعارف والتآلف الأخوي، مرتسـمًا في نفسه الصـورة لموقف القيامة الكبـرى، يوم العرض على المولى، ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (سورة الشعراء: ٨٨-٨٩).

ولهذه العوامل مـجتمعة يغـدو المسلم مهما نأت به الدار، وفيًـا لهذا المقام عظيم الحنين إليه، مستـمسكًا بعهده، منتهزًا الفرص كل عام، ليـصبح في جملة من يقول: لبيك اللهم لبيك. ومصداق ذلك قول رب العزة: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ (سورة البقرة: ١٢٥). أي: تحن إليه الأرواح، وتشـتاق لحج البيت العتـيق الأشباح، ولا تكاد تقـضي منه وطرًا، فكلما تكررت زيارته ازداد في القلـوب التطلع إليه، لقـضاء أسعد فرصة في رحابه.

وإن عظم حرمان للمسلم ـ يا عباد الله ـ وأعـظم مأساة في حياته، أن يحال بينه وبين الوصول إلى بيت ربه لأداء فـريضة الحج التي افترضـها الله عليه، ولحط الأوزار عنه، والتطهر من الأوضـار، أعظم مأساة فـي حياة المسلم أن يحـرم من هذا الفضل

العظيم، بفعل السياسة الغاشمة، وترويج الأضاليل، ووضع العراقيل في سبيله، ليقعد مرغمًا عن إكمال دينه، مع توفر الأسباب لديه.

وإن هذا البلد الذي شرفه الله، والذي جعله مركزًا لإقامة شعيرة الحج، ليُشهد الله على أن السبل إليه ميسرة، ولن يحجز عن الحج من قبله من صح منه العزم عليه، وقصده في حرارة وإيمان، وطاعة للملك الديان.

فاتقوا الله عباد الله، وخذوا من الحج دروسًا عملية، لجمع الشمل وتوحيد الجماعة، إلى جانب أداء النسك، وقضاء التفث، واستشعروا بموقفه موقف العرض على الله، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئًا، إلا من رحمه مولاه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ (سورة الحج: ٢٦-٢٨).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله إله العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الثقلين، وإمام النبيين. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، جاء في الحديث، أن رسول الله ﷺ دعا للحاج قائلاً: «**اللهم اغفر للحاج، ولمن استغفر له الحاج**». فيا لسعادة من خصه الرسول الكريم بالدعاء، والمغفرة، ويا لعظم حظوته.

---

٤٩ - في بيان مناسك الحج

الحمد لله الإله الحق المعبود، أحمده سبحانه صاحب المنن الضافية، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، وسيلة قبول العمل الصالح وبلوغ الأمل به أن يكون خالصًا لله مطابقًا للسنة؛ فالإخلاص روح العمل وسره؛ وسنة المصطفى ﷺ هي الضياء المشرق، الذي يبدد ظلمة الجهل، وينير السبيل أمام السالكين، فعلى حجاج بيت الله أن يحرصوا على الإخلاص في حجهم، وأن يتبعوا فيه سنة نبيهم؛ ليحوزوا القبول ويفوزوا برضاء ربهم.

ولقد صح من سنة المصطفى ﷺ في حجه، أنه خرج إلى منى في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة، وأقام بها سحابة اليوم، حتى صلى بها الصبح يوم عرفة، ثم ارتحل منها إلى نمرة، وصلى بها الظهر والعصر قصرًا وجمعًا، وخطب فيها خطبته المشهورة، التي نصب بها معالم الدين، وحطم عصبيات الجاهلية ونزعاتها، ثم دخل إلى عرفات؛ ووقف بجوار الصخرات يذكر الله تعالى حتى غروب الشمس، وقال: «**وقفت هاهنا، وعرفة كلها موقف**»، ففي أي موضع وقف الحاج في عرفة أجزأه؛ وليس من السنة صعود الجبل؛ ثم دفع من عرفة بعد الغروب إلى المزدلفة، وصلى بها المغرب وجمع إليها العشاء قصرًا وبات بها ليلة العيد، ثم صلى الصبح بغلس، ووقف عند المشعر الحرام يذكر الله تعالى حتى أسفر جدًا، وقال: «**وقفت هاهنا، وجمع كلها موقف**» - أي والمزدلفة كلها موضع للمبيت -، والتقط الجمار من الأرض، لم يكسرها من الجبل، ولم يغسلها؛ ثم أفاض إلى منى، فرمى جمرة العقبة وحدها بسبع حصيات، ثم نحر هديه، وحلق رأسه، ولبس ثيابه، وقصد البيت الحرام، لطواف

الإفاضة، ثم رجع إلى منى، وأقام بها ثلاثة أيام بعد يوم العيد، يرمي الجمار الثلاث كل يوم بعد الزوال لا قبله، مبتدئًا بالجمرة التي تلي مسجد الخيف ولم يرم الجمار بالنعال ولا بالأحجار الكبيرة، وإنما كان يرميها بالحصى، ثم رجع إلى مكة.

هذه ـ يا عباد الله ـ هي سنة نبيكم ﷺ في حجه. فاتقوا الله عباد الله، واحرصوا كل الحرص على الاقتداء به، فالخير كل الخير في اقتفاء أثره، والسعادة بحذافيرها في انتهاج نهجه. وقد صح عنه ﷺ أنه قال: **«خذوا عني مناسككم»**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (سورة البقرة: ١٩٨-١٩٩).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير الدعاة إلى ربه وباريه. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد .. فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ***«الحج عرفة»***، أي أن أهم أركان الحج الوقوف بعرفة، فمن وقف بها محرمًا في اليوم التاسع من ذي الحجة، أو جزء من ليلة العيد، ثم عاد إلى مكة، وطاف للحج وسعى بين الصفا والمروة فقد أتى بكل أركان الحج، التي لا تسقط بحال. وما عدا ذلك من أعمال الحج، إما واجب يجبره التقرب إلى الله بذبح دم، وإما سنة يعفو الله عمن قصر فيها للضرورة أو لغير قصد. فخذوا ـ عباد الله ـ باليسير من أمر دينكم؛ فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير دينكم أيسره»، وما قامت شريعة الله إلا على اليسر والسماحة

٥٠ - في التنفير من مسالك الملحدين

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، شر البلية انتكاس بعد الهدى، وعمى بعد البصيرة، وضلال بعد الرشاد. وإن مما يَحزُّ في نفس كل مسلم ما مُنيت به الجماعة الإسلامية من قيام بعض المفتونين بتسفيه مسلك المتدينين، والسخرية من عباد الرحمن المهتدين، والطعن عليهم، والتنفير منهم بشتى الوسائل، لا لشيء سوى الرغبة في التحلل من الدين، والتحرر من قيوده والتزاماته بدعوى أنه وضع قديم؛ وأن العصر الحاضر هو عصر التجديد والتطور، لا يناسبه إلا كل جديد وتجديد ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ (سورة الكهف: ٥).

إن الدين الإسلامي - يا عباد الله - هو دين الفطرة الخالد، وهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده إلى قيام الساعة. ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (سورة المائدة: ٣). فهو صالح لكل زمان ومكان، لا يضل عنه إلا هالك انتكست فيه الفطرة التي فطر الله عليها الخلق ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ (سورة البقرة: ١٣٠). فلا يصدنكم عنه المفتونون، ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٤٥). إنهم يريدون الإسلام مظهرًا براقًا، يحمل طابع التجديد على زعمهم، إنهم يزعمون أن الصلاة التي قال عنها رسول الهدى، إنها عمود الدين، وقال: «لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة». يزعمون

أنها فكرة رجعية، من بقايا العهد القديم، ويرمون من يقيم الصلاة بالرجعية والتأخر، وأنه صاحب عقل قديم؛ وما الإسلام إلا استسلام لله في كل أمر أو نهي، وما الدين إلا توحيد وإخلاص في العبادة لله، وتصديق واستجابة لكل ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، وفي طليعته الصلاة، ومنه الزكاة والصوم والحج والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام، فمن أنكر شعيرة منها فقد كفر بالجميع.

وإن لهم - يا عباد الله - في كل يوم دسائس وتلبيسات فظيعة يشيعونها بين الناس لهدم الدين، والتخلص من شريعة رب العالمين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة التوبة: ٣٢).

أما الفضيلة فقد استعاضوا عنها بالرذيلة، وهي في عرفهم رقي وتجديد وحرية، فالخلاعة والاستهتار والتهتك، والإباحية في أبشع صورها، كل ذلك في نظرهم هو العلاج الشافي للمجتمع المريض، ويجب أن نعالج به مشاكل الإنسانية، بدلاً من التذكير بالله، والتخويف بوعيده، والإنذار من عقابه، والمجتمع المريض في نظرهم هو المجتمع الإسلامي الفاضل، المحافظ على دين وأخلاق أفراده، والذي لم ينخدع بفتنة المفتونين، وزخرف المبطلين.

وإنها - يا عباد الله - لفتن قد أطلعت رؤوسها وأقبلت، كما صح في الحديث الشريف، فتنًا كقطع الليل المظلم - يقول رسول الله ﷺ: **«بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل»**. فاتقوا الله عباد الله، واعملوا جاهدين لدفع هذا الوباء بصادق عزيمة عن أنفسكم وأولادكم، عن أهليكم وإخوانكم، فقد أفلح عبد عاش على الفطرة، ولقي الله وهو غير مفتون، فكان في عداد من ابيضت وجوههم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٤-٢٥).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي العزة والجبروت؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله واحد ورب معبود، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود والحوض المورود. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث صحيح طويل: «**إنه لم يكن نبي قبلي، إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم من شر ما يعلمه لهم. وإن أمتكم هذه جعل الله عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجئ الفتنة يردف بعضها بعضًا، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، وتجيء الفتنة يرهق بعضها بعضًا، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر**».

وليس بعد هذا البيان النبوي لواعظ أن يقول شيئًا. فالنجاة - عباد الله - بأنفسكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، حذار أن تنخدعوا بأقوال دعاة الفتنة المبطلين، ولا يغرنكم بريق ألفاظهم، ومعسول كتاباتهم، وبهارج أقوالهم، فهي هدم للدين، وهي كالشراب، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

---

٥١ - في الوعظ والتذكير بنهاية الآجال وتدارك الماضي بصالح الأعمال

الحمد لله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم؛ أحمده سبحانه، وهو الرب العظيم الكريم؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، نبي أرسله الله رحمة للعالمين، وهاديًا إلى الصراط المستقيم. اللهم صل وسلم على عبدك وسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . فيا عباد الله، إذا كان من المقرر في العقول السليمة أن لكل بداية نهاية، فإن لآجال العباد في هذه الدار نهاية تنتهي إليها، وقد تحدث عن هذه النهاية رسول الهدى ﷺ، بما يفيد التقريب لا التحديد فقال: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**». ستون أو سبعون، يتقلب فيها المرء بين ضعف الطفولة وقوة الشباب، وضعف الكهولة حيث تسلمه إلى الشيخوخة المضنية، فالهرم فالفناء ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (سورة الروم: ٥٤). ستون سنة - يا عباد الله - أو سبعون، عمر مديد وفضل من الله سابغ، من الواجب أن لا يضيع العبد فيها الفرصة، وإن يعمرها بالعبادة إلى جانب الأخذ بالحظوظ المشروعة. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات: ٥٦).

ولئن صارعته في عنفوان شبابه الشهوات والصبوات، وكان له مع الشيطان مغامرات وجولات؛ فإن له في بقية المرحلة فسحة؛ فعهد الصبوات والشهوات المحرمة يجب أن لا يدوم طويلاً؛ بل يجب أن يراجع المرء نفسه، ويتوب إلى ربه ويرجع عن غيه إلى صوابه، سيما إذا أشرف على الكهولة فما بعدها، فإن المعصية منه حينئذ تكون أشد قبحًا وفظاعة، لضعف الدافع إليها، ومن بلغ الستين فقد أعذر الله إليه،

كما صح بذلك الحديث، أعذر الله إليه حيث مد له في الأجل، وأقام عليه الحجة بذلك، وترك له الفرصة للتوبة والإنابة فلم يبق له أن يعتذر بضيق الأجل، لتدارك ما فاته بحسن العمل. يقول الله سبحانه في مصير الظالمين حين يأخذهم بالعذاب بعد إقامة الحجة: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (سورة فاطر:٣٧). أي: أو ما عشتم في الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لا تنفعهم به مدة عمركم، فأخرسهم بإقامة الحجة، وألزمهم العذاب. وكذلك كل مجترئ على معصية الله لم ينتفع بالفسحة له في الأجل، ولم يغتنم الفرصة لإحسان العمل، فإن مؤاخذته على التفريط والجرأة على معصية الله أشد وأغلظ لأن الله قد أعذر إليه، ولأن دافع الشهوة لديه ضعيف كما جاء في الحديث: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشمط زان ....**»، - أي: من وخطه الشيب فلم يردعه عن غيه، فضعف الدافع على المعصية مع الجرأة على فعلها، أوجب تغليظ العقوبة بخلاف من امتلأ حيوية، وغلبته نفسه على المعصية مع خوفه من الله وعدم إصراره، ومبادرته إلى التوبة الصادقة؛ فإنه يكون في مستقبل أيامه، خيرًا من ماضيه، ويغفر الله له ذنبه ويتوب عليه.

وإن مما يغري الشباب باستقبال عمرهم بالطهر والعفاف والطاعة، ما أخبر به رسول الهدى عن مصير الشاب الناشئ في عبادة ربه، إذ يظله الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ولا مفر من هول الفزع الأكبر يوم القيامة إلا إليه. إن على شباب الإسلام أن يأخذوا القدوة وحسن الأسوة، من الشاب التقي الطاهر، صاحب رسول الله مصعب بن عمير رضي الله عنه، كان أنعم غلام بمكة وأجوده حلة، رضي بالفقر في ظلال الإسلام ابتغاء مرضاة الله، رآه رسول الله ﷺ فبكى للذي كان فيه من النعمة، ولما صار إليه من الفقر تفقه في الدين، وهاجر وجاهد في سبيل الله، فمات شهيدًا، ولم يجدوا له كفنًا إلا ثوبًا، إن غطوا رأسه خرجت رجلاه، وإن غطوا رجليه خرج رأسه، فوضعوا على رجليه شيئًا من الأذخر، وارتفع إلى مصاف الشهداء رضي الله

عنه وأرضاه. ففيه وفي أمثاله أيها الشباب القدوة في طاعة الله، والأسوة في ابتغاء مرضاة الله.

فاتقوا الله عباد الله، وخذوا حذركم يا من أشرف على الستين والسبعين، خذوا حذركم فقد أزف الرحيل، واغتنموا الفرصة فيما بقي من الأجل لصالح العمل. فطوبى لعبد أقبل على الله والتمس رضاه، وأصلح أخطاء الماضي، وكان له من الشيب نذير. واستقبلوا أيها الشباب زهرة العمر بالطاعة، فنعم الشاب ينشأ على طاعة الله، ويتعشق الفضيلة في أعلى ذراها، ويترفع عن الرذيلة ابتغاء رضوان الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (سورة النساء: ٦٩-٧٠).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم التواب، يغفر الذنب ويتوب على من تاب؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير من هدى إلى الفضيلة، ووضع المعالم لطريق الملك الوهاب. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.. فيا عباد الله، قال بعض العارفين، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (سورة العنكبوت: ٦٩). علق سبحانه الهداية بالجهاد؛ فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوى،

وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه، ومن ترك الجهاد فإنه من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد. فثابروا ـ يا عباد الله ـ على جهاد الهوى والنفس والشيطان والدنيا يهدكم سبل السلام. ألا وصلوا على أكرم رسول وخير إمام، سيدنا محمد الهادي إلى سبيل الملك العلام، فقد أمركم بذلك ذو الجلال والإكرام فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب:٥٦). اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد خير الورى، وارض اللهم عن خلفائه أئمة الهدى، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الآل والصحب الكرام النجباء، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك، يا خير من تجاوز وعفى.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر اليهود وأعوانهم من المستعمرين، وانصر اللهم المجاهدين على أعداء دينك، وألف بين قلوب المسلمين، وأصلح قادتهم، ووحد صفوفهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك، يا أرحم الراحمين. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحشر:١٠). ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة الأعراف:٢٣). ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة:٢٠١).

يا عباد الله . . . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل:٩٠). فاذكروا الله على نعمه واشكروه على آلائه، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

الفهرس

الخطبة صفحة

الخطبة صفحة

الحلقة الثانية

الخطبة صفحة

الخطبة صفحة

الخطبة صفحة

الخطبة صفحة

